(١٦) نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب

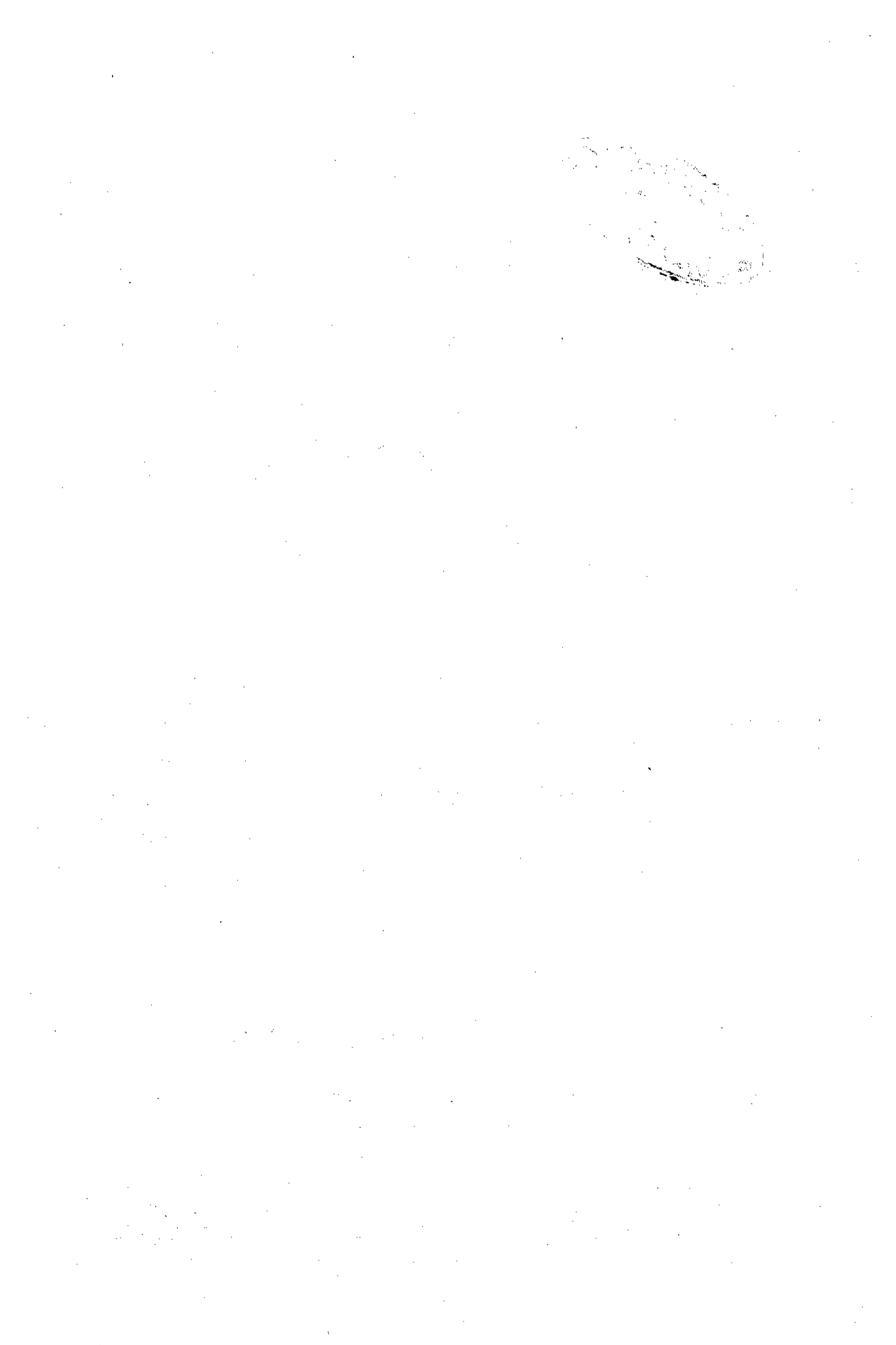
رسائل في تاريخ المدينة

١ - وصف المدينة المنورة
٢ - التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة
٣ - الوفا بما يجب لحضرة المصطفى
٤ - حوادث تتعلق بالحجرة النبوية
٥ - بناء سور المدينة
٦ - وضع الأهلة فوق القبة ومنائر الحرم المدني

قدم لها وأشرف على طبعها

حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية





بسم الله الرحمن الرحيم

١ – رسالة في وصف المدينة المنورة

كان الصديق الكريم الدكتور صالح أحمد العلي أول من لفت نظري الى رسالة تتعلق بوصف المدينة المنورة ، وأنها جديرة بالنشر في مجلة «العرب» ثم كرم ببعث نسخة مصورة عن الأصل الموجود في دار الكتب في القاهرة ، فرأيت نشرها مجزأة ألحاقاً لأجزاء « العرب » غير أنني بعد نشر قسمين منها سافرت إلى القاهرة ، فلما اطلعت على الأصل وجدت نقصاً فيما كنت نشرته، إذ المصور أهمل أربع صفحات (٦ / ٨) وكنت لاحظت وجود النقص وما توقعت أن يكون بهذا المقدار ، فرأيت نشر الرسالة كاملة ، ولقيمتها في موضوعها أبرزتها مفردة عن المجلة ، بعد أن أضفت اليها رسائل فيموضوعات قوية الصلة بها .

ولا يفوتني إزجاء الشكر لأستاذنا الدكتور صالح العلي الذي له الفضل في توجيهي إلى نشرها ، ولمؤرخ طيبة الطيبة وشاعرها السيد الجليل الأستاذ عبيد المدني ، الذي كرم ببعث نسخته من تلك الرسالة إلي ، مع تفضله بكتابة كلمة قيمة عنها وعن مؤلفها أحلي بها صدر هذه المجموعة :

بيروت ١٥ شعبان سنة ١٣٩٢ هـ (١٣ ايلول سنة ١٩٧٢ م)



علي بن موسى
ورسالته في وصف المدينة المنورة

عليّ قبل الإجابة على رسالتكم الكريمة إزجاء الشكر لكم وافراً جميلاً على اهتمامكم البالغ بالمدينة المنورة والتعمق في دراسة كل ما يمتّ اليها بصلة تأريخاً وآثاراً وتراجم ، ولا بدع فإنها نزعـــة نبيلة منكم أوحت بها عقيدة دينية راسخة ، ووفاء محض لمعقل الإسلام الأول ومشعّ الهدى والسلام والجمال . وانه لشكر يصحبه التقدير ويواكبه الحب المكين .

يرجع عهدي بمعرفة هذا الكتاب إلى بضع سنوات مضت يوم قرأت اسمه في « فهرست مخطوطـــات دار الكتب المصرية » وبادرت بتصويره مع ما صورت من كتب أخرى . وكانت مفاجأة لي عندما تبينت من ثنـــاياه اسم مؤلفه الذي لم أكن أعلم عنه ما يدل على أنّ له نشاطاً ثقافياً غير ما قرأته له في مرآة الحرمين (العربية) من قصيدة قالها في مناسبة خـاصة وهي على ما هي عليه [1] ولكنني كنت أعرف أنه كان من وجهاء المدينة ومن الموظفين البارزين في ديوان امارتها .

---

(١) [أوردها اللواء إبراهيم رفعت باشا في « مرآة الحرمـــين » ج ٢ ص ٢٦٥/٢٦٨ وهي قصيدة ركيكة المبنى والمعنى تقع في ٧٢ بيتاً قالها علي موسى الأفندي ثاني أئمة المالكية بالمسجد النبوي لما ردّ الأحامدة المحمل الشامي في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٩٥ – أولها :

يا راكباً نحو القصيم وعارضٍ ... وإلى الحسا ثم العراق وَشمّرا

وآخرها :

هذا وانّ تمامها تاريخها :

خسر الصدر وآب نادم حائرا

٨٦٠ + ١١١ + ٩ + ٩٥ + ٢٢٠ = ١٢٩٥]

وبعد فراغي من قراءة الكتاب كتبت تعريفاً له في مسودات كتابي « تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها » ومنه أقتطف الكلمة الآتية على عجل ريثما نلتقي قريباً إن شاء الله تعالى ونتحدث عن الكتاب هناك كثيراً في تفصيل ما أجمل هنا .

يحق لنا أن نعتبر هذا الكتاب هو الأول من نوعه مما وصل الينا من تواريخ المدينة مطبوعاً أو مخطوطاً أو مما انتهى الينا خبر وجوده . وهو من حيث مادته الجغرافية والأثرية ذو أهمية متميزة ، فقد عني مؤلفه بوصف المدينة في الفترة التي كان يعيش فيها وصفاً يكاد يكون جامعاً ، ولم يدّخر جهداً في الحديث عن ضواحيها ، وما فيها من بساتين وعيون وآبار ونخيل . وجعل فصلاً مستقلاً للمسجد الشريف وما فيه والموظفين المخصصين له . ولا يفوته أن يُلِمّ – ولو إلمامة عاجلة – بما يرى له علاقة قريبة أو بعيدة بموضوع كتابه عند كل مناسبة تلوح له ، وقدّم لنا صورة فيها محاولة جادة لتوخي الاستيعاب إلا ما نَدّ عليه .

لم يطرأ على خطط المدينة التي رسمها المؤلف تغيير جذري إلى ما قبل بضع سنوات على أنّ الفرصة واتتها قليلاً بعد امتداد (الخط الحديدي الحجازي) بينها وبين سوريا ، فتحرك فيها نشاط العمران بعض الشيء ، ولكن الحرب العالمية الأولى وعواصفها الهُوج لم تلبث ان شلّت تلك الحركة وهي في خطواتها الأولى .

إذاً فقد احتفظ هذا الكتاب بمصور جغرافي للمدينة ، فيه كثير مما يشرئب اليه بحث المعنيين بخططها ، والتنقيب عن آثارها مما تشتدُّ اليه الحاجة بعد أن تناول العمران والتجديد نواحيها المختلفة الآن ، وافتتحت فيها عدة شوارع حديثة ، واتسعت أزقتها الضيقة ، وتغير كثير من معالمها ، وسيكون – هذا الكتاب – مرشداً لمعرفة المآثر والمحال فيما خضع أو سيخضع للتطور العمراني ، أو فيما عفت رسومه ، أو تبدلت أوضاعه ، مما تعرّض لذكره المؤلف ، ومن هنا تبدو جدواه وطرافته .

يستطرد المؤلف في بعض المواضع فيعلق ويفسر فيصاحبه التوفيق حيناً ، ويجانبه حيناً آخر ، وربما اعتمد في تفسيره الشخصي لبعض الأشياء على أقوال مجردة لم يتحققها ، فأرسله حكماً قاطعاً لم يدلل عليه أو يدعمه بالتأييد .

وفي بعض تعليقاته التأريخية ما يحتاج إلى تحرير وتعليق على التعليق .

وكان يقتصد في تعريف بعض الآثار على ما تستدعيه بل لم يعن ببعض الآثار الهامة التي كانت صلتها بتأريخ المدينة مباشرة قبل الإسلام وفي حياة النبي ﷺ كالآطام مثلاً .

أما أسلوب الكتاب فلا تكلف فيه ،ولغته سهلة ، وأدّى بالمؤلف الإغراق في تبسيطها إلى التساهل في القواعد العربية ، كما حشر بعض الكلمات الدارجة مما اصطلح عليه سكان المدينة في كلامهم العادي ، وقد يكون جلّها مفهوماً عند غيرهم لاختلاف اللهجات العربية ، والمسميات والاصطلاحات ، واستعمل كلمات غير عربية بالمرة مما كان شائع الاستعمال في وقته .

جاء كتاب (الأفندي علي موسى) على غرار كتاب الخطط التي وضعها المهتمون بأوطانهم كالمقريزي من القدامى ، والأستاذ محمد كردعلي من المحدثين مع بعض الفوارق في التبسط والاقتضاب والشمول والتخصيص ، فهل قصد المؤلف محاكاة المقريزي أو سواه فنحا بكتابه نحوه أم ان المصادفة وحدها جمعت بينهما ؟!

قلت قبل قليل : إننا نعتبر هذا الكتاب هو أول ما وصل الينا من نوعه وهذا صحيح على ما بلغه علمي ، ولكنا في الوقت نفسه لا نستطيع الجزم بأنه هو الأول الذي طرق هذا النهج في تأريخ المدينة فقد ذكر التونبوكتي [١] في ترجمة شمس الدين ابن عمار (٧٦٨ – ٨٤٤ هـ ، ١٣٦٧ – ١٤٤٠ م) ان من مؤلفاته : « العناية الإلهية في الخطط المدنية » . ومؤلف ابن عمار لم يصل الينا ولم أرَ من عيّن وجوده ، فليس لدينا ما يعضدنا في الكلام عنه ، فإذ

---

(١) نيل الابتهاج ص ٣٠٥ .

كان اسمه منطبقاً على موضوعه فلنا أن نعتبره أول من ابتكر هذا النوع في تأريخ المدينة ما لم يظهر لنا سواه ممن سبقوه .

وقرأنا اسم كتاب آخر ونحن أيضاً لا نستطيع البتّ في موضوعه وليس في اسمه من الصراحة ما في كتاب ابن عمار وإن كان بيّن الوضوح انـه عن المدينة المنورة وهو « المحاسن اللطيفة ، في معاهد المدينة الشريفة » تأليف ابن طولون الصالحي (٨٨٠ – ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ – ١٥٤٦ م) [١] . ولا ندري بالتحديد ما أراده ابن طولون هنا من كلمة المعاهد ؟ والمعهـد لغة : المنزل المعهود به الشيء ، والمنزل الذي إذا انتووا عنه رجعوا اليـه ، وأصله كما يقول ابن فارس : (الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به) ، وجمع معهد معاهد . ولعل كتاب ابن طولون قريب الشبه بكتاب السيد كبريت المدني – المتأخر عنه – « الجواهر الثمينة في محاسن المدينة » المعروف . وربمـا تعرّض ابن طولون لخطط المدينة لأن في إسم الكتاب ما قد يجيز لنا كلا الأمرين . ولما لم يشر لنا أحد ممن ذكر الكتاب إلى شيء يهدينـا إلى معرفة موضوعه فلا يحسن الأخذ بالتعريض والتحزير . والمرجح – أو المظنون على الأقل – ان (الأفندي علي موسى) لم يحاول اقتباس هذا النوع من التـأليف ممن سبقه اليه ، ولكنه استجاب إلى رغبة محددة – كما جاء في مقدمته – فتوسع فيها ، وأضاف اليها ما يزيدها بياناً ، وأحاطها بإطارات هيأتها له مناسبات مختلفة الضروب والدوافع فلم يدعها تفلت منه .

المؤلف : لم أقف له على ترجمة ، ولم يقـدّر لي الحصول على تأريخ حياته بالتفصيل من الذين يعرفونه من معاصريه قبل أن يصيروا إلى رحمة الله تعالى لعدم اطلاعي على كتابه في ذلك الحين ، ولو علمت به لشدّني إلى البحث عن استيفاء ترجمته ، ولكنني وجدت في الجزازات المخصصة لكتابي « أعيان

---

(١) ذكره السيد جميل العظم في كتابه « عقود الجوهر فيمن له خمسون تصنيفاً فمائةفأكثر». والدكتور صلاح الدين المنجد عندما ترجم ابن طولون في مقدمة كتابه « الأئمة الاثنا عشر ».

المدينة المنورة من الجاهلية الى الآن » نزراً عنه ، وسألخصه هنا على إيجازه وقلة محتواه :

كان رئيس القلم العربي في ديوان محافظ المدينة . واسم الوظيفة في تصنيف الوظائف في العهد العثماني (باش كاتب) ، وكان حسن التصرف ، لبقاً ، وله دالة على المحافظين . وكان إماماً مالكياً في المسجد النبوي الشريف . وكان إلى قبيل وفاته ذا ثروة ورخاء عيش . ولا أدري عن ولادته ولا وفاته شيئاً إلا أنه كان حياً إلى عهد الفريق أحمد شاكر باشا محافظ المدينة المنورة نحو ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ كما رواه لي بعض المعمرين قديماً . ويظهر انه كان مشتغلاً بتواريخ المدينة فقد رأيت نسخة من كتاب « وفاء الوفاء » كتبها بخطه . وكان متأنقاً في لباسه ومظهره .

المدينة المنورة عبيد مدني



محتويات الرسالة ووصف المخطوطة

هذا المؤلّف – وسمّه كتاباً أو رسالة – مع اختصاره فأصله لا يزيد على ٦٠ صفحة ، بل ينقص – يصف المدينة الطيبة الطاهرة في مطلع قرننا الحالي وصفاً دقيقاً شاملاً من مختلف النواحي الأثرية والاجتماعية والزراعية من حيث ذكر الآبار والعيون والحدائق، كما يضع تحديداً دقيقاً لخطط المدينة ومساكنها وشوارعها ، ويتحدث عن سكانها وطرقها وما يحيط بها من القبائل حديثاً . وهو وإن اتصف بالإيجاز ، إلا أنه يتسم بالامتاع والشمول غالباً ، ونكتفي الآن بسرد أبوابه كما جاءت ، مشيرين إلى أنه يتحدث عن فترة من الزمن ، وهي سنة ١٣٠٣ هـ = (١٨٨٥ م) ولا أعرف أحداً ألّف عن المدينة في هذا الزمن أو ما يقرب منه ، ولم أرَ من مؤرخي المدينة في عصرنا الحاضر من أشار إلى شيء من مؤلفات هذه الفترة أو ذكر هذا الكتاب، وها هي أبواب الكتاب بعد المقدمة التي أوضح فيها سبب التأليف :

الباب الأول : في جهاتها الأربع ، وما فيها من الطرق ، والأبواب في السورين وفي الحرم الشريف ، وفي الحجرة المطهرة ، وما في كل جهة من المآثر والمراقد والمساجد ، والآبار العامرة والدامرة وفيه فصول :

الفصل الأول : في جهاتها الأربع وما فيها من الطرق والأبواب [من ص ٤ إلى ٩] .

الفصل الثاني: فيما في الجهات الاربع من المساجد والآثار الأخرى[٩/١٨].

الفصل الثالث : فيما من الجهات الأربع من الآبار والأنهار والنخيل والأشجار [١٨/٢٩] .

الباب الثاني : في بيان الحرة والجبال التي حول المدينة المنورة والجهة التي لا حرّة فيها ، وكل جهة لأي قبيلة من القبائل ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في بيان الحرة المحيطة بالمدينة المنورة من ثلاث جهات من غرب وقبلة وشرق [ص ٣١/٢٩] .

الفصل الثاني : في صحة أهوية المدينة في جهاتها الأربع متى تكون [ص ٣٣/٣٢] .

الفصل الثالث : في الآبار التي هي أشدُّ عذوبة في الماء ، وفي الجهات أيتها أجود زرعاً ، وأيها أكثر نخيلاً ومدراً ، وفي المنزولة دائماً وغير المنزولة [٣٥\٣٤] .

الباب الثالث : في تعريف الداخل إلى المدينة المنورة من الأغراب الأعراب وغيرهم من أي باب شاء من أبواب البلد ، وبيان الأماكن المشهورة والأسواق الموجودة في البلدة الطاهرة ، والأزقة النافذة وغير النافذة والحمّامات والمكاتب (والكتبخانات) والزوايا وما حول المسجد من الميضآت والحنفيات ، وما داخل السورين من الحدائق وما في السور البرّاني والجواني من البناء ومن الأبراج والمزاغيل ومحل (القراقولات) والأسبلة ، والشونة (الميرية) وفيه فصول .

الفصل الأول : في تعريف من جاء الحرم الشريف ، إن جاء من الجهة الغربية فنبدأ به من ذي الحليفة محل الميقات لأنها مجمع الأربعة الطرق الكبار [ص ٥١/٣٥] .

الفصل الثاني : فيما في البلدة الطاهرة من الحمّامات ومكاتب الصبيان و (الكتبخانات) والمدارس والزوايا وما حول الحرم الشريف من الميضآت وما في داخل السورين من الحدائق [ص ٥٤/٥١] .

الفصل الثالث : فيما في السور البراني والجواني من البناء والأبراج والمزاغل وبيان مواضع (القرقولات) ، وأسبلة الماء للشرب ،وموضع الشونة (الميرية)

وذخاير الميرية المنقولة إليها من أسكلة ينبع البحر ورابغ ، على ظهور الجمال بالأجرة لإدارة العساكر والحجوج [٥٤/٥٦] .

الخاتمة . في بيان الحرم الشريف النبوي والحجرة المعطرة ومـا اشتملت عليه ، وعدد الأبواب والأساطين ، والمنابر ، وكيفية الخـدمة والأغاوات والخطباء والأئمـة والمؤذنين المشدّين والفراشين والـكناسين والبوابين ، وشيخ الحرم والنائب و (الخزندار) وبيان خدمتهم في الحرم وخدمة غيرهم ، والاصطلاح الجاري في الحرم الشريف على الدوام من الأذان وغيره ، وفي ذلك ثلاثة فصول .

الفصل الأول : في بيان الحرم الشريف وبنائه الموجود الآن ، ومحاريبه وتعاليقه ، وزينته وفراشه وقناديله ، المنبر الشريف ، والحجرة المطهرة وما اشتملت عليه وعدد أبوابه وأساطينه ومنائره [ص ٥٧/٥٠] .

الفصل الثاني : في بيان الوظائف وخدمة كل وظيفة وكيفية الصلوات والإفطار في رمضان ، والعيدين ، والأيام المخصوصة للتعطير وإدخال الصندل الشريف ، وغسل الحجرة ، وكنس سطوح الحرم كل عام ، وكيفية أخـذ الدستور كل وقت للأذان ويوم الجمعة للخطيب عند طلوعه [ص٧١/٧٩].

الفصل الثالث : فيما على أبواب الحرم من الآيات والاحاديث [ص٧٩/٨١]

المؤلف :

ولقد بحثت فيما بـين يدي من المصادر — على قلتها — عن ترجمة المؤلف فـلم أهتد إلى ما ينير لي السبيل فاكتفيت بالومضات اليسيرة الواردة في المؤلف نفسه عنه .

اسم المؤلف : علي بن موسى [٢٥/١٣] ، وهو يصف نفسه بـ(الأفندي) في الموضعين ، مما يدل على أنه كان ذا وظيفة كتابية في زمنه .

ويظهر أنه على جانب من الثراء فهو شريك في بعض العيون لبعض وجهاء المدينة فهو يقول :

١ – عن عين الحازمية : للمرحوم السيد مدني والمرحوم مصلح الشريوفي شركة المؤلف ومن معهم [٢١] .

٢ – أم هجول عين قديمـــة للمؤلف شرع فيها ، بقي عليها القليل [٢٤] .

٣ – عين الظاهرية : للسيد المرحوم عبدالله جعفر كاتب الخزينة الديوانية ، وللمؤلف وعبد الله عرب الميمني وشركائهم [٢٤] .

٤ – ويصف بيته في شارع العنبرية الذي يقول عنه أعظم شوارع المدينة وأعذبها هواء وأكثرها مورداً على الدوام .. وعلى الشارع المذكور بيت كبير مرتفع للسيد جعفر بن حسن جعفر ، أمين صندوق الخزينـة الديوانية بالمدينة المنورة ، ومن شرقيه بيت المؤلف الأفندي علي بن موسى ،بيت كبير مرتفع ، وبجانبه بيت عامر الجعفري العلاف وبجانبه زقاق الحديقة المعروفة بالهاشمية للسيد حسين هاشم [٣٨] .

وصلة المؤلف بالسيد علوي بن عبد الرحيم السقاف شيخ السادة في المدينة ، ثم طلب السيد المذكور منه التأليف عن المدينة تحقيقاً لرغبة رامز باشا يدل على مكانته الاجتماعية ، والسيد علي هو جد معالي الأستاذ السيد عمر بن عباس ابن علوي السقاف ، وزير الدولة للشؤون الخارجية ، وتوفي السيد علوي سنة ١٣٤٠ هـ تقريباً . أما رامز باشا الذي أُلّفَ الكتاب له فقد ذكر المؤلف انه جدّد قبتي الثنايا والمصرع [١٥] ونعته بقوله:(الحاج رامز باشا صهر المرحوم سليم بك المابنجي من أهل الاستانة) .

ويظهر من أسلوب المؤلف عدم تمكنه من اللغـــة فهو يستعمل كثيراً من الكلمات العامية ، ويقع في اللحن في كثير من المواضع ، أما استعماله لكثير

من الكلمات التركية فهذا ناشيء عن كون التركية هي لغة الدولة الرسمية ، ومعلوماته لا يعوّل فيها على كتاب ، إذ لم يرد إسم مؤلف في مجال النقل إلا « الخلاصة لابن السمهودي » ، يقصد « خلاصة الوفاء » للسيد السمهودي ، وأشار إلى « وفاء الوفاء » و « عمدة الأخبار » في المقدمة.

ويستعمل اللهجة البدوية أحياناً فيقول عن الإناث : (الاناثي) ، وعن قوافل التجار : (الهبوط) . وتدل كتابته عن السكان على معرفته بالقبائل البدوية .

ويورد بعض الأمثال العامية التي لها صلة بالبيئة مثل : (إذا دخل الميزان برد الماء في الكيزان) ، ومثل : (مـــا بين الحرّتين لا حصيل ، ولا قصيل) .

ويوضح بعض المصطلحات الزراعية فيقول عن الوجبة — وهو يجمعها على أوْجاب خطأ — : الوجبة من طلوع الشمس إلى الغروب ، أو من الغروب إلى الطلوع ، يقصد ان الانتفاع بماء العين في الزمن المذكور يسمى وجبة.

ولعنايته بالفلاحة فلعلَّ أهم قسم في كتابه ما يتعلق بالعيون والحدائق .

من مآخذ هذا الكتاب :

ولن نتعجل فنتحدث عن قيمة الكتاب بل نـدع ذلك للقارىء . ولكن لا ينبغي أن نهمل الإشارة إلى ما فيه من مآخذ :

١ — عاش المؤلف في عهد الجمود والتأخر الفكري بوجه عام ، وفي بيئة وارثت كثيراً من الأمور على انها ذات صلة بالدين ، وهي في الحقيقة مما أدخل عليه وابتدع فيه ، كالتوسل بالأموات والبناء على القبور وإسراجها ، ولهذا ورد فيما كتب ما يفهم منه إقرار كثير من تلك البدع والخرافات ، ولكون ذلك قد زال — ولله الحمد — في عصرنا ، واستنارت العقول واتضحت حقائق الدين الصحيحة بحيث لا تخفى على أحد ، فقد اكتفينا بإشارات موجزة إلى بطلان بعض ما أورده من ذلك ، إذ كله مما يدرك بداهة .

٢ ــ كانت الدولة المسيطرة على هــذه البلاد في عهد المؤلف ــ وهي العثمانية ــ كانت تحاول القضاء على الدعوة الإصلاحية التي دعا اليها الإمــام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلى الدولة السعودية الــتي آزرت تلك الدعوة الكريمة ، وكان من أثر ذلك أن ألصقت بتلك الدعوة ووصمت تلك الدولة التى تناصرها بكل وصمة،وكل تهمة باطلة ، ومع ذلك فللدولة المسيطرة آنذاك أثرها . ومن هذا ما نجده في مواضع من الكتاب أشرنا اليها اشارات موجزة ، إذ المقصود الاستفادة ممــا فيه من حق وترك الزيف ، ولو اننا عمدنا إلى كل مؤلف يحوي من الآراء ما نراه باطلا ، ولو قليلاً لما بقي لنا من تراثنا إلا القليل ــ ورحم الله القائل :

فإنا لم نُوَقَّ النقص حتى نطالب بالكمال الأولينا

وصدق الله العظيم : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا) .

٣ ــ كإطلاق كلمة (الوهابية) على القائمين بتلك الدعوة الاصلاحية وهي كلمة أراد بها أعداؤها ــ في أول الأمر ــ التنفير من قبولها ، باعتبارها من المحدثات في الدين الاسلامي ولكن الاعيب السياسية لم تنطلي على من أراد الله له الخير ، فلقد فهم الناس حقيقة تلك الدعوة ، وسارعوا إلى قبولها ولم ينخدعوا بما حاول به المغرضون إخفاء معالمهــا كما قال المُلا عمران من أهل لنجــة من شرق الخليج العربي :

إن كان تابع أحمد متوهبّاً فأنا المُقرُّ بأنني (وهّابي)

٤ــوكالقول بأن آل سعود ــ عند استيلائهم على المدينة في سنة ١٢٢١ هـ نهبوا ما في داخل الحجرة النبوية الكريمــة ، كما في ص ٤٦ / ٢٤٧ وذلك في معرض الطعن والذم .

والواقع أن تحلية الحجرة من الأمور المبتدعة بعد القرون الثلاثة المفضلة ، بإجماع المؤرخين ، والعلماء نصوا على عدم جواز ذلك فأورد السمهودي في

« وفاء الوفاء » — ٥٩٣/٥٩٢ —قوله : (ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأحواله لم يخف عليه أن كل ذلك لم يكن يعجبه في حياته ، هذا الذي اعتقده) بعد أن أورد آراء العلماء في هذه المسألة .

وإذن فأيُّ مطعن على اولئك المصلحين فيما فعلوا ، مع ملاحظة ان الأمر بولغ فيه ، واتخذ وسيلة لامتداد أيدٍ أخرى إلى ما في الحجرة المطهرة وأخذ أشياء كثيرة ، كما يفهم مما أورده بعض منصفي المؤرخين .

حقاً ان للحرم النبوي الكريم حرمته ، وللمكان الذي يضم الجسدالطاهر الشريف وجسدي الخليفتين الراشدين ، لذلك المكان منزلته السامية في نفس كل مسلم ، ويجب له من الصيانة والاعتبار ما يحفظ مهابته وقدسيته ، ولكن ما حدث عند استيلاء الدولة السعودية الأولى كان المقصود منه المبالغة في تعظيم ذلك المكان بما يتفق مع ما ورد عنالمصطفى عليه الصلاة والسلام من تنزيه مسجده الكريم ، ومرقده المطهر من زخارف وأمور هي من مظاهر الترف والتباهي مما نهى ﷺ عنه أبلغ النهي ؛ ولهذا كانت طريقة إخراج بعض ما في خزانة الحجرة النبوية بغاية الأدب ، واقتصر على أشياء يسيرة لم يكن فيإخراجها ما يؤثر في حرمة ذلكالمكان ، وترك أنفس شيء من تلك الأشياء ، وهو الكوكب الدري [١] ، ولو قصدوا الدنيا لما تركوه .

يضاف الى هذا ان الحجرة الكريمة كانت منذ القرن الثامن الهجري إلى عهد استيلاء الدولة السعودية معرضة للسلب والنهب من اولئك الذين يعتبرون حماتها ، وحسبنا أن نستعرض طرفاً من ذلك فيما أورده السخاوي في كتابه « التحفة اللطيفة » فقد عدَّ — فيما عدَّ — من أمراء المدينة الذين نهبوا ما في الحجرة :

١ — ثابت بن نعير بن هبة بن جماز في سنة ٨٢٩

٢ — جماز بن هبة بن جماز بن منصور سنة ٨٠٥

---

(١) « نزهة الناظرين » ص ٦٣ .

٣ — حسن بن زبيري بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور سنة ٩٠١
٤ — ذربان الحسيني الطفيلي ، عاون عجلان بن نعير على النهب سنة ٨٣٠
٥ — شامان بن زهير — لم يترجمه السخاوي ، وذكر انه ممن نهب الحجرة
٦ — عجلان بن نعير بن هبة بن جماز سنة ٨٣٠
٧ — غرير بن هيازع بن هبة سنة ٨٢٤

وهناك آخرون يجد القارىء طرفاً من أخبارهم في موضع آخر .

٥ — وهنا جانب آخر من الرسالة لا ينبغي إغفاله وهو ان المؤلف ذكر كثيراً من أهل المدينة ممن لا يزال أبناؤهم وأحفادهم — إن لم يكن أحد من المذكورين أنفسهم — على قيد الحياة ، وقد تعرّض لذكر العقارات من عيون ودور وغيرها فنسبها إلى من نسبها اليه وقد يكون في هذا ما لا يتفق مع الواقع .



الصفحتان الاولى والثانية من مخطوطة رسالة « وصف المدينة »

الصفحتان الأخيرتان من مخطوطة الرسالة

وصف المخطوطة :

وأصل هذه الرسالة – أو الكتاب – في (دار الكتب المصرية) برقم ٣١٦٩٠/١٦٤٤ (تاريخ) وكتب العنوان بخط فارسي حديث : (رسالة في وصف المدينة المنورة) وتقع في ٢٩ ورقة (٥٩ صفحة) منها صفحتان خاليتان من الكتابة وهما الورقة التي كتب في اعلاها العنوان، وتحوي الصفحة ٢٧ سطراً . والصفحتان الاوليان من المخطوطة يحيط بكل واحدة إطار بماء الذهب الباهت ، وفواصل الكلام فيها دوائر صغيرة مستديرة ، مذهبة ، والكتابة بين الخط النسخي والرقعي وهي جميلة واضحة ،باستثناء بعض كلمات يسيرة كتبت بين السطور فلم تتضح .

ولا أستبعد أن هذه النسخة هي التي قدمها المؤلف إلى من أُلفت له، ذلك أن ورقتها الأولى الأصلية ليست موجودة ، أعني التي تحوي اسم الرسالة واسم مؤلفها ، وقد يضاف إليها مالكها أو من أهديت إليه ، وكثيراً ما يزيل الورّاقون الصفحة الأولى من المخطوطة لإخفاء ما فيها من كتابة ،وخاصة إذا كان الكتاب موقوفاً ، ومما يحمل على القول بأنها هي نسخة المؤلف أن صفحتيها الأوليين ، مزينتان بالجدولين المذهبين ، والفواصل المذهبة أيضاً ، وهذا التزيين يكثر عادة في المخطوطات التي تقدم لذوي المقامات العالية في العصور المتأخرة ، كما نرى ذلك في كثير من المخطوطات التي أهديت إلى بعض وجهاء الدولة العثمانية .

وعيب هذه المخطوطة الوحيدة في الأخطاء الإملائية وهي كثيرة وقد حاولت اصلاح بعضها وابقيت بعضها أما الاخطاء النحوية واللغوية الكثيرة فقد ابقيتها على حالها بعد أن وضعت بجانبها علامة الاستفهام (؟) كما وضعتها بعد كلمات لم تتضح لي قراءتها من الاصل وهناك كلمات اخرى لم تتضح ايضا فوضعت مكانها نقطا [...] وقد اشرت إلى اول كل صفحة من المخطوطة بأرقام متسلسلة :

٢ - التحفة اللطيفة

ورأيت أثناء ترددي على خزانة دير الاسكوريال في اسبانيا - مخطوطة «التحفة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة» فكانت من بين الكتب التي صوّرت لي ، ثم علمت - فيما بعد أنها نشرت في « مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية » التي تصدر في مدريد نشرت في الجزء الثالث من المجلد الأول (ص ١٤٩/ ١٥٨) في سنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) .

ونشرها في تلك المجلة لم يكن حائلاً دون نشرها الآن ، وذلك أن تلك المجلة لا يطلع عليها كل من يريد الاطلاع من القراء لندرتها ، كما أن المطبوعة لم تخل من تطبيع .

ومؤلف تلك الرسالة على ما جاء في طرتها بعد اسمها : (تأليف الامام شيخ الاسلام ، قاضي الحنفية بها الجلالي محمد بن خضر الرومي الحنفي تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته . آمين).و (بها) أي المدينة على ما يظهر .

وذكر الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الأهواني في مقدمة نشره للرسالة أنه توفي سنة ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) ولم يذكر مصدره في ذلك ، ولم أر له ترجمة فيما بين يدي من المصادر . وكنت ظننت أن قطب الدين المكي النهروالي مؤرخ مكة يقصد مؤلف هذه الرسالة بقوله عن اخفاق مسعاه في عزل والي المدينة ، (خرج الحساد ، وبسطوا ألسنتهم ، وأسند كل واحد إلي ما أراد ، وأكثرهم ما فدح (؟) محمد بن بركات المالكي وجلال بن خضر ، لخبث باطنهما ، لا لسوء جاءهما مني [١] ...)

غير ان النهروالي قال هذا في شهر شعبان سنة ٩٥٩، واسم مؤلف الرسالة الجلالي محمد بن خضر - والجلالي كما يظهر تعني جلال الدين .

ويصف الدكتور الاهواني المخطوطة بأنها غير مؤرخة ويقول ان الاستاذ (ليفي بروفنسال) يرجعها إلى القرن الثامن عشر الميلادي وتقع في المجموع رقم ١٧٠٨ من ص ٨٨ الى ٩٣ في ست ورقات ، بقياس ٢٣/ ١٧ وفي الصفحة ١٧ سطراً.

---

(١) الورقة ٥٤ - مخطوطة ولي الدين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد وآله
وصحبه والتابعين أما بعد فهذه نبذة لطيفة وتحفة [illegible]
بما وقع من العمارة الشريفة بسور المدينة النبوية والمسجد الشريف والمآثر
السنية وذلك أحياها على يد مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم
صاحب السيف والقلم والسيد الأعظم ظل الله في الأرضين [illegible]
قامع الكفرة والمبتدعة والمشركين [illegible] الغزاة والمجاهدين [illegible] حسنة الله
في الأرض القائم بالسنة والفرض خادم الحرمين الشريفين والمحلين المنيفين
سلطان العرب والعراقين والشرق واليمن والروم والحجاز [illegible] سلطان
الإسلام والمسلمين السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان
ابن السلطان بن السلطان [illegible] خان السلطان سليمان شاه بن السلطان
سليم شاه بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان بايزيد خان [illegible]
الله تعالى نصرا عزيزا مؤبدا وفتح له فتحا مبينا سرمدا وأدام أيام دولته
الزاهرة وجعل سعوده على أعدائه متظاهرة تجاه سيد أهل الدنيا
والآخرة أن سور المدينة تهدم أعاليه وآن [illegible] على السقوط
بعاليه وأن أهل المدينة [illegible] يحصل لهم من خراب السور ضرر كثير
من العربان وفساد عظيم على طول الزمان وأنهم قد رفعوا شكواهم وشكوا

حوائم

حوائم إلى مولانا السلطان الأعظم خلد الله دولته فخرج [illegible] الأمر العالي
من مولانا السلطان الأعظم المشار إليه أعز الله نصره إلى وزير المقام
العالي ذي العز المتعالي مدبر الممالك الإسلامية كافل الأقطار المصرية والحجازية
آصف عصره ولقمان دهره حضرة سليمان باشا أعز الله تعالى نعمائه
وأدام أيامه بأن يتقدم المقام العالي بتجهيز المال من الخزانة الشريفة
بالقاهرة المحروسة لبناء سور المدينة النبوية وتجهيز ما يحتاج إلى ذلك
من الدواب والعدد والمعلمين البنايين والحجارين وغيرهم وتجهيز ما يحتاج
ذلك من الغلال فبالسمع والطاعة وشرع على ساق الجد والاجتهاد لما يعود
نفعه لأشرف البلاد وجهز الأموال الشريفة صحبة الجناب العالي الزيني
محمود جلبي كاتب [illegible] المعمور كان وعينه [illegible] على العمارة الشريفة وجعل النظر
على العمارة الجناب العالي السيد أحمد الرفاعي شيخ الحرم الشريف النبوي وجهزت
الجمال والأحمال نحو مائة جمل ومائة [illegible] صحبة أمير الحاج الركب المصري وجهزت
الغلال من القمح والشعير والفول من البحر على ظهر المراكب الشريفة إلى أن وصلت
إلى الينبوع وكان وصول ذلك كله في عشر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وكان
المهندس على العمارة المذكورة المعلم علي بن الصياد والمعلم عبد القادر القليوبي
وكان جملة البنايين والحجارين والنحاتين والفعالين والنجارين والطوابين
والجالين والترابين [illegible] ثلاثمائة نفرا من غير الفعلة وتوابعهم وكان

الصفحتان الثانية والثالثة من مخطوطة « التحفة اللطيفة »

آخر مخطوطة « التحفة اللطيفة » وبهوامشها كتابات تتعلق بهـــا لأحد المستشرقين ولعله ليفي بروفنسال

ولا نستبعد أن السيد محمد كبريت مؤلف كتاب « الجواهر الثمينة » قد اطلع على «التحفة اللطيفة» فقد أورد في كتابه نصاً يتعلق بقياس السور ، وبمقدار ما صرف عليه يقرب مما هو مذكور في «التحفة» فدائر السور عنده هو ٣٠٧٢ ذراعا بينما هو فيها ٣٤٨٢ ذراعاً ومن المحتمل أن رقم (٤) سقط سهوا لأننا نجـــد ما يؤيد ما في التحفة في الرسالة الاخيرة المتعلقة بسور المدينة [1] .

ويحسن إيراد ما ذكره السيد كبريت عن السور لصلته بالموضوع ، ومن الغريب ان السيد كبريتاً والسيد البرزنجي لم يفصلا خبر بناء السور كما فصله صاحب « التحفة » بل لم يزد الثاني على ما اورده الاول سوى قوله : (وهذا البناء من الحجر الاسود ، وقد أحكموا بناءه ، لكنه الان – ١٢٨٧ هـ – قد أشرف على الخراب ، بل تشقق بعض الاماكن منه ، وانفلق بحيث يخشى سقوطه [2]) وما اورده الاول هو قوله :

وفي أيام ولده – يعني السلطان سليمان – كان بناء سور المدينة المنورة اليوم ، وذلك في سنة ٩٣٩ وبني على أساس السور القديم في سبع سنوات لتعطل العمارة في خلافته المدة ، وكان تمامه في سنة تسعمائة وست وأربعين ، ودابر السور بذراع العمل ثلاثة آلاف واثنان وسبعون ، وقيـــل : ما بين الأبراج والتجويف أربعة آلاف والمصروف عليه مائة الف دينار ، وكتب على الباب الغربي : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) وقد حصل – والله المنة – بهذا السور لأهل المدينة المنورة كال مسرة الأمان ، على اختلاف حال الزمان :

يا مَنْ لهم بمهجتي والحشا منـــازلٌ تزهو بتبيان
قلبي لـكم سور بديـع البنا كأنه السور السليماني

ويظهر أن الرسالة الأخيرة من مجموعتنا هذه نسخة مختصرة من رسالة « التحفة » وسنشير الى هذا فيما بعد .

---

(١) ص ١٩٦

(٢) « الجواهر الثمينة ، في محاسن المدينة » – مخطوط و « نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين » ص ٨١

٣ ـ الوفاء ومؤلفه

الإمام الجليل نور الدين علي السمهودي مؤرخ طيبة الطيبة جدير بأن تتناول أطراف حياته بمؤلف شامل ، وعسى أن يقوم أحـــد الباحثين بهذا الأمر ، والكتابة بتفصيل عن حياة هـــذا العالم الجليل مما لا تتسع له هذه المقدمة ، إلا ان الوفاء له يدفع إلى التبسط في الحديث عنه بقدر الإمكان من جانبين : حياته الخاصة ، وآثاره العلمية بإيجاز :

جوانب من حياته الخاصة:

هو علي [١] بن عبد الله بن أحمد الحسني من أسرة عرفت بالعلم ، وشرف النسب المتصل بالإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فهو حسني هاشمي قرشي ، على ما أورد السخاوي وغيره في سياق نسبه [٢] والناس مأمونون على أنسابهم ، وهذا يفسر لنا الغاية من تأليفه أحد مؤلفاته التي سيأتي ذكرها ــ وهو كتاب « جواهر العقدين في فضل الشرفين » .

وقد ولد هذا العالم في سمهود من قرى الصعيد من البـلاد المصرية في صفر سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ، وقد تعلم في القاهرة واتصل بعلمائهـــا ، فدرس الفقه الشافعي حتى صار من علماء هذا المذهب . وحج سنة ٨٧٠ وجاور في مكة سنتين . وفي سنة ٨٧٣ [٣] انتقل إلى المدينة ، فاتخذها موطنـــاً له ،

---

(١) في « تحفة المحبين والأصحاب » ص ٢٧١ و « كشف الظنـــون » ٢٠١٦ : (علي بن أحمد).

(٢) انظر : « الضوء اللامع » و « التحفة اللطيفة » للسخاوي ٢١/٤ و « شذرات الذهب » لابن العماد ، وترجمه عز الدين بن فهد ترجمة مطولة . وألـف أحدهم رسالة دعاها « الفيض الشهودي في بعض مناقب السمهودي » منها نسخة في مكتبة جامعة الرياض برقم ١٥٨٦ / ٧ في ٢٥ ورقة .

(٣) في « تحفة المحبين » : سنة ٨٨٠ .

واتصل بعلمائها في هذا العهد ، وحج فاتصل بعلماء مكة ، من آل فهد وغيرهم ، وقام برحلات الى مصر سنة ٨٨٧ وإلى القدس ، وتكررت رحلاته إلى مكة ومصر ، وقويت صلاته بعلماء هذين القطرين .

وقويت صلته بحكام مصر من المماليك ، وخاصة الملك الأشرف قايتباي الذي لقي منه حظوة وعناية ، واستطاع بواسطته عمل أشياء كثيرة في المدينة ، من انشاء رباط ومدرسة ، وتأسيس مكتبة ، وإزالة أمور رأى السمهودي ضرورة إزالتها وأشار إلى ذلك في « وفاء الوفا» .

ولعل أبرز عمل قام به هذا العالم الذي تلقى العلم عن مشاهير علماء عصره وتتلمذ له طلاب نجباء كثيرون ، هو تصدّيه لتسجيل تاريخ هذه البلدة الطيبة بطريقة لم يسبقه اليها من قبله ، وقد لا يلحقه من بعده لكونه شاهد أشياء ، وسجل أموراً ، ودوّن معلومات ، ولو لم يقم بذلك لفقد الباحثون في تاريخ المدينة علماً غزيراً .

السمهودي في المدينة : من عادة كل طارىء على بلاد ليس من سكانها القدماء أن لا يجد من التقدير وحسن الاستقبال واللطف في المعاملة ما يتلاءم مع مكانته ، لا سيما إذا كان هذا الطاريء يطمح إلى مزاحمة أحد من السكان في منصب أو عمل ، وهكذا كان السمهودي في أول عهد استقراره في المدينة . قال السخاوي : (ولقيته في الحرمين غير مرّة وغبطته على استيطانه المدينة ، ورسوخ قدمه فيها بحيث صار شيخها ، قلّ أن لا يأخذ عنه أحد من أهلها، وهم مع هذا يحسدونه) [١] واورد السخاوي طرفاً مما جرى بينه وبين بعض معاصريه من العلماء بشأن التزاحم على وظيفة مدرسة الشافعية . وأضاف : (وكذلك لعدم إغضائه

---

(١) : « التحفة » ٣/٤

عما يقع من الفضلاء الواردين على المدينة ، وشدة منازعته لهم ، وقوة نفسه في الرد ، كان أكثرهم في حنق منه) .

ثم اشار إلى ما جرى بينه وبين آخرين من نزاع أدى إلى ان السمهودي يؤلف رداً على احدهم وقال : (ولزم من هذه المنازعات ترك السيد الصلاة في الروضة ، بل وترك الإقراء في المسجد، بل حدثته نفسه بالانتقال لمكة ولمنه في هذا كله)[١] .

إن شدة شكيمة السمهودي مع منازعيه من أقوى الأسباب في مضايقته فقد كان – على ما نقل صاحب « النور السافر »[٢] : (ربما أدّاه البحث إلى مخاشنة مع المبحوث معه) وقال صاحب « التحفة »[٣] : (وكانت فيه حدّة شديدة ، وهي باقية فيهم إلى اليوم) يقصد آل السمهودي .

غير ان السمهودي لعلمه ولصلته بوجهاء أهل عصره ، أصبح– فيما بعد – شيخ أهل المدينة علمـــاً ونسباً وعبادة – كما قال السخاوي – وزاد قدره وعظمت وجاهته حتى صار أهل البلد يرجعون إليه، ويعولون في امورهم عليه مع ملازمته لنفعهم والذب عنهم :

والناس أعوان من والته دولته   وهم عليــه إذا عادته أعوانُ

فلقد اتصل بسلطان عصره الملك الاشرف قايتباي ، لما حجّ سنة ٨٨٤ ، وكان بينه وبين رجال دولته ما قوى ذلك الاتصال فكلم السلطان في الإحسان إلى اهل المدينة ورفع المكوس عنها وتعويض اميرها ، فأجيب طلبه – كما أوضح ذلك في « وفاء الوفاء » .

وتمكن بسبب صلته بأعيان عصره أن يحل منزلة مرموقـــة لا بين أهل المدينة وحدهم بل بين كل من يفد إلى تلك البلدة الطاهرة من مشاهير المسلمين

---

(١) : « التحفة » ٣/٤

(٢) ص ٦٠

(٣) : « التحفة » ٣٤/٤ ص ٧١٠ وما بعدها .

في مختلف الأقطار ، فحظي من وجهاء ذلك العصر وملوكه بكثير من الرعاية والتقدير ، وتولى من الأعمال ما كان يطمح اليه .

١ – فعيّنه الملك الأشرف قايتباي ناظراً لمدرسته التي أنشأها في المدينة، مع الإشراف على المكتبة التي أوقفها في تلك المدرسة .

٢ – وتولى الإشراف على المدرسة الزينية المزهرية ، التي أنشئت في المدينة غير ان منشئها توفي قبل بدء العمل فيها ، فانحصر إشراف السمهودي على تحديد ما صرف على إنشائها .

٣ – وقام بالتدريس في الحرم المدني الشريف ، والفتوى على مذهب الإمام الشافعي .

٤ – وكان يقوم بالإشراف على توزيع بعض الهبات والصدقات التي ترسل من قبل الملك الأشرف ومن غيره من الملوك والأمراء ، كالأمير داود بن عيسى ابن عمر شيخ هوّارة ، وسلطان نجد والأحساء أجود بن زامل الجبري ،وكانت صلته بهذا السلطان قوية جداً ، لم تقف عند حد ثقته به في تولي توزيع صدقاته وهباته بين أهل المدينة ، بل تجاوزت ذلك إلى أن رغب اليه هذا السلطان بأن يختار له من علماء المدينة من يتولى وظائف علمية ودينية في الأحساء قاعدة حكمه ، فكان أن انتقل من المدينة الى الأحساء جَدّا أسرتي آل جعفر السادة المعروفين في بلدة الكوت في الهفهوف، وآل عبد القادر من الأنصار في مدينة المبرز ، وعرف من هاتين الأسرتين علماء وأدباء إلى عصرنا الحاضر .

وقد كان السمهودي كثير الثناء على هذا السلطان (واللُّها تفتح اللّهى) كما يقولون ، فقد نعته بقوله [١] : (رئيس أهل نجد ورأسها ،سلطان البحرين والقطيف ، فريد الوصف والنعت في جنسه ، صلاحاً وإفضالاً وحسن عقيدة،

---

(١) « وفاء الوفاء » ص ١٠٩٣ .

أبو الجود أجود بن جبر) ، وهو الذي حمل السخاوي على أن يترجم في « الضوء اللامع » .

وكان – مع ما أغدق عليه الملوك والرؤساء من الهبات ، ومع مرتبه الذي قرره له الاشرف قايتباي والمقرر السنوي الذي يصرف له من ملك الروم ، وهو مائة دينار [١] – كان يتعاطى التجارة والتكسب بالبيع والشراء [٢] ، حتى أصبح ذا ثروة عظيمة ، وملك عقارات من بيوت ونخيل عد منها صاحب « تحفة المحبين والاصحاب » [٣] : الدار الكبرى التي بقرب باب الرحمة ، والحديقة السمهودية بخط الصاغة ، والدار التي تحت المنارة السليمانية والحديقة المعروفة بالأخوين ، والمزرعة المعروفة بالشقيقات ،والمزرعة المعروفة بالسمهودية ، وغير ذلك . ونقل السخاوي عن السمهودي انه كان يسكن دار تميم الداري بباب الرحمة ، ولعلها التي تقدم ذكرها ، وذكر السمهودي أن له ضيعة في الثنية بقرب جبل عظم [٤] .

ولقد استفاد بثروته هذه اخوته ، فهو لم يعقب مع انه تزوج وملك إماء، فأوصى بما خلف لاخوته الثلاثة الذين توفي وهم في سمهود ، عين لكل واحد منهم جزءاً موقوفاً عليه [٥] فقدموا واستوطنوا المدينة وتناسلوا حتى صار بيتهم من أشهر البيوت فيها ، وتجد طرفاً عنه في كتاب « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب».

وفاته :

يكاد يجمع من أرخ السمهودي على أنه ولد في شهر صفر ٨٤٤ هـ(١٤٤٠م)

---

(١) : « التحفة اللطيفة » ج ٣٢/٤

(٢) : « النور السافر » ص ٦٠

(٣) : ص ٢٧٢

(٤) : « وفاء الوفاء » ص ١١٢٨

(٥) : « تحفة المحبين » ص ٢٧٢

ولكنهم يختلفون في تاريخ وفاته،وأعدل الأقوال في ذلك واقربها إلى الصواب ما ذكره استاذنا الخير الزركلي في « الاعلام » [١] انه توفي في سنة ٩١١ هـ (١٥٠٦) وعلى هذا جلّ مؤرخيه كالعز ابن فهد ، على ما نقل عنه صاحب « النور السافر » [٢] ومـا جاء في زيادات « التحفة اللطيفة » [٣] – إذ السخاوي توفي قبله – وما في « تحفة المحبين » وكما في « كشف الظنون » و « هدية العارفين» [٤] وحدد اكثرهم الوفاة بانها في ٢٨ ذي القعدة بعد مرض لم يتجاوز ثلاثة ايام .

أما الشوكاني فيقول بان موته تقريباً سنة اثنتي عشرة وتسعمائة [٥] .

وجاء في آخر مخطوطة خزانة الاسكوريال من « الوفا بمـا يجب لحضرة المصطفى » مـا نصه : (وفي سنة اثنين (؟) وعشرين وتسعمائة توفي السيد الشريف الحسيب النسيب العالم العامل الورع الزاهد ، إمام اهل عصره المحقق المدقق نورالدين علي السمهودي ، إمام دار الهجرة النبوية ، ضحى يوم الخميس تاسع عشري ذي القعدة الحرام ، رحمه الله بعد ان مرض نحو ثلاثة ايام أو دونها ، وكان يعلم يوم وفاته [٦]) ودقة تحديد الوفاة بمكانها من اليوم ومن أيام الاسبوع وأيام الشهر ممـا يحمل على القول بان كاتب هـذا الكلام على جانب كبير من الدقة في كلامه ، وهو يتفق مع ما في كتابي « التحفة » و«النور» من حيث اليوم والشهر، ويختلف عما فيهما من حيث موقع ذلك اليوم من الشهر ففي

---

(١) ج ٥ ص ١٢٢ الطبعة الثانية.

(٢) ص ٦٠

(٣) ٤/٣٤

(٤) ٢٧٢٠ و ٢٠١٦ و ١/٧٤٠ على التوالي

(٥) ٤ « البدر الطالع » : ١/٤٧١

(٦) الورقة الـ ٧١ وعلم زمن الوفاة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله

الكتابين انه الثامن والعشرين [١] من شهر ذي القعدة ، لا تاسع عشري الشهر وهذا ناشيء عن الاختلاف في مبتدإ الشهر ، وهـذا الخلاف أسهل منه في تحديد السنة بـ ٩٢٢ لا ٩١١ – فهنا فرق احدى عشرة سنة .

وأغرب من ذلك ما جاء في « خلاصة الأثر » [٢] : ان السمهودي توفي سنة إحدى عشرة بعد الألف ، وبهذا اغتر طابعو كتابي « وفاء الوفا » و « خلاصة الوفا » الطبعة الأولى فوضعوه تاريخاً لوفاة السيد السمهودي ، والاقرب إلى الصواب – كما تقدم – ما جـاء في « التحفة » [٣] ونصه : (واستمر على ذلك حتى مرض ثلاثة ايام ، ومات في يوم الخميس ثامن عشري ذي القعدة عام احدى عشرة وتسعمائة ، وصلى عليه بالروضة الشريفة بعـد صلاة العصر ، ووقف بجنازته عند وجه جده المصطفى ﷺ [٤] ودفن بالبقيـع خلف قبة الإمام مالك (ض) [صلىّ عليه] شهاب الدين أحمد الامشيطي ، بوصية صحبته ، رحمه الله ورضي عنه) وهذا مما أضيف بعد السخاوي – كما تقدم – ويظهر أنه من كلام ابن فهد .

تراثه العلمي :

مؤلفاته : لقد وجد السمهودي في مكتبات المدينة ذخيرة من المؤلفات في تاريخ هذه البلدة الكريمة فاستصفاها واستخلصها وحاول ان يقدم للقارىء خلاصتها ، وتم له كل ذلك بمؤلفيه اللذين وصلا الينا . وهو في عمله هذا لم يقف عند حد الاستصفاء والاستخلاص والاختصار ، بل قام مقام المدقق المحقق الناقد الباحث ، شأنه في ذلك شأن علماء عصرنا المحققين الذين لايقفون

---

(١) وقع خطأ مطبعي في « النور السافر » ص ٥٨ هو (يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة) والصواب : ثامن عشري ذي القعدة .

(٢) : ١/٤٣

(٣) ص ٣٤

(٤) الوقوف بالجنائز امام القبر الشريف من البدع المحدثة في الدين .

عند درجة الجمع وتقديم النقول ، بل يضيفون إلى ذلك ميزة التحقيق والتصحيح والنقد ، وبيان الوجه الصحيح من غيره ، وهو لم يكتف بمصادره التي سنشير الى أهمها – بل حاول الوقوف على كل ما استطاع الوقوف عليه من الآثار داخل المدينة ،وما يقربها من مساجد ودور وأمكنة، وأضاف إلى ما ورد في المصادر وصف ما شاهده ، وصفاً مبنياً على أساس قوي من محاولة تقديم صورة واضحة للموقع أو المكان من مختلف النواحي . وهو يستعين في ذلك في بعض الاحوال بما يتخذه علماء الآثار والباحثون من الوسائل ، فهو يسجل ما هو مكتوب ، وهو يصف نوع البناء للموضع ، وهو يحدد المسافة بينه وبين اشهر المواضع المعروفة ، وهو يوضح بين ما يذكره بناء على ما شاهده وما يورده من مصادره من خلاف ، مبيناً ما يراه صواباً وعلى هذا يصح القول بان السمهودي هو أوثق مؤرخ للمدينة الكريمة واوسع اطلاعاً وأقوى خبرة ومعرفة ، وعلى هذا فشهادة المؤرخ السخاوي في محلها عندما قال عنه [١] : (وكنت أول من نوه بمصنفه في ذلك وقرظه بما لا يشتبه للسالك ، وكيف لا ؟ وهو عالم المدينة حساً ومعنى ، والقائم بالارشاد للعلوم النقلية والعقلية بالحسنى ، بل هو أعلم من علمته الآن من دلال ، الجدير بإحياء معاهد جده سيد الخلائق ممن مضى وآل ، ولذا جدد مكتومها ، وحدد رسومها ، وأراح من بعده ، واستراح من لم يجتهد جهده ، وهو صاحبنا وحبيبنا السيد العلامة ...) الخ . وقال صاحب « كشف الظنون : (الغاية في هذا الباب تاريخ السمهودي) .

أما قول السخاوي نفسه : ([٢] وللسيد نور الدين السمهودي في تاريخها مؤلف مفتقر إلى تحرير ونظر) . فتلك شنشنة عرف بها السخاوي ، وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن يحكم على علم السخاوي بأنه فيما يتعلق بالمدينة وهو

---

(١) « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » ١ / ٧

(٢) « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

لم يزرها إلا لِماماً في فترات متقطعة – أوسع علماً من السمهودي الذي تبوأها داراً ، واتخذها موطناً ، وتصدّى لتاريخها تصدّياً استغرق قرابة ٣٨ عاماً، وهو زمن ليس بالقصير ؟!

لقد صرف السمهودي همّه وحصره في تدوين كل ما يتعلق بالمدينة من تأريخها وإيضاح مواضعها الأثرية ، ووصفها ، وتحديد معالمها ، فأتى من جميع ذلك بما لم يأت به غيره ، وجمع منه ما لم يتيسر لأحد جمعه .

ولم تقف مؤلفاته عند هذا الحد، بل ألّف في الفقه وفي غيره من العلوم ، فقد سرد السخاوي من تلك المؤلفات أسماء ٣٨ بين رسالة وكتاب[1] ، وقد عاش السمهودي فترة من الزمن بعد تأليف كتاب السخاوي ، ليس من المستبعد أن يكون ألّف خلالها أو أكمل شيئاً من مؤلفات لم يذكرها السخاوي . ومع ان كثيراً من مؤلفاته احترق ، إلا أن ما بقي منها يعتبر ثروة طيبة ، لو فقدناه لفقدنا علماً غزيراً ، وخاصة ما يتعلق بتاريخ المدينة مما فقدت أصوله

ونكتفي الآن بذكر أهم مؤلفاته – على حروف المعجم – :

١ – الأنوار السنية ، في جواب الأسئلة اليمنية – مخطوط في الخزانة العامة بمدينة الرباط في المغرب ، وفي خزانة كتب الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في تونس .

٢ – الإفصاح في شرح الإيضاح ، في مناسك الحج ، وسماه القطبي مؤرخ مكة في « الأعلام » : إيضاح المناسك.

٣ – اقتضاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى ، وجاء اسمه في « النور السافر »[2] و « كشف الظنون »[3] وغيرهما : اقتفاء الوفا ، ولا أراه صحيحاً ، إذ الوفاء يقتضى ، لا يقتفى.

وهذا هو الكتاب الذي أراد السمهودي أن يكون جامعاً لكل ما يتعلق

---

(١) « التحفة » ٤/٣٣ .
(٢) ص ٥٩ .
(٣) ص ٢٠١٦ .

بالمدينة من اخبار ووصف وتاريخ ، غير انه لم يتمكن من اتمامه ، كما نص على ذلك في مقدمة « وفاء الوفا » وقد احترقت مسودته مع كتبه التي احترقت اثناء التهام الحريق للمسجد النبوي الكريم ، في ١٣ رمضان سنة ٨٨٦ ﻫ كما تقدم .

٤ — امنية المعتنين بروضة الطالبين ، الروضة كتاب في الفقه الشافعي معروف ، للامام النووي ، والسمهودي شافعي المذهب ، وكان يتولى تدريسه فوضع حاشية عليه وصل فيها إلى باب (الربا) ولم يكملها[1].

٥ — جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ويعني بهما شرف العلم وشرف النسب ، وهو — كما تقدم شريف النسب — ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة.

٦ — خلاصة الوفا، باخبار دار المصطفى — وهو مختصر « وفاء الوفاء» — الفه سنة ١٨٩١ ،وقدطبع مرتين اولاهما في بولاق سنة ١٢٨٥ ﻫ ، ولكنهما غير محققتين وترجم إلى اللغتين الفارسية والتركية . وفي هـذا الكتاب ما لا يوجد في أصله مما يدل على انه أضاف اليه أشياء[2] .

٧ — در السموط — رسالة في بيان شروط الوضوء في ٢٥ صفحة طبعت ببولاق سنة ١٢٨٥ ﻫ .

٨ — دفع التعرض والانكار ، لبسط روضة المختار ، حدّد فيه مدلول حديث : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » وقـد ذكره في « وفاء الوفا » .

٩ — الغماز على اللماز (رسالة مخطوطة في دار الكتب المصرية) .

١٠ — الفتاوى — بلغ السمهودي درجة من العلم هيأته ليكون مرجعـاً للسائلين ، وتولى وظائف كان على من قام بها ان يجيب على ما يوجه اليه من اسئلة فقهية ، وقد كانت فتاواه وأجوبته معروفة مشهورة في عهده جمعت في مجلد .

---

(١) « التحفة اللطيفة » ٣٣/٤

(٢) انظر مثلاً : (ضباء — ضفر) من الخلاصة فهاتان المادتان لم تردا في « وفاء الوفاء » وقد نقل ما اورد فيهما عن كتاب « الروض المعطار » على تحريف وتصحيف فيها .

١١ – كشف الجلباب والحجاب ، عن القدوة في الشباك والرحاب، وهذا موضوع يتصل بموضع من مواضع المسجد النبوي الكريم ، الف السمهودي فيه رسالة ذكرها في « وفاء الوفا » .

١٢ – المواهب الربانية في وقف العثمانية – ذكره السخاوي .

١٣ – النصيحة الواجبة القبول في بيان موضع منبر الرسول – ذكره في « وفاء الوفا » .

١٤ – نصيحة اللبيب في مرأى الحبيب – ويقصد رؤية الرسول ﷺ في المنام ، ذكره في « وفاء الوفا » .

١٥ – الوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى – وسيأتي الكلام عنه – .

١٦ – وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى .

وهو مختصر كتاب « اقتضاء الوفا » (اختصاراً مع توسط غير مفرط [١]) وقد كانت مسودة هذا الكتاب مع المؤلف حينا احترق المسجد النبوي وهو في مكة ، ولهذا سلم من الحريق . وقد أضاف اليه أمورا لا توجد في أصله ، مما وقع بعد الحريق وقال عنه : (فرغت من تأليفه في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٨٨٦ في المدينة ، ثم بلغني بعد الرحلة إلى مكة المشرفة ما أصيب به المسلمون في حريق المسجد فألحقته في محله . وكان الفراغ من تبييضه [illegible] المسجد الحرام المكي في سلخ شوال سنة ٨٨٦ ثم الحقت فيه ما سبق ذ[illegible] العمارة المتجددة بعد رجوعي الى المدينة سنة ٨٨٨) اهـ باختصار . ويظهر أنه كان يضيف اليه بعد هذا التاريخ ما يستجد إلى ما قبل وفاته ، فقد ذكر في كلامه على معاليق الحجرة – وقد نقلنا قسما منه في آخر هذا المجموع – نهب حسن ابن زبيري المنصوري تلك المعاليق وذلك في سنة ٩٠١ هـ [٢] .

ولا نطيل بوصف هذا الكتاب هو ومختصره « الخلاصة » فهما بين يدي القارىء ، ولكننا نكتفي بالقول بان السمهودي لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بالمدينة النبوية إلا ذكرها – باستثناء جانب واحد سنشير اليه فيما بعد .

---

(١) مقدمة « وفاء الوفا » ص ٢ .

(٢) « وفاء الوفاء » ص ٩٥٠ .

فلقد تحدث عن الفضائل فأوفى الحديث حقه، والمتقدمون كانوا يتساهلون بذكر الاخبار والآثار الواردة في الفضائل بصرف النظر عن درجتهـــا من الصحة ، وهذه حالة السمهودي في هذه الناحية ، والسمهودي فقيه ومحدث ولهذا حشد في كتابيه الكثير مما في كتب الفقه والحديث مما يتعلق بالمدينة ، وان لم يكلف نفسه عناء التثبت من صحة ما ذكره ، كحالة المرء عندما ينظر الى ناحية تتعلق بمحبوبه .

ثم أتى إلى التاريخ القديم للمدينة فأورد ما عرفه منه ايراداً قائماً على أساس النقل، كسكنى العمالقة واليهود ثم سكنى الأنصار (الأوس والخزرج) وأورد فصلا ممتعاً عن خطط المدينة إبّان الهجرة النبوية الكريمة: ذكر مساكن اليهود، ومنازل الأوس والخزرج ، قبل ذلك ، وأوضح منازل المهاجرين .

وانتقل بعد ذلك الى الآثار الاسلامية من تاريخ المسجد النبوي وما يحويه من قبور كريمة ، وما طرأ عليه من تغيير الى عهده .

وأردف ذلك بذكر الآثار النبوية من مساجد ، وذكر أشهر الدور القريبة من المسجد ، وأضاف الى هذا ذكر الامكنة الأخرى كالبقيع وأودية المدينة وأحمائها(جمع حِمى)وخصص قسماً للأمكنة والمواضع المتصلة بالمدينة ،أو المضافة اليها أو القريبة منها، سيراً على طريقة من تقدمه من مؤرخي المدينة، كالفيروز آبادي متخذاً كتابه أساساً لذلك ، ومميزاً ما زاده وختم الكتاب خاتمة تقوم على أساس العاطفة الدينية القوية. وبالاجمال فإن مؤلفه هذا ومختصره هما الدعامة القوية التي تقوم عليها دراسة كل من يعنى بتاريخ هذه البلدة الكريمة.

وهناك جانب من تاريخ المدينة أهمله السمهودي ، وهو تراجم مشهوري أهلها ، والمقيمين فيها ، أو الوافدين عليها ممن لهم أثر من نشر العلم، أو تجديد آثار ، أو غير ذلك ، وقد تصدى لهـذا الجانب مؤرخون كان من آخرهم السخاوي ، صديق السمهودي ومعاصره ، وصاحب كتاب «الضوء اللامع» ، وغيره من المؤلفات . فقد الف كتاباً دعاه « التحفة اللطيفة في تاريـخ المدينة الشريفة » ذكر في مقدمته من عني بهذه الناحية ، وأورد خلاصة وافية عن

تاريخ المدينة ، استقاها من مؤلفات السمهودي ، كما صرح بذلك في المقدمة. غير ان مما يؤسف الباحث ان كتاب «التحفة» لم يعرف منه حتى الآن نسخة كاملة ، وإنما وصل الينا منه نسخة ناقصة مع ان الكتاب كان معروفاً إلى عهد ليس بالبعيد فقد نقل عنه الموسوي في « نزهة الجليس » في ترجمة محمد بن الحنفية ، ونقل عنه غيره ، وهذه النسخة الناقصة كانت في المدينة كما يفهم من كتابات في طرتها حوت اسماء علماء مدنيين .

وقد طبع من كتاب «التحفة» ثلاثة أجزاء كاملة ، ومن الجزء الرابع الى (عياش بن سليمان) وهي الترجمة الـ٣٣٥٦ — في ١٩٢ صفحة ، والباقي من النسخة المخطوطة من بقية حرف العين الى آخر ترجمة (محمد بن مبارك القسطنطيني المغربي المالكي) وبعدها : (آخر الثلث ، الجلد الثاني من تاريخ المدينة الشريفة لشيخنا العلامة ... السخاوي ... وكان الفراغ من كتابته في يوم الأحد ٢١ ذي القعدة سنة ٩٥٢ ...) وأصل النسخة في إحدى مكتبات اصطنبول ، وهو من مصورات (معهد المخطوطات) في القاهرة ، ويظهر ان الباقي من الكتاب يقارب الثلثين ، إذ اكثر التراجم هم المحمدون ، وليس في المخطوطة منهم سوى اليسير .

والمطبوع من « التحفة » كثير الخطأ ، لأن المخطوطة سيئة الكتابة وقد طبع أكثره على نفقة أحد اثرياء الحجاز ، بمقدمة للدكتور طه حسين ، وباشراف السيد اسعد طرابزوني من أدباء المدينة ، في مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٦ (١٩٥٧) وما بعدها .

ويحسن أن نشير إلى أن مطبوعة « وفاء الوفاء » التي وصلت إلينا فضلاً عما شان جلّ صفحاتها التي تبلغ ١٤٢٣ صفحة من الأخطاء — قد وقع فيها اضطراب وخلل فيما نقله السمهودي من كلام الهجري على الأحماء — جمع حِمَى — نوضحه فيما يلي :

(١) انهى الكلام على حمى الربذة بالكلام على الأقمسية[١] مياه بأصل عمود الأقمس ، وذكر بعدها حمى ضرية ، والواقع أن للكلام بقية خلطها في الكلام على حمى ضرية هي قوله[٢] : (ثم يلي الأقمس عن يسار المصعد) إلى قوله: (ثم رحرحان)

(٢) في الكلام على حمى ضرية : تكلم على الجثجاثة والنقر بإقبال نضاد وأورد بعد ذلك الكلام عن الأقمس .

ولا صلة له بهذا الموضع فهو في حدود حمى الربذة ، كما سبقت الاشارة إلى ذلك وإنما بقية الكلام قوله : (ثم سويقة هضبة حمراء طويلة)[٣] .

٣ — وفي كلامه على حمى فيد قال : (ثم يليها على الحجة أكمة مشرفة على الأجفر ، ثم سويقة) وسويقة في حمى ضرية — كما تقدم ، وصواب الجملة: ثم يلي هذه الصحراء الثلم آكام متشابهة مشرفة على الأجفر ، وأقرب المياه منها الزولانية[٤] وبقية الكلام يظهر أن السمهودي لم ينقله وهو في « معجم ما استعجم » للبكري ، ونقلته في كتابي عن الهجري[٥] .

٤ — وقال في آخر كلامه على حمى ضرية : (ثم يلي كبد منى هضب الأشيق[٦] : هذا آخر ما لخصته من كتاب الهجري) وصواب الجملة : (ثم يلي كبد مني هضب الأشيق . وحكي ابن جنى[٦] في « النوادر الممتعة » الخ الكلام على الاحماء وقد ادخل كلام ابن جني فيما لخصه عن الهجري .

ويظهر أن السمهودي نقل كلام الهجري عن نسخة مختلة الترتيب فوقع الخلل في كلامه بإدخال مواضع في غير محلها والخلط بين أمكنة كثيرة في الاحماء[٧] .

---

(١) ص ١٠٩٢ .
(٢) ص ١١٠٠ .
(٣) آخر صفحة ١١٠٣
(٤) ص ١١٠٣ ايضاً .
(٥) : « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ص ٢٨٤
(٦) ص ١١٠٦
(٧) ص ١١٠١

مصادر السمهودي :

سَعةُ علم السمهودي وتنوّع معارفه مكّناه من الاطلاع على مؤلفات كثيرة في مختلف فنون العلم من تاريخ وحديث وفقه وأدب وغير ذلك ،ولهذا فمن الصعب إيراد جميع أسماء الكتب التي نقل عنها لأنها تبلغ المئات ولا مبالغة في هذا ، ولكننا نحب أن نقدم للقاريء أهم الكتب التي رجع اليها واستقى منها كثيراً من معلوماته ومنها ما لا يزال مجهولاً ، ومنها ما هو مخطوط ، وقد رتبنا هذه المصادر باعتبار أسماء مؤلفيها على حروف الهجاء .

١ – أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي القاهري المدني (٧٢٧–٨١٦) لخص كتابي ابن النجار والمطري ، وذيّل عليها بكتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » وقد طبع الكتاب طبعة كثيرة الأخطاء .

٢ – رزين بن معاوية العبدري السرقسطي الأندلسي إمام الحرمين (٠٠٠– ٥٣٥ هـ) جاور بمكة زمناً طويلاً ، وألف كتاب « أخبار دار الهجرة » ذكره المراغي في « تحقيق النصرة » وقد استقى منه السمهودي كثيراً من المعلومات .

٣ – الزبير بن بكار المدني القرشي (١٧٢ – ٢٥٦) العالم الجليل صاحب المؤلفات الكثيرة التي وصل الينا منها «جمهرة أنساب قريش واخبارها »ناقصا و«الموفقيات» .

وقد ألف كتاب «أخبار المدينة» ويظهر أنه روى كثيراً منه عن شيخه ابن زبالة ، وان السمهودي لم يطلع عليه، وقد اطلع على كتاب الزبير صاحب «المغانم المطابة» الآتي ذكره ، ونقل عنه كثيراً في هذا الكتاب ، وإنما اطلع على كتابه عن «العقيق» فنقل عنه واكثر النقل وهو يسميه «معارف العقيق» وينقل ايضاً عن كتابه في « النسب » .

٤ – عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر أبو اليمن الدمشقي ثم المكي (٦١٤ – ٦٧٦) له كتاب : «اتحاف الزائر» في تاريخ المدينة من مصادر

السمهودي ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة لدى الشيخ محمد سلطان النمنكاني الكتبي في المدينة المنورة

٥ – عبدالله بن عبد الملك المرجاني المدني التونسي الأصل ، توفي بعد الستين والسبعمائة ، له كتاب « بهجة النفوس والأسرار ، في تاريخ دار هجرة المختار » ألف سنة ٧٥١ [١] .

٦ – عبد الله بن محمد بن احمد المطري،عفيف الدين المدني (٦٩٨ – ٧٦٥) له كتاب « الاعلام بمن دخل المدينة من الاعلام » اطلع عليه السمهودي واستفاد منه .

٧ – عبد الله بن محمد بن فرحون المدني بدر الدين (٦٩٣ – ٧٦٩) له كتاب « نصيحة المشاور وتعزية المجاور » يتعلق بتاريخ المدينة من مصادر السمهودي ، كما ينقل عن شرحه للموطأ ايضاً ، ولكن بقلة .

٨ – عرام بن الاصبغ الاعرابي السلمي (من أهل القرن الثالث) الف رسالة عن جبال تهامة ومياهها ذكر فيها كثيراً مما حول المدينة ، وقد اطلع السمهودي عليها ونقل عنها ورسالة عرام طبعت مراراً ونقل البكري والحازمي وياقوت كل ما فيها .

٩ – عمر بن شبة النميري البصري (١٧١ – ٢٦٢) من كبار العلماء واجلائهم وله مؤلفات كثيرة لا تزال مفقودة، ومن أشهرها « أخبار المدينة » رأى الحافظ الذهبي نصفه .

وقد وصل إلينا من هذا التاريخ قطعة اطلع عليها السمهودي ونقل عنها كثيراً ، وهي الآن في مكتبة رباط مظهر في المدينة [١] . ويظهر أن كثيراً من كلماتها استعصى فهمه على السمهودي فتركها وقرأ بعضها قراءة غير صحيحة .

---

(١) : « التحفة » ٢/٤٥٣ .

(٢) انظر وصفها في جزء شوال من مجلة « العرب » في سنتها الرابعة .

١٠ — محمد بن احمد الأسدي : أكثر النقل عن هذا ولا سيما في وصف الطريق من المدينة الى مكة ، وذكر عنه أنه من أهل القرن الثالث الهجري، وان له منسكا ، والواقع ان النقول التي أوردها هي من كتاب « المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » ، الذي نشرناه وحققنا نسبته إلى الامام ابي اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربي البغدادي (١٩٨ — ٢٨٥) ويظهر ان السمهودي اطلع على نسخة من هذا الكتاب من رواتها هذا الذي دعاه الأسدي ويظهر ايضاً انه لم يطالع النسخة كلها لان فيها نقولاً عن كتاب يحيى الحسني في تاريخ المدينة ولم يرد لها ذكر في كتابي السمهودي، ونقولا في تحديد مواضع بقرب المدينة لم يذكرها ايضاً .

١١ — محمد بن احمد بن امين الآقشهري (٦٦٥ — ٧٣١) له كتاب « الروضة الفردوسية في اسماء من دفن في البقيع » و « منسك القاصدالزائر» نقل عنها السمهودي ، وقد اطلع الاقشهري على نسخة من كتاب ابن شبة فنقل منها نصوصاً لا توجد في القطعة الباقية التي وصلت الينا مما يفتح لناباب الأمل بوجود تلك النسخة في احدى مكتبات تركية ، فهذا العالم من تلك البلاد من (آق شهر) وعهده ليس ببعيد .

١٢ — محمد بن احمد بن علي القسطلاني قطب الدين (٦١٤ — ٦٨٦) له رسالة دعاها « عروة التوثيق في النار والحريق » تتضمن تفصيل خروج النار « البركان » في سنة ٦٥٤ وحريق المسجد النبوي الكريم في السنة نفسها ، وقد لخصها السمهودي في كتابه .

١٣ — محمد بن احمد المطري ، جمال الدين المدني (٦٧١ — ٧٤١)له كتاب « التعريف بما انست الهجرة ،من معالم دار الهجرة» ذيل به كتاب « الدرة الثمينة » لابن النجار ،والكتاب لا يزال مخطوطاًومنه نسخ كثيرة .

١٤ — محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي المدني ، وهو من أوائل من ألف كتاباً في تاريخ المدينة ألفه سنة ١٩٩ ، وقد اطلع على كتابه السمهودي ،

فأكثر النقل عنه، ويعتبر من أهم مصادره وقد فقد الكتاب بعد عصر السمهودي.

١٥ — محمد بن عبد الملك المرجاني المدني (٧٢٤ — ٧٨١) له كتاب في تاريخ المدينة، نقل عنه السمهودي كثيراً.

١٦ — محمد بن عمر الواقدي (١٣٠—٢٠٧) أحد أوائل المصنفين المكثرين في التاريخ، وقد افرد وقعة الحرة سنة ٦٣ من الهجرة برسالة اطلع عليها السمهودي فلخصها.

١٧ — محمد بن محمود بن النجار البغدادي الحافظ (٥٧٨ — ٦٤٣) ألف في تاريخ المدينة «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» وهو كتاب صغير طبع مرتين بدون تحقيق، وقد ذيله أبو العباس العراقي ذيلا وصل إلى السمهودي، فاستفاد من الكتابين، ومن ذيل ابن النجار على تاريخ بغداد.

١٨ — محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي مجدالدين (٧٢٩ [1] — ٨١٧) العالم اللغوي المعروف ومن مؤلفاته الكثيرة «المغانم المطابة في معالم طابة» طبع القسم المتعلق منه بالمواضع، والباقي لا يزال مخطوطاً، وقد اتخذ السمهودي هذا الكتاب أساساً بنى عليه كتابه «وفاء الوفاء» فأكثر النقل عنه، وأضاف إليه اضافات كثيرة وصحح بعض اخطائه، وأخطاء غيره من المؤرخين.

١٩ — هارون بن زكريا الهجري (من أهل القرن الثالث والرابع) [2] أكثر السمهودي النقل عنه في الاحماء (جمع حمى) وفي العقيق وفي مواضع أخرى بقرب المدينة، وأشار إلى أن له كتابا عن العقيق.

٢٠ — ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ — ٦٢٦) مؤلف كتاب «معجم البلدان» وهو من مصادر «المغانم المطابة» حيث نقل عنه كل ما يتعلق بالمواضع المضافة الى المدينة، وقد رجع اليه السمهودي أيضا فنقل كل ذالك.

---

١ — يرجى تصحيح تاريخ وفاة الفيروز آبادي في مطبوعه «المغانم» كما جاء هنا.

(٢) للترسع في ترجمته انظر كتابنا «ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع».

٢١ – يحيى بن الحسن الحسيني المدني (٢١٤ – ٢٧٧) وله كتاب في تاريخ المدينة ، وصل الى السمهودي منه ثلاث نسخ ، وهو من مصادره التي نقل عنها فأكثر النقل ، والكتاب مفقود .

احتراق كتب السمهودي :

وقع حريق في الحرم النبوي الشريف في ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ٨٨٦ هـ أوضح سببه السمهودي نفسه في (الباب التاسع والعشرين) من كتاب « وفاء الوفاء » [١] ، وكان حين وقوع ذلك الحريق متوجهاً إلى مكة للاعتمار . ومما جاء في وصفه : (وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه ، وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه أوّلاً ، وهو يسير ، وغير القبة التي في صحن المسجد ، وسبق ذكر سلامتها في الحريق الأول [٢].

وكنت تركت كتبي بالخلوة التي كنت أقيم بها في مؤخر المسجد ، فكتب إليّ باحتراقها ، ومنها أصل هذا التأليف ، وغيره من التآليف والكتب النفيسة ، نحو ثلاث مئة مجلد ، فمَنّ الله عليّ ببرد الرضا والتسليم) .

اننا باستعراض مصادر السمهودي في مؤلفاته نجد بينها أقدم ما أُلّفَ في تاريخ المدينة ، كتاريخ ابن زبالة ، ونوادر الهجري أو كتابه عن العقيق ، وكتاب الزبير بن بكار عنه وغيرهما مما نعتقد أن ذلك الحريق أتى عليه فيما أتى عليه مما في الحرم ، ولم يبق لنا منها سوى ما وصل الينا من طريق السمهودي أو غيره من نقول العلماء عنها .

---

(١) ص ٦٣٣ وما بعدها .

(٢) هو الواقع في رمضان سنة ٦٥٤ وقال عنه : (ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف العثماني وعدة صناديق كبار .. وذلك لكون القبة بوسط صحن المسجد).

شعره : وللسمهودي نظم أورد منه ٢١ بيتاً من قصيدة نبوية قال انها تزيد على ستين بيتاً مطلعها : [١]

يُضَامُ بحيّكم يا عُرْبَ رامَةْ تزيلٌ أنتم صرتم مرامَهْ ؟ !
ويعدو من اعاديه عليه عداةٌ صار قصدهم اهتضامَهْ

واورد له صاحب « النور السافر » [٢] :

تحكم الحبُّ مني كيف أكتمه ؟ أم كيف أخفي الهوى والدمع يظهره
أهوى لقاه ، ويهوى سيدي تلفي (ما كل ما يتمنّى المرء يدركه) ! !

وأردنا بإيراد هذين المثلين إيضاح قول السخاوي : (وبالجملة فهو جمال لأهل المدينة ، عالم مفنن ، متميز في الفقه والأصلين ، مع نظم ونثر) . ولا يضير السمهودي بأن يوصف بأنه ناظم لا شاعراً كما قيل :

إذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده
فقل أنا نظامٌ وما أنا شاعِرُ

(١) : « وفاء الوفاء » ص ١٣٨٦

(٢) ص ٦٠

كتاب الوفا بما يجب لحضرة المصطفى

وقع الخلط بين هذا الكتاب وبين كتاب « اقتضاء الوفاء » المتقدم ذكره من الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد[١] حيث ظنها واحداً والواقع أن هذا الأخير الف في موضوع خاص ، اوضحه المؤلف في المقدمة حينما قال : (عامة تواريخ المدينة التي وقفت عليها تواطأت على ان المسجد النبوي لما احترق سنة ٦٥٤ سقط من سقفه ما كان على الحجرة المقدسة فوقع على سقف بيت النبي ﷺ فوقعا جميعاً على القبور المقدسة ، فلم يحسروا على ذلك وتركوه على ما هو عليه) إلى آخر ما ذكر ، وذكر في هذا الكتاب حكم ازالة تلك الاشياء التي سقطت على القبور... اما اقتضاء الوفاء (بالضاد بعد التاء) فهو كتابه الشامل في تاريخ المدينة الذي احترق.فاختصره بكتابيه « وفاءالوفاء» و « خلاصة الوفاء » .

وقد ألف كتابه « الوفاء » في شهر ربيع الثاني سنة ستوسبعينوثمان مئة -أي قبل تأليف « وفاء الوفا »[١] ولهذا فهو يذكره في هذا الكتاب ويحيل اليه في مواضع كثيرة ، وفي كتاب « الوفا » يذكر كتاب « اقتضاء الوفا » معبراً عنه باسم (الأصل) في مواضع ، ذلك انه الف « الوفا » قبل احتراق الكتاب الأول . وموضوع كتاب « الوفا » أوضحه المؤلف في المقدمة، وقد سعى لدى السلطان الأشرف قايتباي حتى حقق الله أمنيته وهي إزالة ما تراكم من آثار البناء داخل الحجرة المطهرة وذلك في ١٥ شعبان سنة ٨٦٨ كما أوضح ذلك في كتابه « وفاء الوفا » فقال :

وقد كنت في تعجب عظيم من أهل ذلك الزمان في تركهم لذلك ، والفت كتاباً سميته « الوفا » بما يجب لحضرة المصطفى » بينت فيه ان الواجب في سلوك الأدب مع هذا النبي العظيم ، والقيام بما وجب على الامة من تعظيمه وتعظيم قبره الشريف ، هو ازالة ذلك عنه وقَمُّهُ من حجرته الشريفة ، حتى

---

(١) : انظر مقدمة « وفاء الوفا » ص ٢ — الطبعة التي حققها الاستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد.

اتفقت العمارة الآتي بيانها ولم يكن تأليفي السابق سبباً في شيء من ذلك حتى اني لم أطلع عليه متولي العمارة إلا بعد هدمه لشيء من جدار الحجرة فلما نقبوا الجدار الظاهر شاهدت بين الجدارين في الفضاء الذي خلف الحجرة أمراً مهولاً من الهدم الذي خص ذلك الموضع ، فإنه كان فيه نحو القامة فعلمت ان اهل ذلك الزمان لم يتركوه إلا لعلمهم بأن ازالته لاتتأتى إلا بانتهاك الحرمة فتوقفوا في ذلك فجزاهم الله تعالى خيراً ، وما كنت أعتقد إلا انه أمر خفيف يتأتى قَمّه مع رعاية الأدب فوجدته أمراً مهولاً معظمه ردم سقف المسجد الأعلى وما بين السقفين من البناء الذي على رؤوس السواري ، وغير ذلك ولذلك استخرت الله تعالى في عدم حضور ذلك عند إخراجه [١] .

وقال أيضاً :

ثم في خامس عشر الشهر المذكور حضروا لتنظيف ذلك وتوجه متولي العمارة لشيخنا العارف بالله تعالى سيدي شهاب الدين الابشيطي قدس الله روحه وسأله في الحضور للتبرك به فحضر من خارج الجدار وامتنع من الدخول وقرأ الفاتحة وقال : نظفوا على بركة الله ثم انصرف ، وقال لي بعد ذلك : ذكروا لنا ان هدم ذلك ضروري فقلنا لهم : الضروري يعمل . فلما دخلوا لإزالة ذلك شاهدت أمراً مهولاً من ردم الحريق بحيث لم تتأت ازالته الا بالمقل والمساحي وتحققت بسبب ذلك عذر من أدرك زمن الحريق في عدم ازالة ما بالحجرة الشريفة منه كما قدمناه ، وكان ارتفاعه في ذلك المحل نحو القامة وهو ردم من السقف الأعلى وجُصّ وآجر من الجدار الذي كان بأعلى سقف المسجد ، لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها وما كان على رؤوس الأساطين وما احترق من أخشاب ذلك فاشتغلوا بتنظيفه وتزاحم الناس عليه فاستمروا في ذلك حتى بلغوا في تنظيفه الأرض القديمة بحيث ظهر تحصيب ذلك المحل بحصباء تشبه ما في المسجد غير انها قد اسودت من نداوة الأرض) [٢] .

---

(١) : « وفاء الوفاء » ص ٦٠١ (٢) ص ٦٢١

كما سُدّ الممر الضيق الذي كان يتصل من المسجد النبوي إلى دار آل عمر المسماة خطأ دار العشرة والذي ذكر بعض مفاسده [١] .

والغاية التي ألف كتاب « الوفا » من أجلها عرضة للتجدّد في كل زمان ، ولهذا فإن نشره مما تدعو اليه الحاجة ، فضلاً عن كونه يحوي معلومات قيمة ذات صلة بتاريخ طيبة ، ومنها ما لم نر له ذكراً في كتاب « وفاء الوفاء » ومنها ما ذكر عن صلاة التراويح ، واوقات زيارة النساء للحرم الشريف ، وبعض ما أورده عن مسجد العيد المصلّ .

وفي هذا الكتاب أمور لا يصح السكوت عليها ، ذلك أن مؤلفه العلامة الجليل عاش في عهد انتشرت فيه الخرافات والبدع ، ومع حرصه الشديدعلى التمسك بالسنة النبوية ونبذ البدع ، والدعوة إلى ذلك في مؤلفه هذا وفي غيره من مؤلفاته فقد وقع في هذا الكتاب وفي غيره من مؤلفاته بما وقع فيه غيره من بعض الأمور التي يجب التنبيه عليها ، لئلا تكون حائلاً دون الانتفاع بما في تلك المؤلفات من العلم الغزير .

١ – فأول هذه الأمور رأي المؤلف في مسألة التوسل بالنبي (ص) ومن المعلوم أن التوسل بمحبته عليه الصلاة والسلام ، وبطاعته ، وبالسير على منهاجه ، وبتقديم رأيه وقوله وعمله وشرعه على كل ما عداها ، هذا التوسل هو أساس الدين ولا يصح إسلام المرء بدونه ، غير أن بعض من ينتمون إلى العلم يقصدون نوعاً آخر هو دعاء الرسول والاستغاثة به ومعروف أن الدعاء والاستغاثة من أمور العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله . والمؤلف – والله يتجاوز عن سيئاته – سار على طريقة السبكي في هذه المسألة ، فأورد في « وفا الوفا » في الموضوع وفي زيارة قبر النبي (ص) أحاديث واخباراً وحكايات أوضح المحققون من العلماء عدم صحتها ، ولا نطيل بحث هذا الموضوع بل نكتفي بالاحالة إلى مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية ، في رده على البكري والأخنائي وغيرهما ،

---

(١) انظر صفحة ١٥٩ من هذا المجموع .

وعلى كتاب « الصارم المنكي في الرد على السبكي » لابن عبد الهادي ، وفي مؤلفات علماء الدعوة الاصلاحية السلفية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ما فيه مقنع لمن يريد اتباع الطريق القويم .

٢ – أورد السمهودي أن أهل المدينة [١] إذا قحطوا فتحوا كوة من الحجرة ، وأورد خبراً عن عائشة لما قحط أهل المدينة فشكوا إليها فقالت: فانظروا إلى قبر رسول الله (ص) فاجعلوا منه كوة إلى السماء الخ . ولا شكّ أن هذا الخبر غير صحيح ، فعمر بن الخطاب لما عمّ القحط عام الرمادة صلى الاستسقاء ولو كان فتح الكوة مشروعاً لم يعدل عنه ، ولعلمه الصحابة في ذلك العهد .

٣ – نقل أن الامام أحمد سئل عن مس القبر وتقبيله ، فقال : لا بأس بذالك [٢] .اهـ .

ومعروف حرص الإمام احمد رحمه الله على التقيد بالسنة . والمؤلف نفسه نقل في هذا الكتاب قول الغزالي انه من فعل النصارى [٣] .

كما نقل في «وفاء الوفاء» [٤] ما نصه : روي أن أنس بن مالك رأى رجلا وضع يده على قبر النبي (ص) فنهاه وقال : ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله (ص) وقد أنكره مالك والشافعي وأحمد أشدّ الإنكار . انتهى . وعلى هذا فاتباع السنة أولى ، وما نسبه المؤلف في «الوفا» إلى الإمام أحمد غير صحيح ، والصحيح هذا .

وهناك أمور أخرى يدركها القارىء كإيراد أحاديث ضعيفة ونقل أخبار غير صحيحة ، وغير ذلك مما لا تقل قيمة هذا الكتاب ، ولا غيره من مؤلفات الامام السمهودي ، هذا العالم الجليل الذي أحب المصطفى عليه افضل الصلاة والتسليم أعظم محبة ، وأحب لحبه طيبة الطيبة ، فكان أن تصدّى لتاريخها جامعاً ومحققاً ومؤلفا ، حتى أوفى على الغاية من ذلك ، فرحمه الله ، ورضي عنه وأرضاه : (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلّا للذين آمنوا) .

---

(١) ص ١٣٩ (٢) ص ١٥٨ (٣) ص ١٥٦ (٤) ص ١٤٠٢

مخطوطتا الكتاب: (١)في خزانة الاسكوريال في اسبانيا.وهذه المخطوطة من كتب ملك المغرب التي نهبت في البحر من أول القرن الحادي عشر الهجري وقد كتب في طرتها : (تاريخ المدينة الشريفة) ، ثم كلمة (سبعت دنانير) وفي الورقة الثانية : (الحمد لله . تملك هذا الكتاب عبدالله ووليـــه المعتمد عليه المفوض أمره إليه ، أبو فارس أمير المؤمنين بن الخلفاء الراشدين أمراء المؤمنين....) وتقع هذه المخطوطة – بما أضيف اليها في ٧٦ ورقة ، مكتوبة بالخط النسخي الجميل ، والورقة الأولى من الكتاب مذهبـــة بنقوش في أعلى الصفحة الأولى وإطارها وبعض كلماتها مكتوبة بماء الذهب ، ومـــع جمال خطها – الذي يظهر انه من خطوط اهل القرن العاشر–فهي كثيرة التحريف ويظهر ان ناسخها أعجمي يعني بجمال الخط ولا يفهم كثيراً مما يكتب ويقع الكتاب في هذه النسخة في ١٢٨ صفحة في الصفحة ١٨ سطراً ومن عيوب هذه النسخة بياض أشرنا إلى مواضعه في المطبوعة (٢) : وكنت اطلعت في مكتبة الحرم المكي على نسخة من هذا الكتاب وعنوانها:« ذروة الوفا ، بأخبار دار المصطفى » وهي كاملة وفيها ترقيع أكمله صاحبها الشيخ عبد الستار الدهلوي، رقمها ١٢٢١ من كتب الشيخ عبد الستار ، وتقع في ٨٥ ورقة عن ٧٥ صفحة في الصفحة ١٧ سطر بالخط النسخي ، وهي أقدم من نسخة الأسكوريال سوى اربع ورقات من آخرها (٧٩ وما بعدها) فقد كتبها الشيخ عبد الستار . ومع حرصي على الاستفادة من هـــذه النسخة اثناء الطبع فإنني لم أتمكن من ذلك إلا بعد الطبع مع أن الطريقة القويمة عدم نشر أي كتاب قبل جمع ما يمكن جمعه من مخطوطاته والمقارنة بينها واختيار أجودها وأصحها .

أما الاسم الوارد في مخطوطة الشيخ عبد الستار فهو من وضع الشيخ نفسه وهو خطأ ، إذ السمهودي نفسه سمّى هذا الكتاب مراراً في كتاب « وفاء الوفا[١] » بهذا الاسم الذي وضعناه له وتكاد مباحث كتاب «الوفا» توجد

---

(١) انظر مثلا ص ٦٠١/٦٠٣



الصفحتان الاوليان من مخطوطة (الاسكوريال) من كتاب « الوفا »

رواه الامام ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص
في انتقاء [illegible] في الرواية المتقدمة مما
بن منبه الى المصلى يرجح القول الثاني وظاهر صنيع
من ورد الحديث المذكور في ذلك الاثر على مسجد
المصلى انه المراد وقد نقل ذلك ملا مجد الدين
الشيرازي ثم قال واذا ثبت بما رويناه ان المصلى
الموجود هو مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في الاعياد
فالصلاة فيه يزداد فضلا ومزية على كل مصلى
في ازدياد ويخص الفائزون بالصلاة من الله
باسبغ نعم واياه نمنح الحائزون فضل الحضور اليها
فواه من قصرت عنها معالي مجد وايادي اياد
قال انشدنا ابو عمر عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الجوي
كتابة عن ابي البركات يمن بن محمد بن محمد العرباني
لنفسه هذه الابيات

ان عيدا بطيبة وصلاة ... بمصلى الرسول يوم عيد
نعم صاف واسع الشكر عنها ... فهي بشرى لكل عبد سعيد
كم تمنيتها فنلت التمني ... آخر العمر من مكان بعيد
واذا كان في البقيع ضريحي ... وتوسدت طيب ذاك الصعيد
فاشهدوا لي بكل خير فاني ... عند ربي في مبدئي ومعيدي

والمسؤول من الله تعالى ان يكمل لاهل هذا المصلى الشريف
عظيم منته بجعل مبنى على وفق طريقته صلى الله
عليه وسلم وسنته وان يجعل ذلك سببا لما يرضي الله
ورسوله وينيل الساعي في تمام ذلك ما امله كله
وسوله وان يجعلنا من المتبعين لسنة سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم قال مؤلفه رحمه الله تعالى
وادام النفع بعلومه كان الفراغ من جمعه ليلة الاثنين [illegible]
شهر ربيع الثاني سنة ست وسبعين وثمانمائة وكان
الشروع فيه بالمسجد الشريف النبوي ليلة الثالث عشر
من ربيع الاول من السنة المذكورة احسن الله تقضيها
بمنه وكرمه والله اعلم والحمد لله وحده وصلى
على رسوله وعبده سيد المرسلين
شفيع المذنبين سيدنا محمد
وآله وصحبه اجمعين
والحمد لله رب
العالمين
آمين تم
آمين

الصفحتان الاخيرتان من نسخة (الاسكوريال) من كتاب « الوفا »

كاملة في الكتاب الثاني. ولهذا كان خير عون على تقويم كثير من أخطاء الناسخ ، وهناك كلمات وأسماء لم يتضح وجه الصواب فيها إذ وردت في كل واحد من الكتابين بصورة تختلف عن الصورة التي وردت بها في الكتاب الثاني ، ولا مرجح لاحدى الصورتين . فجاءت في مطبوعة « الوفـــا » كما وردت في المخطوطة الاولى إذ مطبوعة « وفاء الوفاء » مملوءة بالأخطاء .

وحسب القارىء – من هذه المطبوعة – أن يجد بين يديه نسخة قد تكون أقرب إلى الصحة من أصلها المخطوط ، وقد يتمكن من تقويم أخطائها بمراجعة المستدرك في آخر هذه المقدمة ففيه تصحيح بعض الأخطاء ، اعتماداً على نسخة الشيخ عبدالستار - رحمه الله – وقد يتمكن من اصلاح بقية الأخطاء متى عثر على مخطوطة أوثق من مخطوطتينا. هذا مع الرجوع إلى ما تحت اليد من المراجع لإصلاح كثير من أخطاء هذا الكتاب ، بقدر الوسع .

ومع ان نسخة الشيخ عبدالستار أقدم من نسخة الاسكوريال ، كما يظهر من خطها ، وان أحد مالكيها من أسرة السمهودي ففيها عيوب (١) أخطاء وتصحيف (٢) عبثت الأرضة في بعض الصفحات فأحدثت ثقوباً في الكتابة خلاف الصفحات التي أكملها الشيخ عبدالستار بخطه (٣) بياض بمقدار صفحتين.

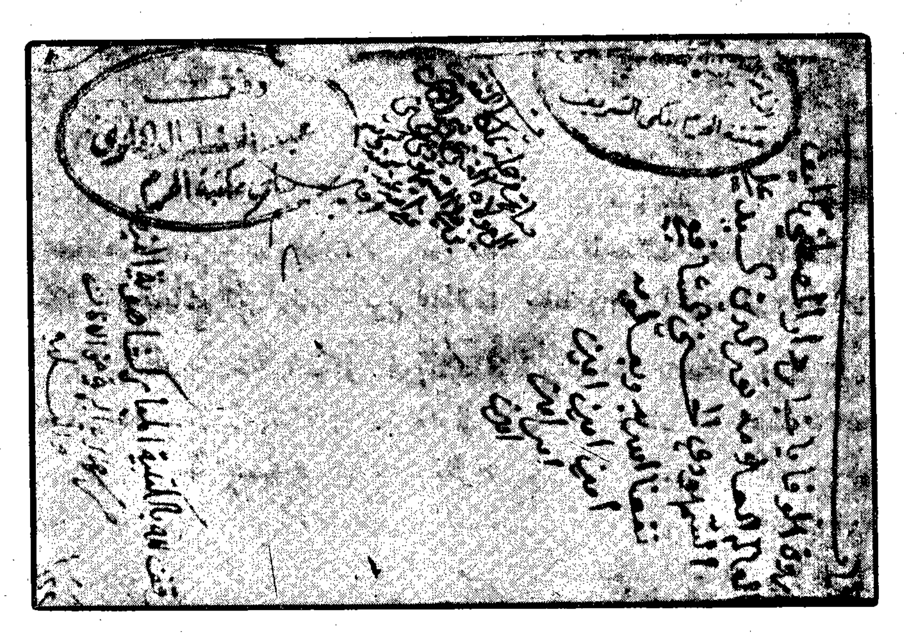
ويظهر أن نسخة الاسكوريال نقلت أولاً وان هذه النسخة بقيت لدى المؤلف فأضاف إليها إضافات لا توجد في الأولى ، ولكنها – بدون شك – لا ترقى إلى عهد السمهودي . أما عبدالرحمن بن علي السمهودي أحد ملاكها فقد ترجمه المرادي في « سلك الدرر [١]» فذكر أنه ولد في المدينة سنة ١٠٩٥ وأخذ عن علمائها وتولى إفتاء الشافعية فيها ، وكان أحد الخطباء والأئمة في المسجد النبوي ، لطيفاً حسن العشرة ، لم تعهد عليه زلة في فتواه ، يعلوه نور العلم وهيبة التقوى ، أمّاراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر وتوفي في المدينة سنة ١١٥٩ .

(١) ج ٢ ص ٣٠٨

وليس لهذه النسخة من مميزات سوى أن بعض الكلمات التي جاءت مصحفة في مخطوطة الاسكوريال وردت فيها صحيحة ، وبعض الكلمات التي لم تتضح في الصورة لكونها كتبت بمداد أحمر في مخطوطة الاسكوريال بدت واضحة .

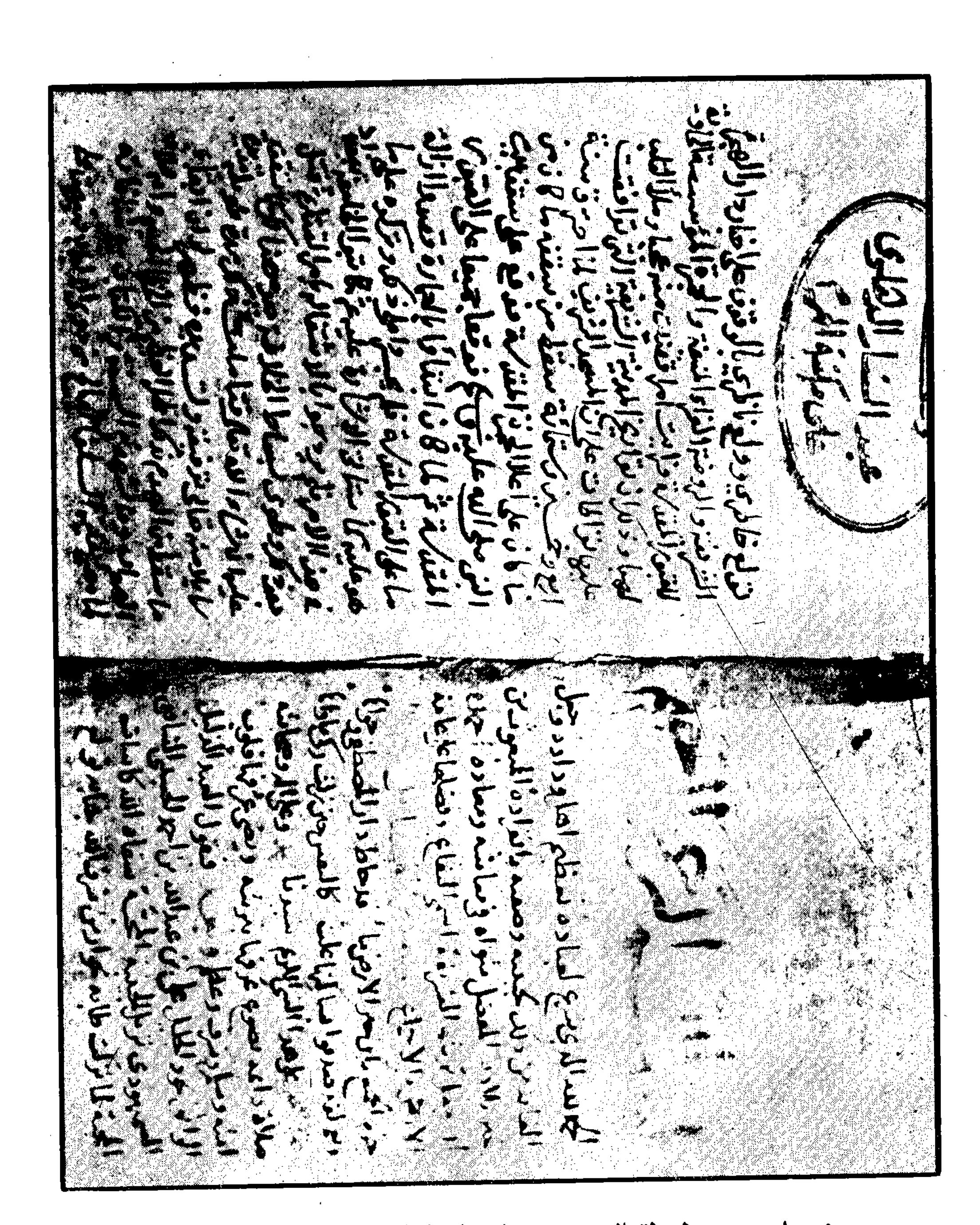
أما البياض الذي استغرق صفحتين من مخطوطة الاسكوريال وأشرنا إليه [١] فهو موجود أيضاً في هذه المخطوطة .

وبعد فإن أولى من يوجه اليه الشكر حيال استفادتي من هذه المخطوطة هو حبيبنا الاستاذ عبدالله المعلمي أمين مكتبة الحرم المكي الشريف الذي أتحفني بصورتها . فجزاه الله خيراً ، ووفقه لما يحبه ويرضاه .



الصفحة الاولى من مخطوطة الشيخ عبد الستار ، والعنوان كتبه الشيخ رحمه الله

(١) ص ١١٨ من هذه المجموعة



صفحتان من مخطوطة الشيخ عبد الستار الثانية بخطه والاولى بخط قديم



صلى الله عليه وسلم في الاعياد فالصلاة فيه تزداد فضلا
ومزية على كل مصلى اي ازدياد يحصل الابرار
بالصلاة فيه من الله باسبغ نعم وامداد باذ تجمع الحاضرين
فضل الحضور اليها من اهل [illegible] عنها معاد معد
وايادي اياد ثم قال [illegible] ابو محمد عبد
العزيز محمد بن ابراهيم الحموي كاتبه من ابي البركات
[illegible] محمد بن محمد الغرناطي لنفسه

ان عيد الطيبة وصلاة ∗ بمصلى الرسول في يوم عيد
نعم ضاق واسع الشكر عنها ∗ فهي تجزي لكل عبد سعيد
كم تمنيتها فنلت الاماني ∗ اخبر النجم من حصول بعيد
واذا كان في البقيع ضريحي ∗ وتوسدت طيب ذاك الصعيد
فاشهدا لي بجنة ولتهنى ∗ عند ربي وصبوتي ومعيدي

والمسئول من الله تعالى ان يكمل لاهل هذا المحل
الشريف عظيم منته بجعل منبره على وفق سنة صلى الله
عليه وسلم وان يجعل ذلك سببا لما يرضي الله ورسوله
و[illegible] السامعين في اغتنام ذلك ما مولاه كله وسؤله
وان يجعلنا

وان يجعلنا من المتبعين لسنة سيد المرسلين المجتنبين
[illegible] لابتداع في الدين بمنه وكرمه امين وصلى
الله على اشرف المخلوقات حبيبنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم ــ قال مؤلفه رضي الله
عنه وارضاه وادام النفع به وبعلومه الى يوم
لقاه بمحمد واله امين وكان الفراغ من جمعه
ليلة استهلال ربيع الثاني من سنة [illegible] وسبعين
وثمانمائة وكان الشروع فيه بالمسجد الشريف النبوي
ليلة الثالث عشر من ربيع الاول من
السنة المذكورة احسن الله عا
قبته بمنه وكرمه
امين
م

اخر مخطوطة الشيخ عبد الستار ، بخطه هو

٤ – كائنة أمير المدينة

وقد ألحق بمخطوطة الاسكوريال من «الوفا» بما يجب لحضرة المصطفى» – من الورقة الـ ٧١ إلى الورقة الـ ٧٦ – معلومات تتعلق بتاريخ المدينة مـا كان ينبغي إهمالها عند نشر الكتاب .

ففي أول الورقة نص يتعلق بوفاة السمهودي ، سبق ايراده كاملاً .

وبعد ذلك الخبر ، متصلاً به ما هذا نصه : (وفي سنة احدى وتسعمائة أول القرن العاشر ، وقع فيها حوادث أشنعها) الخ وليس في هذا المجموع ما يشير إلى كاتب هذه القصة ، ويبدو من اسلوبه أنه من العلماء ، أمـا الأغلاط النحوية اليسيرة فيظهر أنها من الناسخ ، وهو كما يظهر أعجمي ، ولا نستبعد ان يكون مدون الخبر هو السمهودى ، ذلك انه فيما يتعلق بالحرم الشريف وغيره مما يتصل بالمدينة يحرص على تدوين ذلك مفصلا ، وهـو في كتاب « وفاء الوفاء » أورد القصة موجزة إيجـازاً مخلاً [١] . ومهما يكن الأمر ،فهذا نص تاريخي على جانب كبير من الأهمية لا يسوغ إهماله . وليكون لدى القاري إلمام تام بالموضوع أضيف إليه في هـذه المطبوعة ما أورد السمهودي عن حوادث مماثلة له .

وكما سبقت الإشارة عن أخطاء المخطوطة ، فقد قُوِمَ أكثرها اعتماداً على مصادر صحيحة وخاصة الأسماء ،وأبقي بعضها مشاراً إليه بعلامة الاستفهام(؟) أما الأرقام التي داخل النص فهي أرقام صفحات المخطوطة التي تقع في ثماني صفحات .

---

(١) ونقلها عنه صاحب « نزهة الناظرين » ص ٦٢

٥ ـ أول بناء سور المدينة

وفي الورقة الـ ٧٥ من المجموع بحث يتعلق ببناء سور المدينة ، يقع في صفحتين ونصف صفحة ، وهو لا يضيف جديداً على ما جاء في كتاب «التحفة اللطيفة » باستثناء بعض أسماء المشرفين على العمارة ، ويبدو أن كاتب هذا البحث هو مؤلف « التحفة » نفسه ، ذلك أننا نجد فيه : (وسمعت من لفظه) يعني أحد المشرفين على العمارة وهو مصلح الدين مصطفى أمين العمارة ، وتكررت الجملة مرتين . وفي « التحفة » : (سمعت من الامين المذكور) والمقصود هنا هو مصطفى .

٦ ـ وضع الأهلة على القبة والمنابر

والخبر عن ذلك جاء في آخر المجموع متصلاً بخبر بناء السور ، ولكن بعنوان بارز ، وهو لا يختلف عما في كتاب « التحفة » بل ما فيه أوفى واحسن تفصيلا . وليس من المستبعد أن يكون ملخصاً مما في التحفة .



الصفحة الأخيرة من مخطوطة الاسكوريال

وفي سنة اثنين وعشرين وتسعماية توفي الشيخ
الشريف الحسيب النسيب الامام العالم الورع الزاهد
عالم اهل عصره المحقق المدقق السيد نور الدين علي
السمهودي [illegible] الحجرة النبوية ضحى يوم الخميس
تاسع عشري ذي القعدة الحرام رحمه الله تعالى بعد
مرض نحو ثلثة ايام او دونها وكان بعد يوم وفاته
وفي سنة احدى وتسعماية [illegible] العاشر وقع
بها حوادث شنيعة كاينة امير المدينة الشريفة
حسن بن الزبير من آل نعير [illegible]
المسجد النبوي و[illegible] علي الحجرة النبوية بسبب فقره
[illegible] وعقله الخفيف وحاصلها ما كان يوم الثلثا
سادس ربيع الاول من السنة المذكورة وقت الضحى
[illegible] حين خلو المسجد غالبا جاء الامير المذكور
ومعه كثير من اعوانه متسلحين فدخل المسجد
[illegible] من فيه وقفل ابوابه [illegible] الخازندار
[illegible] يتحدث معه [illegible] الذي هو
فيه [illegible] فامتنع [illegible]
وسحب معه [illegible] المسجد فقبض الخازندار [illegible]
[illegible] بعض اعوانه فضرب حتى غشي عليه

[illegible] قتله فكف عنه [illegible] المشار
[illegible] باب [illegible] القبلة [illegible] عند باب
النساء فطلب الامير [illegible] المعارضة فامر القواسة
ان يصعدوا المنارة الشريفة ناحية الشام ويرمي
من يراه هناك بالنشاب ففعلوا الى ان [illegible] كسر
باب القبة فاخذوا جميع ما فيها من النقد وهو نحو
عشرة الاف دينار وما فيها من قناديل وجملة القناديل
نحو عشرة [illegible] والمال [illegible] على ظهور
البهايم التي دخلوها المسجد لذلك والمال على اعناق الرجال
[illegible] باب الحجرة النبوية لاخذ ما هو معلق
فيها من القناديل فكفهم [illegible] ثم عادوا الى
خزاين الخدام التي في المسجد فكسروا بعضها فاخذوا
ما وجد من [illegible] ثم ركب الامير [illegible] من باب
القبة وخرج من باب الرحمة وهو شاهر سيفه [illegible]
[illegible] والمال بين يديه والاعراب [illegible]
بهم وزاد تألم الناس لذلك وعطلت صلوة الظهر
يومئذ في المسجد بل وقع نهب المدينة [illegible]
من السوق ما فيه ولكنه بمجرد جلوس الامير [illegible]
نادى [illegible] والبيع والشرا وان اهلها [illegible]

الورقة الأولى من الاضافات الى كتاب « الوفا » في مخطوطة الاسكوريال

استدراكات وتصحيح

١ – مهما حرص المصحح فلا بد ان يندّ عن نظره ما لا يخلو من التطبيع

٢ – بعد مقابلة مخطوطة الشيخ عبد الستار على المطبوعة ظهر بينهما تفاوت بزيادة بعض جمل في الأولى ، وتصحيح كلمات لم تتضح عند تصوير الأصل، فكان من الواجب ذكر تلك الزيادات مع تصحيح الأخطاء في هذا البيان :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	٨	الجوعاينة	الجوعانية
٢٩	١	النقاء	النقا
٣٨		سيكه	معيكة
٣٨		الحمداني	الحميداني
٤٤	٥	الحماطة	المحناطة
٥١	٢١	سبيل	سيل
٦٢		كلامات	كلاحات
٩٦	٤	في إيراد	في افراد
٩٦	٢٠	لجرمها	بجرمها
٩٦	٢١	بفعلها	بفضلها
٩٧	١٧	من آخر باب	من أخريات
٩٨	٣	أمير المدينة فلم	أمير المدينة ، واجتمع غالب أهل المدينة ، فلم
٩٨	١٨	الحريق وآخرهم ... إلى وأصبح الناس.	الحريق ،بل الظاهر أنه ولد بعد عام الحريق بنحو عشرين سنة ، لأني رأيت بخط ولده العلامة عفيف الدين أبي السيادة عبدالله أنه رأى بخط الحافظ ابن عساكر ما حاصله : أن جده أحمد المطري سمع على ابن عساكر قطعة من كتابه

« اتحاف الزائر » مع جماعة
سماهم، وان محمد بن احمد المطري
حضر ذلك ، ومحمد المذكور
هو جمـــال الدين والد ابي
السيادة ، وذكر ان السماع
المذكور في مجالس آخرها يوم
الخميس لتسع ليال بقين من ربيع
الآخر من سنة ثمـان وسبعين
وستمائة بجانب الضريح المقدس
انتهى. الظاهر ان سنه إذ
ذاك نحو أربع سنين لأنه عبر
فيه بالحضور، فيكون مولده
سنة أربع وسبعين وستمائة ،
ثم رأيت في تاريـــخ المجد
الشيرازي أن الجمال المطري
المذكور توفي عام واحد واربعين وسبعمائة
عند استكماله عشر السبعين انتهى .
فيكون مولده سنة احدى وسبعين بعد
الحريق بنحو سبعة عشر سنة ، وأنا
أروي تاريخه ومروياته عن جماعة منهم
شيخنا العلامة فحدث الحرم الشريف
ناصر الدين المراغي عن والده شيخ المحدثين
زين الدين المتقدم ذكره ، عن العـلامة
أبي السيادة المتقدم ذكره ، عن والده
جمال الدين المذكور ، وهو أول من أرخ
بعد الحريق من مؤرخي أخبار المدينة ،

			وآخرهم الشيخ زين الدين المراغي ، وقد ادركت جماعة ممن أدركه فروى عنه منهم ولده الشيخ الإمـــام محدث الحرم الشريف ابو الفرج أدام الله النفع به ، وقد رويت تاريخ أبيه عنه بحق سماعه له عن أبيه المؤلف المذكور ، وقد ذكروا كلهم أنه لم يتفق بعد ما ذكره الشيخ زين الدين وغيره تعرض لذلك إلى يومنا هذا ، واخبار المؤرخين بذلك إن لم يصل إلى حدّ التواتر في سائر الطبقات فهو من المستفيض ، وقد احتفت به قرائن يرتقي بها إلى إفادة العلم . قال المؤرخون : وأصبح الناس الخ .
١٠١	١٥	خمس وستين وسبعمائة وفي كلام الاقشهري	خمس وستين وسبعمائـــة . وأخبرني شيخ المحدثين بالحرم الشريف النبوي أبو الفرج المراغي أنه حصل في بعضها خلل يسير في دولة السلطان الملك الظاهر جقمق ، فأحكم ذلك وأصلح على يد بردبك المعمار أيام عمارته بالمسجد الشريف . وفي كلام الاقشهري
١٠١	١٧	جدار آخر	جداراً آخر
١٠١	٢١	الحظار الظاهر انتهى. خلاف ما صرح بـــه المؤرخون . قالوا :	الحظار الظاهر انتهى . وهو خلاف ما صرح به المؤرخون سوى ما يوهمه قول بعضهم.

		وإنما جعل	ونقل أهل السير أن من وراء البيت جداراً ثم الحايز الذي بنـاه عمر بن عبد العزيز ، والظاهر أن مرادهم بذلك أن البيت له جدار غير الحايز المذكور ،لأن ابن زبالة — وهو أقدمهم — حكي عن غـير واحد من أهل العلم أن البيت مربع مبني بحجارة سود رقصة ، وان الذي يلي القبلة منه أطوله ، والشرقي والغربي سواء ، والشامي أنقصها وباب البيت فيه ، وهو مسدود بحجارة سود ، ثم بنى عمر هذا البناء الظاهر حوله انتهى . وقد ذكر انه وضع تاريخه سنة احدى وتسمين ومائة ، وذكر ان فراغ عمارة عمر بن عبد العزيز كانت سنة احدى وتسمين — يعني من القرن الأول — فالظاهر أنه ادرك من شاهد ذلك . قالوا وانما جعل الخ.	١٠١ ١٠١
١٠١	٢٤	فيكون مربعا وان يتخذ	لو كان مربعا فيتخذ	١٠١
١٠٢	١٩	وأما — الى — داخل	واما الرخام المفروش داخل الدرابزين حول الحايز المذكور	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
			فلم أر من نبـه على ابتداء حدوثه . وقال المراعي .
١٠٢	٢٢	وتسعين	وسبعين
١٠٣	١٤	ابن فرحون.وقداقتصر	ابن فرحون . وفي كلام ابن النجار ما يقتضي انه كان على بيت فاطمة (ض) مقصورة وذلك قبل الحريق ، لمـــا قدمناه ، وعبارته : — بعد روى بسنده أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة (ض) في بيتها الذي ادخله عمر ابن عبد العزيز في المسجد — ما لفظه : وبيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب وهو خلـــف حجرة النبي (ص) انتهى فيحتمل أن هذه المقصورة أعيدت بعد الحرق ، وأنها المذكورة في كلام ابن فرحون . وقد اقتصر الخ .
١٠٣	١٦	الظاهران ما فعله	الظاهر ركن الدين . ثم قال: وظن الملك الظاهر. الخ.
١٠٤	٤	أيضافيه	وأيضاً ففيه
١٠٤	١٨	وؤي شي	ورآى شيئا
١٠٥	١٣	حصل صيانته	حصلت صيانته
١٠٥	٢٢	(بياض)	الباب الثاني
١٠٦	٠٧	الفاكهاني في كتابه	البدر الفاكهي في كتابه الفجر

١٠٦	١٧	وعبدا الله	وعبدوا الله
١٠٦	١٩	انتهى ، فمن فضل– إلى سيما اذا قلنا	انتهى . ونظر فيه بعضهم بأن أرواح الأنبيـــاء في السماوات،وجوابه ماسنقرره في حياتهم في قبورهم لكن قـــال النووي في « شرح المهذب » في الكلام على قوله : «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض » جمع السموات ووحد الأرض وإن كانت سبعا كالسموات لأنه اراد جنس الأرض ، وجمع السموات لشرفها . قال : وهذا يؤيد المذهب المختار الذي عليه الجمهور أن السموات افضل من الأرض وقيل : الأرض أشرف لأنها مستقر الأنبياء ومدفنهم ، وهو ضعيف انتهى . فمن فضل الأرض على السماء لايشك في تفضيل البقعة . هــكذا ظهر لي ، ثم رأيت التصريح به وذلك أن شيخنا المحقق ابن إمــام الكاملية قال في كتابه « بسط الكف » : قد صنف البيهقي كتاباً في

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
			حياة الانبياء في قبورهم ، والحق ان مواضع الأنبيـاء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها من الأرض والسماء ، ومحل الخلاف في غير ذلك كما كان يقرره شيخ الإسلام البلقيني انتهى . وهو واضح سيما إذا قلنا :
١٠٦	٢٣	يفضلان	تفاضلا
١٠٧	٤	لاله	ولا له
١٠٧	٦	هذاالشرحلماذكرهالقاضي	هذا انشرح لما ذكره القاضي عياض من التفضيل .
١٠٧	١٢	انتهى . قلت :	انتهى . وقال الزركشي إن هذا التفضيل للمجاورة ، كما قيل للمجاورة تأثير ولهذا يحرم على المحدث مس جلد المصحف . قال القرافي : ولما خفي هذا المعنىعلىبعض الفضلاء أنكر الإجماع في ذلك . وقال : التفضيل إنما هو بكثرةالثواب علىالأعمال والعمل علىقبر رسول الله ﷺ هناك يحرم (؟) واذا تعذر الثواب على عمل العامل مع أن التفضيل إنمـــا يكون باعتباره كيف يحكي للاجماع

في افضلية تلك البقعة ولم يعلم ان أسباب التفضيل أعم من الثواب ، والإجماع منعقد على التفضيل بهـذا الوجه لا بكثرة الثواب ويلزم ان لا يكون جلد المصحف ولا المصحف نفسه أفضل من غيره لتعذر العمل فيه . وهذا خرق للاجماع انتهى . قلت : الخ .

١٠٨	١٩	أنه أمسى يعمدفوق رأس النبي	أنه أمسى فوق رأس النبي
١٠٨	٢٤	زمن رسول الله	زرّ رسول الله
١٠٩	١٣	حتى ذلك (؟)	حتى يصعب ذلك
١٠٩	١٧	عبد الرحمن لما يذكر	عبدالرحمن بن القاسم لما يذكر
١٠٩	١٨	وقد جف هيبة	وقد جف لسانه هيبة
١١٠	١٣	قوله : ولأنه رأى	قوله : ولا يستدبر
	١٤	ويلتهم	ويلتزم
١١٠	١٩	ما تعبد (؟) يا هذا	ما تعبدنا بهذا
١١٠	٢١	حرارة	حزازة
١١١	١	يضن	يظن
١١١	٨	النفيس	النفس
١١١	١١	فهما ، عند	دفنهما
١١١	٢٠	ذلك ان جدار	ذلك عن أهل السير ، وهذه القصة في صحيح البخاري ، وذلك أن جدار

١١١	٢٤	رفع يده	وضع يده
١١٢	١	قدمين ورأى	قدمين من وراء
١١٢	١	عبدالله بن عبيدالله	عبيدالله بن عبدالله
١١٢	٢	أي لأم	أي لأمك
١١٢	١٧	بن عبدالعزيز من اجتماعهم	بن عبد العزيز فستر بثوب ، فلما رآى ذلك عمر بن عبدالعزيز من اجتماعهم
١١٤	١١	عن أمرها إلى فهم	عن امرنا عن فهم
١١٤	١٨	سأل الأمير	سأله الأمير
١١٤	٢١	حادي ربيع	حادي عشر ربيع
١١٧	١٦	المحل كعب	المحل ، وروى كعب ﷺ رأى رجلاً جالساً على
١١٧	٢٣	ﷺ قال لا تؤذ صاحبيك	قبر] فأطال الجلوس فقال له ﷺ «لا تؤذ صاحبك»
١١٨	٤	مدفونا جامع	مدفونان عند زاوية جامع
١١٨	٩	وظيفته	وظيفة
١١٩	١٠	فلما سمعت	كما سمعت
١١٩	١١	سجيم	سيحم
١٢٠	١٦	اجراها	التي اجراها
١٢٠	٢٣	دائمة الثبوت	دائمة لثبوت
١٢٠	٢٤	وتنزل	وينزل
١٢١	١	عنه ذلك	عند ذلك
١٢١	٢٠	إن أراد الله	إن أراد به ما أراد الله
١٢٢	١	عن سبع	عن تسع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٢	٨	الحنابلة	مع الحنابلة
١٢٢	١٢	مماسة للروح	ثابتة للروح
١٢٢	١٤	يصير حياً	وأن يصير حياً
١٢٢	٢٠	نجدها	نشاهدها
١٢٣	٤	ما يدركه	ما يدرك
١٢٣	٧	محتملاً قوله	محتمل قوله
١٢٣	١١	الحجرة	حُجَره
١٢٣	١٧	تابعه يعتقد	على أنا نعتقد
١٢٣	٢٠/١٩	وأن يقول	وإن كنا نقول
١٢٣	٢١	وأعلى وأكمل	أولى وأعلى وأكمل
١٢٣	٢٤	على كل كريم يتركني في قبري بعد ثلاث	على ربي من ان يتركني في قبري بعد ثلاثة ايام
١٢٤	٣	والجواب	قال : والجواب
١٢٤	٩	إلى غيرها ولايمكن	إلى غيرها بأمر الله تعالى أحيانا ويكون لهم إلمامٌ بقبورهم أو غيرها
١٢٤	١٣	التمدي	التغذي
١٢٤	١٧	مع الاحياء	مع الأجساد
١٢٤	٢٠	في قبورهم بعد : اربعين ليلة على الهيئة	في قبورهم يصلون، فيتعين الجمع وحينئذ فربما يقال قوله : لا يتركون في قبورهم يعني اربعين ليلة على الهيئة
١٢٤	٢٣	والمصلحين	والمصلى
١٢٥	٧	وهو مخالف لما نقل	وهو مخالف لما قال ابن المسيب

			وهو الصحيح ، وكذا هو مخالف لما نقل
٢٥	١٠	ثم يكون مصلين	ثم يكونون مصلين
١٢٥	١٨	ودس	وذكر
١٢٦	٤	فيرد	فيزار
١٢٦	٥	ينوء	يثق
١٢٦	٢٠	احتمل	يحتمل
١٢٧	١٥	المنام في النوم	في المنام
١٢٨	٢	فسألها	فاسألها عن حالها
١٢٨	٥	نفقا	نقبا
١٢٨	١١	مستنده البقيع	مستند البقيع
		وفيه ذكر	فهو باق الى اليوم انتهى . وقد شاهدت ما ذكر على باب البقيع وفيه ذكر
١٢٩	٦	كتابا »	كتاب »
١٣١	٨	في الاولياء	من الاولياء
١٣١	٩	من الثلاثمائة	من الثمانية
١٣١	١١	في مده ...حايرا	في مدة ... حايزا
١٣١	١٣	المدينتين	المدنيين
١٣٢	١	أن البلاد	إلا أن البلاد
١٣٢	١٢	فعرفوا بها في نزول	يعرفون بها من يزور
١٣٢	١٥	الشهداء انتهى	الشهداء ، وحياة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أكمل من حياة الشهداء. انتهى
١٣٣	٩	يتيقنه	تيقنه

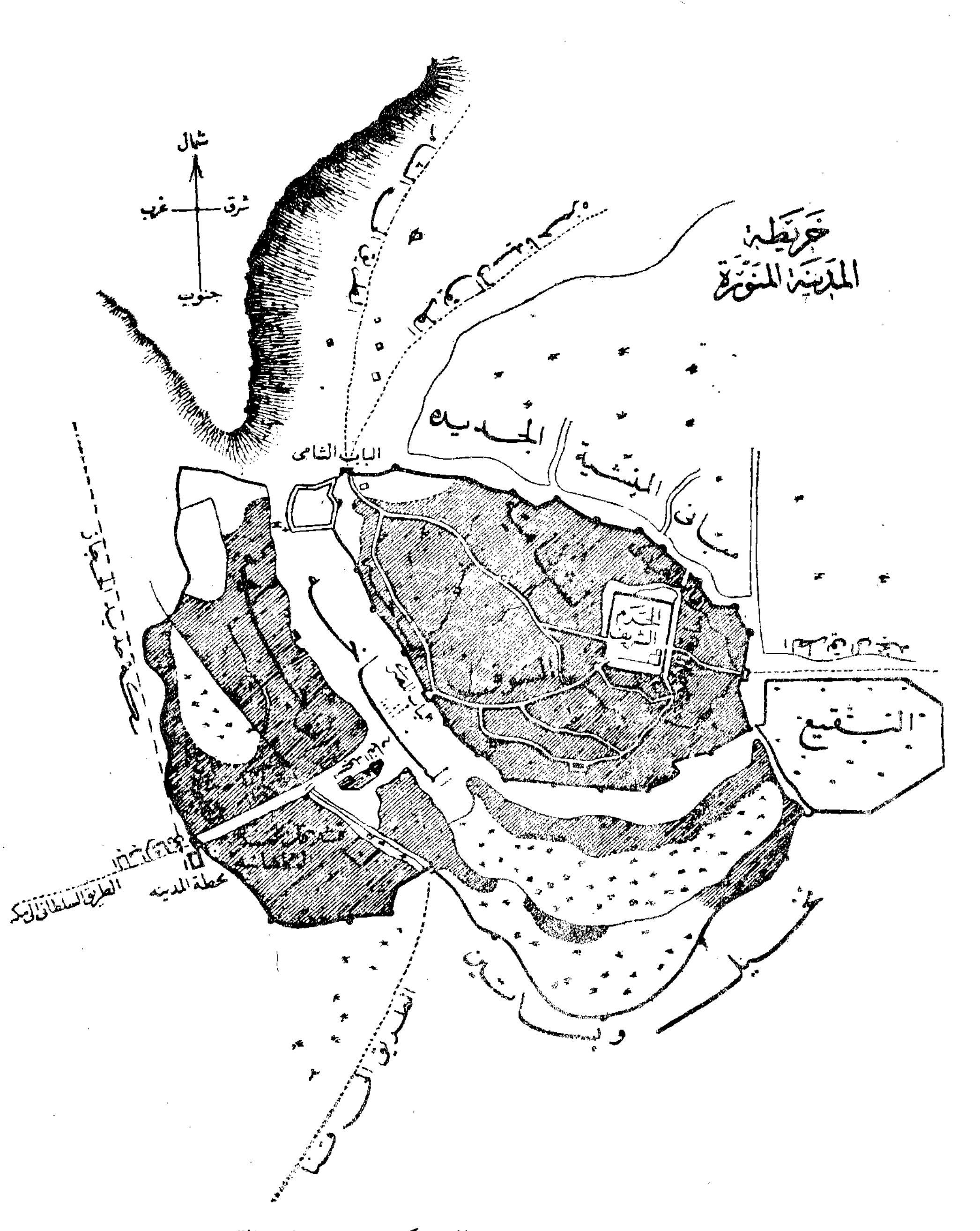
١٣٣	١١	ونحوهما أحد	ونحوهما ، وفيما حصل ليلة الاسراء فلاوالجواب الصحيح ونحوها (؟) أحد
١٣٣	١٣	احكام حكم	حكم
١٣٣	١٦	وعملا	وعمل
١٣٣	٢٢	يقدرها	يقدر بها
١٣٤	١	شيخاً ...بشيخهم	شبحا ... بشبحهم
١٣٤	٢	أخلاقهم	خلاقهم (؟)
١٣٤	٥	الأجساد وأكثف	الأجساد والأرواح ، سموا عالم المثال ، وقالوا : هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف
١٣٤	٧	كروح مثلها	كروح جبريل مثلها
١٣٤	٨	وتحل بهذا	وينحل بهذا
١٣٤	١٠	في صورة دحية	في صورته الأصلية عند إتيان الوحي وفي صورة دحية
١٣٥	١٦	إذا القى	إذا لقي
١٣٥	١٨	اتي لا تكون	أتى لا يكون
١٣٦	١	ولهذا	وهذا
١٣٦	٦	قبل القيامة	قبل يوم القيامة
١٣٦	٢٣	علمالمثال	عالم المثال
١٣٨	١١	الكارموني	الكازروني
١٣٨	١٥	الحضرة	الحضيرة
١٣٨	٢٢	دليـــل	داخل (؟)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٢٣	البيت يسلمون	البيت في المسجد ، يقفون على باب البيت يسلمون
١٣٩	١١	في الصفة	في الضية
١٣٩	١٤	أسمع	سَمع
١٣٩	١٥	قالت	قلنا
١٣٩	١٩	قبر مكثنا لمها	قبر ، لتألمها
١٤٠	٣	اجتماع	الاجتماع
١٤٠	١٤	ولا شك أن تتحقق	ولا شك أنا نتحقق
١٤٠	٢٣	وعلى تسليمه	وعلى تقدير تسليمه
١٤١		العمليات يكتفي	العمليات التي يكتفى
١٤١	٥	لا إعادتها	لأن إعادتها
١٤١	٧	إن الكعبة	لأن الكعبة
١٤١	١٨	قصة من ولي الخطابة الخ	الباب الثالث (العنوان)
١٤١	٢٤	البعيدين	العبيديين
١٤٢	١٠	القضا بمصر وولى	القضاء بمصر في زمن العبيديين للشيعة ، فلما تمكن صلاح الدين (ح) عزلهم من مصر وولى
١٤٣	١	فكثر من قراء المواعد	فكثروا من قراء المواعيد (؟)
١٤٣	٢	القاشين	القياشين
١٤٣	٣	البقيع	الينبع
١٤٣	٤	ويمد	ويمنع
١٤٣	٩	وذكر جبير	وذكر ابن جبير
١٤٣	١١	يندى له الإسلام	ينادى له في الإسلام
١٤٤	٥	الحج	الحجيج
١٤٤	٦	فما ذاك وإن كان	فما ذاك بغير ذلك وإن كان

(١)

وصف المدينة المنورة

في سنة ١٣٠٣ هـ سنة ١٨٨٥ م



خريطة المدينة المنورة بعد العهد الذي كتبت فيه الرسالة بزمن يسير



والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، الحمد لله المحمود بنعمته ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ودبّرهم على وفق إرادته وحكمته ، واصطفى منهم المحبوب الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وجعله أول الأنبياء بمعناه وآخرهم بصورته ، وفضّلَ أمته على سائر الأمم ، وأعطاهم قبل أن يسألوه ، وغفر لهم قبل أن يستغفروه ، وميزهم بفضله من القدم ، وشرف البلد الحرام بمولده، وجعل المدينة الطيبة داراً لهجرته ، ومن أرضها البقعة الشريفة التي ضمّت أعضاءه المنيفة ، المفضلة على العرش والكرسي وعلى السماوات والأرضين بإجماع أهل السنة ، وفي مسجدها الشريف النبوي الروضة المطهرة ، التي هي كما في « الصحيحين » أنها من رياض الجنة ، واختار لمجاورة محبوبه من عباده من خصهم بالسعادة ، وخصهم بالحظ الأوفر بمشاهدة أنوار مرقده الشريف الأعطر ، وكفاهم فخراً وقوفهم في البكور والعشية بين يديه، وعرض مهماتهم وما نزل بهم عليه[1] وتقديم جنائز

(١) الوقوف في البكور والعشية على القبر الشريف المطهّر من الأمور المبدعية . أما عرض ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، لطلب نفع أو دفع ضرر فهو من أنواع الشرك ، إذ ذلك من العبادة التي لا يجوز أن تصرف لغير الله . وعرض الموتى عند القبر بدعة .

موناهم في رحابه للصلاة عليها بعدما تُعرض عليه ، وأي أرض حازت شرفاً كأرض مساكنهم المدحيّة مع أرض البقعة الفاخرة ، المشتملة على أعضاء المعظم في الدنيا والآخرة ، ونشكره سبحانه وتعالى شكراً يليق بذاته الأحدية ، ونزداد به من النعم الدنيوية والأخروية ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ونشهد أن سيدنا ونبينا وشفيعنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، عبده ورسوله البشير النذير ، المشفع في العراص الحشرية صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله الملك المعبود .

أما بعد ، فالغرض من هذا الكتاب ذكر هيئة مدينة حضرة محبوب رب الأرباب ، وما هي عليه الآن من الأبنية والعمار ، وما بجوانبها الأربعة خارج عن سورها وداخله من الحدائق المغروسة بالنخيل والأشجار ، وما فيها من الآبار والأنهار ، وما حولها من المآثر ، وما فيها من الشوارع والأزقة النافذة والأسواق والأحوشة .

وليعلم الناظر إليه والواقف عليه ، أن مدينة سيد الأنام المظلل بالغمام ، عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، هي في وقتنا هذا – يعني في سنة ثلاث بعد الثلاث مائة والالف من الهجرة النبوية – على الهيئة الآتي بيانها من غير خلاف . وان السبب في التصدّي لتحرير هذه [ص ٣] السطور هو أن جناب السيد المفضال ، شيخ السادات بمدينة خير البرية السيد علوي افندي ابن المرحوم السيد عبد الرحيم السقاف ورد لنا من سعادة الحاج رامز باشا تعريفاً بطلب نسخة تشتمل على هيئة البلدة الطاهرة المصطفوية الآن بوضع مختصر مفيد ، فطلب مني السيد علوي المذكور ، أعظم الله لي وله وللطالب المذكور الأجور ، وجعلنا والمسلمين أجمعين من الفائزين في يوم البعث والنشور ، أجبته لما أراد ، مع علمي بنفسي أني لست من أهل هذا الطراد ، ولكني

رجوت الإعانة من رب العباد، والامداد [1] من سيد الرسل المخصوص بالشفاعة العظمى في يوم التناد ، واخترت بيان المتعارف الآن بحسب الزمان والمكان، لا على ما تغيرت مراسمه واندرست معالمه ، لأن ذلك شرحه يطول فإن في « الخلاصة » « والوفاء » للسيد السمهودي ، وفي «تاريخ العباسي [2] المدني » من الايضاح القديم ما يغني عن ذلك ، فأقول والله سبحانه وتعالى هو الموفق للصواب في المعقول والمنقول : إني ــ تقريباً للافهام ــ رتبته على ثلاثة أبواب وخاتمة . وفي كل باب فصول ، وكل فصل مشتمل على شيء من المقصود

الباب الأول

في جهاتها الأربع وما فيها من الطرق والأبواب

في السورين وفي الحرم الشريف ، وفي الحجرة المعطرة ، لانها منتهى مقصد كل مقيم ووافد وما في كل جهة من المآثر والمراقد والمساجد والآبار العامرة والدامرة والانهار الجارية وفيه فصول : **الفصل الأول** : في جهاتها الأربع وما فيها من الطرق والأبواب ، ونبدأ من جهة القبلة لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة المنورة كان مجيئه اليها من جهتها، وفيها أربعة طرق: طريق الغاير وطريق الفرع وطريق إلى السوارقية في الطريق الشرقي، وطريق إلى جهة الشرق ، يجمعهم الجصّه من الحرة إلى قبا وقربان والعوالي ، وهم (؟) القرايا الثلاث وللبلد الطاهرة من تلك الجهة باب واحد في السور البراني المبني غالبه باللبن ويعرف بباب قبا ومنه إلى قبا وقُرْبان والعوالي . وفي السور الجواني باب ويعرف بباب الصغير على المناخة بين السورين فوقه دار الحكومة

(١) الرجاء من أنواع العبادة الخاصة بالله . والرسول (ص) لا يعد الآن أحداً لأنه ميت .

(٢) قصد كتابي : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » و « خلاصة الوفـــاء » للسمهودي « وعمدة الأخبار في مدينة المختار » للعباسي ، والثلاثة مطبوعة .

الحلية ، وعنده محل المحابيس من رجال ونساء بجوار القلعة السلطانية التي بناها السلطان سليمان خان ابن المرحوم السلطان ياوز سليم خان الغازي .

وليس للحرم الشريف من جهة القبلة باب ، بل فيه شباك مقابل للمرقد الشريف ، مطل على الحديقة المغروسة قبلي المسجد ، في ديار آل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، المعروفة الآن بديار العشرة ، وفي مقابل الشباك المذكور بالشبكة [ص٤] الدائرة بالحجرة الشريفة باب صغير كالشباك مغلق ما يفتح قط ، ويعرف بين الناس بباب التوبة لأنه على حذاء المسمار الفضة القديم المركب وفي موضعه الكوكب الجوهر ، تجاه الوجه الشريف بلا شك ولا شبهة .

وأما الجهة الشرقية ففيها طريقان أحدهما طريق الحناكية ومنه إلى الشرق والثاني طريق الخَنَق ، ومنه ممشى الحيجان [١] في أيام اختلاف اشقيـــاء الطريق السلطاني إلى مكة المكرمة بجمعها ابن رشيد (؟) ، وفي تلك الجهة بابان أحدهما في السور البراني ملاصق للبقيع الشريف ، ويعرف بباب العوالي ، والثاني في السور الجواني ويعرف بباب الجمعة تجاه باب البقيع الشريف .

وللحرم الشريف في تلك الجهة بابان باب جبريل عليه السلام ، ويسمى الآن باب الجبر ، وباب النساء .

وللحجرة المعطرة من تلك الجهة باب واحد ويعرف بباب السيدة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ ومنه الدخول والخروج مساء وصباحاً للخدمة الشريفة .

واما الجهة الشامية ففيها طريق الرخامي إلى الحايط والحويط وإلى جبل شمر وإلى تيماء ، وطريق كتانة إلى وادي الحمض ، وطريق نخيط إلى الشام ومصر وينبع البحر ، ومنه مجيء وذهاب الحيجان [١] والمحامل دائماً ومجمع الطرق المذكورة ثنية البلدة الطاهرة ، وتعرف الآن بكشك يوسف باشا .

---

(١) الحجاج .

وفي الجهة المذكورة ثلاثة أبواب : باب في السورالبراني غرب القلعة السلطانية ، ويعرف بباب الجبل ، يعني جبل سلع ، ويسمى أيضاً باب الكومة ، ومنه طريق المساجد الأربعة إلى العنابس والجرف ، وإلى الجفر الملاصق لجبل الفقرة سكن الأحامدة، وبابان في الصور [1] الجواني أحدهما باب الشامي شرقي القلعة المذكورة والثاني باب المجيدي عند السُحَيمي يعني عند مجمع مجاري الميضات [2] التي حول الحرم الشريف قد جدده المرحوم السلطان عبد المجيد خان ابن المرحوم السلطان محمود خان لما شرع في بناء الحرم الشريف في عام سبع وسبعين بعد المئتين والألف من الهجرة .

وللحرم الشريف من الجهة الشامية بابان : أحدهما باب التوسل أحدثه السلطان عبد المجيد خان وفي جوانبه وفوقه المكاتب المجيدية لتعليم الصبيان القرآن ثمانية ، ولتعليم لسان الفارسي واحد ، وواحد من سنتين جعلوه مكتب رشدية لتعليم الفنون من نحو وصرف ولسان التركي والرسم ، والباب الثاني لمخزن الزيت لا يفتح إلا إذا جاءت مهمات الحرم الشريف النبوي المخصصة من الاستانة العلية من الأوقاف الهمايونية ومن مصر المحروسة المخصصة من الرزمانة ومن الشام الشريف مع الحج ، وذلك من زيت أخضر وشمع وقناديل من بلور وحصير وشمع من دهن السمك وشمع أبيض كافوري كبار للمحاريب،واوسط لداخل [ه] الحجرة المعطرة في كل ليلة . .

وللحجرة المعطرة من الجهة الشامية باب واحد ويعرف بباب الشامي قبلي دكة الأغوات ، خدمة حجرة حضرة سيد الكائنات ، منه إدخال وإخراج شمع الحجرة [3] المعطرة ، في كل ليلة من رمضان بعد اتمام صلاة التراويح .

---

(١) السور

(٢) جمع ميضأة : مكان الوضوء

(٣) ايقاد الشموع عند القبور من الامور المبتدعة ، وقد طهرت الحكومة السعودية الكريمة الحرمين الشريفين من جميع البدع والخرافات ، والامور المحرمات .

وأما الجهة الغربية ففيها الطريق السلطاني وهو طريق الجديدة وطريق الملف ، وطريق الغاير ، ويعرف بطريق القاحة وطريق الفُرع . فالغاير والفرع يجتمعان في بئر الماشي عن المدينة المنورة عشرة (؟) ساعات بمشي الجمال وستة (؟) ساعات بمشي الركاب والخيل ، ومجمع الطرق الأربعة المذكورة ذو الحليفة المعروفة الآن ببئر علي، وهي محل الميقات لمن حج من أهل المدينة المنورة .

وفي الجهة المذكورة ، بالسور البراني باب واحد بين التكية المصرية وقشلة العساكر النظامية السلطانية ، ويعرف بباب العنبرية ، وهو أكثر الأبواب عملاً لدخول قوافل المتاجر والحجاج والزوار منه على الدوام ، ونزول موكب الحج المصري عنده بعساكره في كل عام ، كما ان الحج الشامي ينزل عند باب الشامي .

وللسور الجواني باب وهو أشهر أبواب السور البراني ويعرف بباب المصري لأنه بين الاسواق ، وهو على البلاط الأعظم يعني على فرش الحجر المنحوت المعمول من عتبة باب السلام إلى عتبة مسجد مصلى العيد ، الكائن بالمناخة المعروف الآن بمسجد الغمامة ، وكان البلاط الف ذراع فلم يبق منه إلا الذى من باب المصري إلى باب السلام ، واما الخارج من باب المصري إلى عتبة مسجد المصلى فقد اندفن بالتراب فبقي مدفوناً إلى اليوم بين صفين دكاكين الحبّابة .

وللحرم الشريف النبوي من الجهة الغربية بابين (؟): أحدهما باب السلام وهو أعظم ابواب الحرم الشريف عملاً خصوصاً في المواسم وباب الرحمة وهو أقل منه بيسير في العمل والازدحام .

وللحجرة المعطرة من الجهة الغربية باب واحد في الروضة المطهرة، ويعرف بباب الوفود ، ولا يفتح الا في المهام كطلب النصر [1] للدولة العلية إن

---

(١) النصر طلبه من غير الله شرك وهو سبحانه وحده الذي يدفع الوباء ويرفعه ويزيل القحط فينزل الغيث .

تضايقت في حرب الاعداء أو في دفع وباء حل بالناس أو قحط شديد ، ومتى فتحوه يخرجون (؟) اغوات الحرم المصحف العثماني المحفوظ في الحجرة المعطرة المكتوب بالكوفي على رق غزال ، ولا يقرأ فيه إلا رجل عالم مشهود له بالصلاح ، وبجرب أن (منْ) قرأ فيه إن لم يقض نحبه[1] ويلقى ربه بعد ثلاثة أيام ، وإلا فلا يحول عليه الحول ، وقد قرأه في زماننا الخطيب محمد علي بالي فمات بعد ثلاث ، وقرأ فيه من العلماء العاملين السيد عبـــدالله الدراجي [٦]التونسي والسيد محمد بن السانوسي الفامي والشيخ عبد الغني الهندي النقشبندي فما تم عليه الحول. وهذا المصحف الشريف عليه دم سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وهو ونسخة ثانية أدق منه خطا يقال انها بخط سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه على رق الغزال أيضاً محفوظان في صندوق عليـــه كسوة من القطيفة الحرير الأخضر مزركشة بالجرّ موضوع في الحجرة المعطرة على الدوام غربيّ الراس الشريف عند الشمعدان الذهب .

الفصل الثاني

فيما في الجهات الأربع من المآثر والمراقد والآبار

في الجهة القبلية قرية قبا فيها المسجد الذي اسّس على التقوى ، مسجد جميل كبير مجصص بقباب وفيه منبر ومكبريّة خشب ومنارة بشرفتين وفي صحن المسجد قبة صغيرة وتعرف بمبرك الناقة ومحلّ نزول الآية وطاقة الكشف معمولة محرابا منه شرقي المحراب الكبير وأما المحراب النبوي الذي فيه فإنه محل الاسطوانة الأولى من المحراب الكبير الى جهة الشام ، وفي وسطه حديقة صغيرة فيها نخيلات وبئر صغيرة ومن غربيّه تجاه الباب الرباط وقبلي الرباط

---

(١) هذا من الأمور المبتدعة فضلاً عما ذكر المؤلف من الأخبار الخرافية . وأية صلة بـــين القراءة في هذا المصحف وبين الموت ؟ ! .

حديقة المرحوم نور الدين الشهيد فيها من الآبار المأثورة بئر اريس وقباب كثيرة بمآثر قبلي المسجد الكبير تفصيلها في «الخلاصة» يغني عن الإعادة .

وعلى الحرة عند الحديقة المعروفة بالقويم مسجد صغير غير مسقف يعرف بمسجد مصبح وهو على قارعة طريقه ﷺ لما جاء مهاجراً ومعه سيدنا الصديق الى المدينة المنورة

والقرية الثانية قربان شرقي قبا فيها مسجد الفضيح في مجرى أبي جيدة غير مسقف وفي القرية المذكورة من الآبار المأثورة بئر العهن موجود مستعمل الى الآن .

والقرية الثالثة العوالي شرقي قربان وهي قدر قبا وقربان في السعة وكثرة النخيل الا أن ماء قبا قراح وماء قربان أدنى منه درجة ولذلك فيها الفواكه والأثمار والأزهار وأما العوالي فماؤها أدنى درجة منها وفيها من الآبار المأثورة الغرس والفقير ومن المآثر مشربة ام ابراهيم ابن سيدنا النبي ﷺ وهواء العوالي أنصح وأنشط من بقية القرايا وبينها وبين المدينة نخيل كثيرة .

وفي الجهة المذكورة داخل سور المناخة مسجد لسيدنا عمر الفاروق عند مجرى أبي جيدة وله منارة ومسجد غير مأثور بمنارة في حوش التاجوري .

وما في الجهة المذكورة داخل السور الجواني شيء .

وفي الجهة الشرقية قرية العريض خراب وعلى أعلى الحرة مقابل لختم جبل أحد مرقد سيدنا علي العريضي ابن سيدنا جعفر الصادق ـ رضي الله تعالى عنه ـ له مسجد معقود وبجانب القبة منارة ومن غربي المقام مزارع كثيرة بآبار وتعرف بمزارع ابي الرشيد بينه وبين المدينة المنورة من طريق الحرة الشرقية ساعة واحدة للماشي وأقل منها للراكب .

[٧] وفي الجهة المذكورة من بعد النزول من فوق الحرة الى الأرض السهلة ويعرف بجزع باب الجمعة يكون عن يسار الخارج من المدينة الى العريض مسجد

الاجابة من المساجد المأثورة وهو بين الحدائق على مرتفع من الأرض ومن قبلة وراء الحديقة المعروفة بالعنبرية القريبة من المزرعة المرتفعة على الحرة الشرقية المذكورة المعروفة بدشم ثلاثة (؟) قباب على ان واحدة فيها صحون من حجر أسود ويسمونها أهل زماننا محل نزول المائدة والثانية مدفن الدلدل بغلة سيدنا النبي ﷺ والثالثة (؟) ثم من شرقي البقيع قبتين احداهما فيها مرقد الصحابي الجليل سيدنا ابي سعيد الخدري الأنصاري رضي الله تعالى عنه وبجانبها قبة سيدتنا فاطمة بنت أسد والدة سيدنا علي بن ابي طالب ـ كرم الله تعالى وجهه ـ ثم البقيع الشريف خارج السور السلطاني الجواني مقابل لباب الجمعة المذكور آنفاً وفيه من القباب عشرة وطاجن ومسجد مـــأثور ويعرف بمسجد الصحابي الجليل سيدنا ابي ابن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ومن قبليه قبة آل البيت العظام وهي أكبر القباب عند عتبة بابها الشامي فسقية يدفن فيها بعض السادة العلوية وعند بابها الغربي طاجن فيه مدافن لبعض أمراء المدينة المنورة من أشراف بني حسين وفيها على الصحيح مرقد السيدة فاطمـة الزهراء البتول بنت سيدنا الرسول ومرقد سيدنا العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ومرقد سيدنا الحسن السبط رضي الله عنه ومرقد سيدنا علي زين العابدين ابن سيدنا الامام الحسين السبط رضي الله عنهم ومرقد سيدنا محمد الباقر ومرقد سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنهما، ومن قبليها قبة لا شيء فيها وتعرف بقبة الأحزان لا يزورها إلا الشيعة من الاعجام وغيرهم في زمن الموسم ومن شرقي مسجد ابي ابن كعب المذكور مقابر كثيرة فيهم (؟) مراقد صاحب الطريقة الشيخ محمد السمان المدني وأولاده ومن شرقيهم قبة امهات المؤمنين المدفونين بالمدينة المنورة منهم سيدتنا عائشة الصديقة رضي الله عنها وعنهن اجمعين وجملتهم سبعة في قبة واحدة وأما السيدة ميمونة من الزوجات الطاهرات فهي مدفونـــة في حدود الحرم المكي بالحديبية والسيدة خديجة بنت خويلد جدة الاشراف مدفونة بشعبة النور بمكة المشرفة ومن شرقي قبة الأزواج قبة بنات النبي ﷺ وهن زينب ورقية

وأم كلثوم وشامي قبة الزوجات الطاهرات قبة سيدنا عقيل ابن ابي طالب وفيها مرقد سيدنا سفيان بن الحارث وسيدنا عبدالله ابن سيدنا جعفر الطيار وعند باب القبة بجوار ركنها الشامي الشرقي مرقد سيدنا سعد ابن ابي وقاص المهاجري من العشرة المبشرة بالجنة وشامي قبة سيدنا عقيـــل قبة الامام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ ومن شرقيّها باتصالها [٨] قبة سيدنا نافع القرّا مولى سيّدنا عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنه ومن شرقيها قبّـــة سيدنا عثمان ابن مظعون المهاجري رضى الله عنه وهو أوّل ميّت دُفن بالبقيع الشريف ولحده سيدنا النبي ﷺ بيده الشريفة في قبره ثم حطّ الحجر المنصيل (؟) على رأس القبر بيـــده ثم دفن ابنه ابراهيم عنده ومعها على أصحّ الرّوايات سيدنا عبد الرحمن بن عوف المهاجري من العشرة المبشّرة وقيل إن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه معهم ومن شرقيها في وسط البقيع بالجبهة الشامية منـه بجوار الباب الشامي الغربي مراقد الشهداء المنقولين يوم احد قبل صدور الأمر من المصطفى ﷺ بدفن الشهداء في مصارعهم وعند مراقـد الشهداء المذكورين فساقي كبار للدفن العام في أيام وقوع الموت الذّريع وفي آخر البقيع الشريف من جهته الشرقية قبة عظيمة دون قبة آل البيت في الجسامة وفيها مرقـــد ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ومن شاميّها بمـــلاصقة الجدار الشامي قبة كقباب الزوجات والبنات الطاهرات فيها مرقد السيدة حليمة السّعدية مرضعة سيدنا النبي ﷺ ومن خلفها خوخة صغيرة ومن شرقيها خارج جدار البقيع الشريف قبة سيدنا أبي سعيد الخدري وقبة سيدتنا فاطمة بنت اسد المذكورتان آنفا .

وإن للبقيع الشريف سور مجصّص حائط به وله أربعة أبواب ثلاثة غربية وبابان شاميان فواحد من الثلاثة الغربية تجـــاه باب قبة آل البيت العظام الغربي وهو مخصوص لتدخيل جنائز النخاولة التي لا يصلى عليها في الحرم الشريف والباب الثاني الغربي هو المقابل لباب الجمعة ومنـــه دخول

جنائز الأهــــالي والمجاورين والحجاج والزوار وهو المفتوح على الدوام واما الباب الثالث الغربي هو في الركن الأوسط من الجهة الشامية عند مراقد الشهداء لا يفتح إلا في زمن وقوع الموت الذريع فقط لقربه من الفساقي الكبار واما الشاميين (؟)فأحدهما عند الفساقي والثاني تجاه قبة سيدنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ويفتح في أيام الأعياد لازدحام الناس لزيارة أهل البقيع بعد فراغهم من صلاة عيد الفطر وعيد الاضحى في كل سنة ومن بين البقيع وبقيع العمّات الطيبات السيدة صفية والسيدة عاتكة أخوات سيدنا حمزة رضى الله عنهما الطريق النافذ إلى جزع باب الجمعة وإلى مسجد الإجابة وإلى زرب هتيم الذي فوق طرف الحرة الشرقية ومنه إلى مرقد العريض وما حوله من المزارع وإلى الطريق الشرقي وطريق الحناكية وغيره من المسالك .

وبقيع العمات الطيبات هو من البقيع الشريف ولكنه لما صار بناء السّور الجواني بالحجر والجص في زمن الغازي القانونجي السلطان سليمان خان في الخمسين بعد التسعماية من الهجرة استدخل أكثر البقيع في المدينة المنورة وبنيت بعد نبش القبور التي صارت في المستدخل منه دور كثيرة حتى صارت حارة مستقلة وتعرف الآن بحارة الأغوات خدمة حضرة سيد الكائنات وأحيط على [٩]ما بقي بجهة قبة العمّات بجدار من الحجر مجصص بباب واحد عند قبة السّيدة صفية المذكورة فــــلا يدفن فيه الآن وإنما يفتح بابه في أيام مواسم الأعراب للزيارة .

وفي الجهة الشرقية من البلدة الطيبة داخل السّور الجوّاني على يسار الداخل من باب الجمعة بملاصقة جدار السّور الجوّاني قبة كبيرة فيهـــا مرقد سيدنا اسماعيل ابن سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنهما .

وبجوار الحرم الشريف تجاه باب الجبر رباط العجم ومن قبليّه قبة المرحوم نجم الدين الزنكي المنقول بعد موته حسبما أوصى به أخيه (؟) ملك اصفهان

على أعناق الرجال والحفاظ يقرؤون بين يدي نعشه من اصفهان إلى الحلة ومنها إلى مكة المكرمة وبعد الطواف بالبيت الحرام أتوا به إلى المدينة المنورة وزوّره الحبيب الأعظم ﷺ وصاحبيه ثم دفنوه بالقبة المذكورة وما بينه وبين الحرم الشريف إلا نحو خمسة أذرع بالعمل وبينه وبين المرقد الشريف النبوي عبارة عن خمسة عشر ذراع ومن قبليه قبة ثانية شرقي الحرم الشريف فيها مرقد أبو شجاع من علماء الشافعية ومن قبلي تربة أبي شجاع دار سيدنا عثمان وهي سكن شيخ الحرم النبوي كائناً من كان وفي طرفها الغربي مشهد سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وبابه مقابل لباب ديار آل عمر المعروفة الآن بديار العشرة وبينه وبين دار سيدنا أبي أيوب الأنصاري الذي فيها مبرك ناقة النبي ﷺ يوم هجرته إلى المدينة المنورة طريقاً نافذاً (؟) إلى حارة الأغوات وفيه باب دار المشيخة الجليلة وبجوار المبرك بيت نائب الحرم كائناً من كان وتجـاه بيت حضرة النائب كتبخانة عظيمة للمرحوم عارف حكمة بك شيخ الاسلام بالأستانة سابقاً فيها من الكتب النفيسة ما لا يوجد في غيرها ولها خدمة بمعاشات شهرية تأتيهم من وقفه الموقوف عليها بالأستانة .

وفي الجهة الشامية جبل احُد وفي سفحه القبلي على مجرى سيل قنـاة ووادي شظا المعروفان الآن بسيل سيدنا حمزة مسجد سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه وهو اسد الله واسد رسوله وعم رسول الله وسيّد الشهداء وفيه مرقده الشريف ومرقد سيدنا عبدالله بن جحش المهاجري ومن غربيه في الصَّمْدِ بسكون الميم دائرة مبنية على مراقد الشهداء الأحديين وامـا الدائرة المبنيـة من شاميّ المسجد المذكور فانها على قتلى أهـل المدينة المنورة الذي(؟) قتلوا في زيارة الرّجبيّة في حرب بني علي سكان العوالي بالقرن العاشر ، وإلى جانبهم منهل لعين السلامـة يتوضأ ويغتسل منه من أراد الدخول إلى المسجد ومن شاميّ المنهل المذكور منهلٌ آخر لعين عبّاس طيّار المدني بجوار قبة الثنايا الشريفة النبوية محل سقوط ثنايا سيدنا الحبيب الأعظم ، ﷺ في غزوة أحد جددها الحـاج رامز باشا صهر [١٠] المرحوم سليم بك المابنجي من أهالي الاستانة .

ومن شامي قبة الثنايا عند ذيل الجبل مسجد غير مسقوف ويعرف بمحل نزول الآية الشريفة .

ومن شرقي مسجد سيد الشهداء صهريج كبير يمتلىء في زمن الأمطار من السيل ، لشرب الزوار دائماً ، وهو خيرات المرحوم سنان باشا من وزراء الدولة العلية العثمانية .

ومن قبلي المسجد والصهريج جبل الرماة المسمى بجبل عينين في ذيله من جهة المشرق مسجد صغير نبوي محل مناخ المصطفى ﷺ يوم خروجه من المدينة المنورة لغزوة أحد ، بات فيه ، وباشر الحرب في الصباح ، ومن شرقي المسجد المذكور قبة جميلة وتعرف بقبة المصرع، وهي محل مصرع سيدالشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله تعالى عنه ـ بعدما عثر به جواده وهو يهدُّ جموع المشركين فانكشف درعه الشريف فزرقه وحشي الحبشي بحربته في خاصرته الشريفة ، جدد تلك القبة [١] أيضاً الحاج رامز باشا المذكور وعليها مسكن وعند بابها حديقة صغيرة وفيها نخيلات تشرب من البئر ومن السيل اذا سال .

وعلى جبل الرماة بيوت كثيرة من حجر ومن لبن ، للأهالي ينزلون فيهـــا زمن الربيع لتبديل الهواء وفي أيام الرجبية لزيارة الحمزية ليلة اثني عشر من رجب في كل سنة لكثرة من يأتي إليها من القوافل والركبان ، وهي أشبه شيء بليالي منى .

وبين سيدنا حمزة والبلدة الطاهرة مسجد عند الحديقة السالمية على مرتفع من الأرض وهو غير مسقوف وهو مسجد الشيخين ويعرف الآن بمسجد الدرع على يسار الذاهب الى المدينة .

---

(١) بناء القباب على آثار الصالحين من الامور المبتدعة في الشريعة الاسلامية ، وكذا البناء على القبور محرّم بنص الحديث الشريف .

ومن شاميه على يمين الذاهب الى المدينة المنورة غربي الحرة الشرقية على قارعة الطريق مسجد على قطعة من الحرة غير مسقوف ويعرف بالمستراح .

وفي جزع الصدقة مسجد صغير ، غير مسقوف ، عند مفيض عين الصدقة ويعرف بمسجد سيدنا أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه .

وعند الثنية على يمين الداخل بملاصقة جدار الحديقة المعروفة بالزكيّ غربي الحديقة المعروفة بالداوودية قبة فيها مرقد صاحب النفس الزكية ، سيدنا محمد زكي الدين الحسني ، ابن سيدنا الحسن المثني ، ابن سيدنا الإمام حسن السبط ، قتل في زمن بني العباس لأجل المبايعة التي حصلت له من أهل المدينة المنورة .

ومن شامي القبة المذكورة الثنية عليها كشك يوسف باشا المعروف الآن بالقُرين .

ومن شامي القُرين المذكور ، جبل ذباب ، ويعرف بالقرين التحتاني عليه مسجدنبوي،وهو محل مركز راية سيدنا النبي ﷺ في زمنه إذا أراد الغزو لجهة من الجهات .

وفي الجهة الشامية من الآبار المأثورة : بئر حاء ، تجاه باب المجيدي شامي الحرم الشريف وبئر بضاعة [١١] قريب من الباب الشامي في الحديقة المعروفة الآن ببضاعة .

وداخل القلعة السلطانية مسجد لسيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، وللمسجد المذكور منارة بشرفة واحدة على باب القلعة المذكورة.

وأما الجهة الغربية ،ففيها مسجد الشجرة ومسجد المُعَرَّس فيذي الحُليفة المعروفة الآن بآبار علي .

أما مسجد الشجرة جدده في سنة التسعين بعد الألف رجل منأهل الهند، بعد الإستئذان من الدولة العلية العثمانية ، وأما مسجد المعرّس فإنه قبلي مسجد ذي الحليفة الذي هو ميقات أهل المدينة المنورة إلى الحج .

وفي نقب بني دينار بئر سيدنا عروة ابن سيدنا الزبير بن العوام ـ رضي الله عنهما ـ على شاطيء مجرى سيل العقيق .

وفي شامي الحرة الغربية على طرف الحرّة مسجد القبلتين .

ومن شاميه في أرض الجُرُف المعروف بوادي إبراهيم بئر رومة من الآبار المأثورة . وقف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وغربي جبل سَلع المساجد الأربعة : منهم (؟) مسجد الفتح المأثورة من يوم غزوة الاحزاب .

وعلى الزقيقين المعروفين الآن بالمدرج مسجد المنارتين ، ويعرف الآن بقبة الخضر عليه السلام .

وفي النقا خارج باب العنبرية مسجد السقيا ، وبئر السقيا من الآبار المأثورة.

ثم داخل البلد من جهتها الغربية مسجد بمنارة صغيرة على الشارع ، جدّده وانشأه حافظ بهرام أغا القزلار يعني أغات السراية الهمايونية في زمننا هذا .

وفي زقاق الكاتبية مسجد صغير بمنارة صغيرة ويعرف بزاوية ابن السانوسي[1] ساكن الجغبوب صاحب الطريقة السانوسية .

ثم مسجد الخاسكية التي هي الآن (خسته خانة) للعساكر النظامية[2].

ثم مسجد المصلى الكائن بوسط المناخة ، وفي الصف الغربي من المناخة المذكورة مسجد نبوي مأثور أيضاً وله منارة ويعرف بمسجد سيدنا أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ .

ومسجد مأثور أيضاً بالقرب من زقاق الطيّـــار ، ويعرف بمسجد سيدنا الامام علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ .

---

(١) يقصد : السّنوسي والسّنُوسيّة .
(٢) أي مستشفى من (خسته) : مريض و (خانه) : مكان .

وفي الجهة الغربية ملاصق للسور الجواني ، داخل البلدة الطاهرة مسجد الصحابي الجليل سيدنا مالك بن سنان من شهداء أحد ، دفن بالمدينة المنورة رضي الله تعالى عنه .

وفي زقاق الطوال مرقد سيدنا عبدالله ، والد سيدنا رسول الله ﷺ ، مقام جميل دائماً يُزار [1] .

الفصل الثالث

فيما في الجهات الأربع من الآبار والانهار والنخيل والأشجار

الجهة القبلية : فيها العين الزرقاء ، ماء عذب ه

والعين المالحة السلطانية ، وكلاهما للملك الأزرق من بني أمية [2] .

أما الزرقاء فهي الذي منها في المناخة منهل وخرزات متعددة [١٢] يسقون منها الناس ، وداخل المدينة في السور الجواني أربعة مناهل الاول في حارة الأغوات . والثاني منهل باب السلام تحت بيت الإزمرلي . والثالث في آخر الساحة بقرب الحارة الجديدة المعروفة بالسلطانية لعديلة سلطان بنت السلطان محمود خان ، والرابع داخل القلعة الخاقانية ، والمنهل الخامس عند مرقد النفس الزكية المذكورة آنفاً بجانب الحديقة المعروفة بالزكي ، ومنه إلى المفيض الذي هو شامي المدينة المنورة عن البلد نصف وربع ساعة للماشي .

وأما المالحة فمجراها من قبا تحت مجرى الزرقاء ، وانها لدفع القاذورات من الميضات والبلاعات التي حول الحرم الشريف النبوي ، ويختلط فائض ماء الزرقاء وماء المالحة في منهل عند جبل ذباب الذي عليه مسجد الراية ويعرف بالقرين التحتاني ، ومن ذلك المنهل إلى المفيض المذكور .

---

(١) زيارة هذا المكان بدعة .

(٢) هذا غير صحيح وانظر « وفاء الوفاء » .

ومن مجرى ابو جيدة من الجهة القبلية المذكورة ثلاثة عيون تفيض :

إحداهم بالصدقة وهي شركة السيد علوي سقاف وشيخ الفراشين البري ومن معهم .

وواحدة للسيد هاشم جمل الليل وشركائه ، ومفيضها من شامي جبل سلع على طريق الجرف .

والثالثة شامي ذباب لأغوات الحرم النبوي ومن معهم من اغوات السراية الهمايونية والأهالي وغرسها جديد .

وعين رابعة من الجهة القبلية وتعرف بعين كبير مفيضهـــا خارج البلدة الطاهرة من جهة القبلة عند الحديقة المعروفة بالمرجلين التي هي على طرف بطحان من عرب ، وشرقي مجرى الرانونة التي تسيل من قرية قبا من وسط الحرة ، ولم يكن مفيض لشيء من العيون من جهة القبلة إلا لعين كبير (؟) وبسبب قربها من محل المرواة وعدم امتداد دبلها في الجهة القبلية لمعارضة الحدائق له ، يكثر ماؤهـا في الشتاء ويقل في زمن الصيف حتى ان أكثر أهلها يسقون بالسواني .

وفي الجهة القبلية لعذوبة ماء قباء وقربان حدائق منظومة بانواع الأشجار كالعنب والرمان ، والليّم والليمون المالح والحلو ، والموز ، والخوخ ، والتفاح ، والكبّاد ، والنفاش ، والحماط البلدي وابو شوك الافرنجي ، ومن الزهورات (؟) الورد والفل والفاغية والريحان ، والنخيل المفتخرة ، إلا العوالي فإنها قليلة الكروم كثيرة النخيل وفيها السدر كثير وفيها مزارع كثيرة .

وبين القرايا (؟) والبلدة مسافة خمسة آف ذراع معماري ، في كل ذراع أربعة افتار بالفتر الأوسط لا الكبير ، وكلها نخيل بعل مملوكة للأهالي واكثرها للعربان وتعرف بالصيارين يصيفونها الحضير من العربان في زمن الصيف ويرحلون عنها اذا تم الجذاذ في النخيل .

وفي زمننا هذا، كثر الغرس في الأراضي الخالية التي بين المدينة والقرايا[١٣] وبعد سنيات تتصل النخيل بالذي عند سور البلدة الطاهرة من الحدائق .

وأما الجهة الشرقية من البلدة الطيبة لامتداد الحرة فيها ، فلا أنهار في الحرة إلا وادي قناة المعروف بسيل سيدنا حمزة رضي الله عنه ففيه منابع ومجاري احدى عشر عين(؟) بعضها عامر وبعضها انقطع واندمر وبقي دبله يابساً من خرابه، ونخله صار كالصيارين يشرب من وقع الأمطار ولا ينتفع من أرضه بشيء .

ومفيض العيون المذكورة سيأتي بيانه في الجهة الشامية .

وغالب أرض الحدائق الكائنة بين الحرة الشرقية والمدينة المنورة سبخة ينبت فيها النخل والسدر والرمان والحماط ، ولكنه في الجزع المعروف بجزع باب الجمعة قليل .

وبين سور البلدة الجواني والحرة الشرقية المعروفة بجهة دشم نحو من الفين ذراع معماري عن كل ذراع أربعة افتار .

وأما الجهة الشامية ففيها من العيون :

ونبدأ بالأقرب فالأقرب من العيون مع بيان العامر والدامر من ذلك، وما في كل عين من النخيل تقديراً .

فما يلي المدينة من الجهة الشامية على يسار الذاهب إلى العيون :

عين الاغوات خدمة حجرة سيد الكائنات ومن معهم من أغوات السراية الهمايونية ومن الأهالي عند جبل ذباب الذي عليه مسجد المعروف الآن بالقرين التحتاني .

وغربيها على يسار الذاهب إلى الجرف يعني بئر عثمان – رضي الله عنه – عين للسيد هاشم جمل الليل ومن معه من الأهالي وكلا العينين جريا في عام تسع وتسعين بعد المئتين والألف من الهجرة .

ومن شرقيها عين في الجزع المعروف بجزع الصدقة ، وتعرف الآن بعين الصدقة للسيد علوي سقاف شيخ السادة ، وشيخ الفراشين الأفندي البرّي ومن معها ونخلها نحو الألفين .

ومن شاميها بعد ربع ساعة الماشي عين جديد مفيضها عند حرة المستراح ، لم تجر إلى الآن لما عرض لها من الحجج في منبعها وهي للسيد حسين بافقيه شيخ السادة العلوية سابقاً شركة المؤلف ومن معها .

وباتصال أرضهـــا أراضي العين العامرة المغروسة المعروفة بالسرّانية شركة المؤلف الأفنــدي علي موسى ومن معه ، وفيها من النخل نحو ثلاث آلاف نخلة غير الرمان والحماط .

ومن غربيها أرض مفيض عين الحازمية للمرحوم السيد مـــدني وللمرحوم مصلح الشريوفي شركة المؤلف ، ومن معهم من الشركاء ، ونخلها نحو الألف وخمسمائة ، فإنّ نِصْف مائها يقاد إلى أراضي ونخيل عين المصرع للسيدمدني وبني علي لانقطاع عين المصرع من ثلاثين سنة ، وسببه أن عين المصرع كانت جارية من خمسمائة عام للشريف وُدَيّ ونخيلها على طرف وادي قناة تجـــاه مرقد سيد الشهداء عن يمين ويسار الذاهب لزيارة شهداء أحـــد ، فاشترى أكثرها سعيد عبد الواحد [١٤] المدني ، وأراد أن يستصفي البقية من شركائه بني علي فأبوا فتراخى في تطهير وتنظيف مجرى الماء حتى تقاصر ماؤهـــا ليعوضهم فمات فباع ورثته نصيبه منها على السيد مدني ، فالتزم الآخر طريقة سعيد عبد الواحد ليشتري من بني علي حصصهم فاندمرت العين ، فتركوا دَبْلَـها باقي على حاله فيه الخراب ، واشترى ثمانية أوجاب(؟)من عين الحازمية يسقي بها في أرض المصرع . واشترى بنو علي لأرضهم من عين الحازمية ثلاثة أوجاب ونصف ، ومعنى الوجبة من طلوع الشمس إلى الغروب أو من الغروب إلى الطلوع ، وفي أرض عين المصرع من النخل نحو الألف عود .

ومن شاميّ مسيل سيدنا حمزة بسفح أحد عند شريعة الحمام عين الشريوفي متقطعة دامرة ، وفيها من بقايا نخلها خمسين وسدرة.

وغرب مسجد سيدنا حمزة – رضي الله عنه – مفيض عين الثناية (؟) ويقال لها عين معاوية المرحوم السيد أبي السعود داغستاني المفتي سابقاً ، وابراهيم قاضي والبساطي وجليدان ومحمد صالح الشرقي وشركائهم من الحيادرة ومن معهم من الردادة ، وفيها من النخل دون غيره من الأشجار نحو الأربعة آلاف عود .

ومن غربيها عين السلامة شركة السيد أبي السعود المذكور والمرحوم السيد أسعد والمرحوم ابن جوعان الشرقي ومن معهم من الحيادرة والصعايدة وغيرهم وفيها من النخل نحو الخمسة آلاف عود غير الرمان والليمون والحماط، وهي من أضبط العيون دبلاً وأحسنهم (؟) موقعاً وأرضاً ولها منهلاً (؟) عند سيد الشهداء ، للوضوء والغسل منه .

ومن غربي عين السلامة المذكورة عين الحناينة وتعرف الآن بالغرابية ، نخلها باقي ، ودبلها لا ماء فيه لخرابه ، واختلاف أهلها وفيها من النخل نحو الألف وخمسمائة عود منه قصر المرحوم محمد ناصر ، يسقى بالسواني من البئر .

ومن قبلي الغرابية على شاطىء المسيل المذكور من الجهة القبلية عين المرحوم السيد عبدالله جعفر كاتب الخزينة الديوانية ، فيها من النخل نحو السبعمائة عود ، وغالب الشركاء في العين المذكورة ما عمروا أرضهم .

ثم اعلم أن مجرى السيل في ذلك هو مجمع السيول الأربعة يعني سيل سيدنا حمزة وسيل أبي جيدة وسيل الرانونة وسيل العقيق ، ويمشون (؟) سواء إلى الغابة فالوادي الذي هو مجمع السيول يقسم أراضي العيون قسمين : أحدهما شرقي بالسفح الغربي من جبل أحد ويعرف بالجزع الشرقي إلى الحيدرية، والجزع

الثاني على جانب الوادي من غرب ، ويعرف بجزع الصادقية ، فمن أرادجزع الصادقية أخذ مع طريق البركة بكسر الموحدة حتى ينتهي إلى الصادقية . ومن أراد الحيدرية أخذ من جادة الجزع الشرقي من بين حدائق عين السلامة والقرابية .

وان من شامي خوارج (؟) عين السلامة عين الطيار للمرحوم عباس طيار، وأخيه علي طيار وشركائهم [١٥] صالح بن دخيل الحازمي والسيد محمد بن علي هاشم ، وفيها من النخل غير الأشجار نحو الثلاثة آلاف عود .

وعن يسار الدرب عين المدينة للمرحوم السيد محمد مدني والسيد سليمان نجار وأبو بكر أبو النصر وعوّاد بن راجح وعلي خاشقجي ومحروس حمزة ، ومن معهم ، وفيها من النخل نحو الأربعة آلاف عود .

ومن شاميها المانعية لمحمد محروس والسيد عبدالله جعفر وشركائهم ، وفيها من النخل نحو الأربعة آلاف .

وعين النجيلية للصويغ وروس (؟) وسعد النحاس ، وفيها من النخل نحو الثلاثة آلاف .

والمدافعية القديمة وفيها من النخل نحو الثلاثة آلاف لمحمد محروس ، ومن معه .

وعين باني لمحمد محروس المذكور ومن معه ، وفيها من النخل نحو الثلاثة آلاف .

والمدافعية الجديدة لمحمد محروس ومن معه وفيها من النخل نحو الاربعة آلاف .

وأم سديرة لعبدالله ابي خزيزة (؟) وشركائه ، من حضر وبدو وفيها من النخل نحو الثلاثة آلاف .

والعباسية لاولاد عباس والسيد طه الحلبي ومحمـــد رشوان وابراهيم قاضي ومن معهم ، وفيها من النخل نحو الألف .

وعين موسى لعواد بن راجح العمري وشركائه ، وفيهـــا من النخل نحو الالف وخمسمائة عود .

وعين السريحية ، وفيها من النخل نحو الخمسمائة عود .

وعين الضاهرية للسيد عبدالله جعفر الـكاتب ، والمؤلف وعبدالله عرب الميمني وشركائهم فاضت من سنتين ، وغرسها ما استكمل .

وعين الحيدري لوصل العيدي والحيادرة ومن معهم فيها من النخل نحو الالف ولكن مدرها واسع للزروع .

ومن بعدها خد البنت عين قديمة صار الشغل فيها ، فاختلف أهلهـــا وبقيت لم تجر .

وأرض مفيض عين الزبير المشهورة فسيحة ، ولكن العين ما تعين لهـــا من يجريها .

ثم تقطع الوادي مغرباً حتى تصل إلى جزع الصادقية فآخر الجزع من جهة الشام قريب من الجبال الشامية المعروفة بجبال الغابة أرض مفيض عين علي المشهورة بأم هجول للمؤلف عين قديمة شرع فيها المؤلف، وبقي عليها القليل، وتفيض في مدرتها ، ويحدها من غرب عين الصادقية .

ومن قبليها مفيض العرجاء التي لم تفض إلى اليوم .

ومفيض الزهراء لمحمد محروس وشركائه فاضت في هذا العام .

ثم المقبولية لكليب السعداني الحبلاني وجماعته فيها من النخل الجيد نحو الثلاثة آلاف ، وفيها مسجد عامر ، وفيه معلم لتعليم الصبيان القرآن .

ومن شرقيها عين تعرف بالعَمْرية فيها نحو ثلاثة آلاف عود نخل .

ومن قبلي العمريّة : أمّ البيض ، عين جارية ، فيها نحو الألفين وخمسمائة عود نخل .

وقبلي ام البيض عين الهُريسية نخلها نحو الألفين .

وقبلي الهريسية عين جديدة وتعرف بالشنيبلية [١٦] فاضت في العام الماضي ، وما تم غرسها وهي لمعتوق افندي خاشقجي والسيد ابراهيم اسعد وعبدالله عرب الميمني ومن معهم من الشركاء .

ومن غرب الشنيبلية الريان عين المرحوم صالح خاشقجي المدني وشركائه من البدو .

ومن شامي عين الريان عين السكراني لمسلم السكراني وشركائه ، وفيها من النخل نحو الالفين كذلك نخل الريان قريب الألفين .

ومن قبلي الريان عين البالي للمرحوم مصطفى افندي ارنوط وشركائه في من التمم والأهالي ، نخلها قريب الألف ، الا أن عينها منقطعة من نحو خمس وعشرين سنة ، ولكنها في سفح جبل ، وعليها شرائع من الأمطار ، فلذلك لم يختل نخلها .

ومن قبلي عين البالي عين البركة مفيض العين الزرقاء السلطانية والمالحة ، للشريف شاهين بن محسن الحسيني الشدقمي ربع المفيض ، والباقي لكثير من الأهالي والاشراف والسادة ، ونخلها نحو الخمسة آلاف عود .

ومن شرقي البركة عين الفقراء وتسمى ايضاً الجوعاينة ، نخلها نحو الألفين للمرحوم سليمان الكردي والمرحوم الشيخ الحساوي وشركائهم من حضر وبدو.

ومن قبلي البركة وعين الفقراء مفيض لعين الحنانية في خوارج الدومة (؟) للشريف شاهين المذكور وشركائه ماوصل الماء الأرض .

ومفيض عين الكركتلي الدامر دبلها التي هي لورثة المرحوم محمد ناصر .

وارض مفيض عين الحوازم شركة الشريف شاهين المذكور واحمد محروس وصالح بن دخيل ، وهي والكر كتلية لاختلاف اهلها لم يردا إلى المفيض .

وفي ناحية الجرف عند بئر عثمان مفيض لعين مروان بن الحكم التي آلت للمرحوم الشريف عبدالله باشا بن عون امير مكة أسبق (؟) بالشراء الشرعي من أهل الأوجاب ، حضر وبادية ، واستحكر أرض المفيض من الخزنة النبوية بالمدينة بحكر مرصد في كل عام .

وعين ثانية لأغوات الحرم الشريف النبوي كلاهما في مجرى سيل العقيق ومنبعها من عند ذي الحليفة المعروفة الآن ببئر علي ، وصار فيهما الشغل مدة ، ثم بقيا على حالتهما ، لم يرد ماؤهما إلى أراضيهما .

وهذا جملة المغروس وغير المغروس من العيون حول المدينة المنورة ، خارج سورها ، وأما في الجهات المذكورة من البعد عن المدينة بخمس ساعات أو أكثر فأنهار كثيرة ظاهرة دامرة .

والآبار في هذه الجهة الشامية بالنسبة لغيرها من الجهات فقليلة جداً لأن أغلب غرسها وزرع أرضها على الانهار الجارية ، وهي العيون . وفي بعض الحدائق آبار جديدة للاحتياط إذا قل ماء العين يسقون من البئر لإكمال السقي .

[١٧] وأقرب الحدائق إلى سوق المدينة المنورة كالداوودية المرحوم داوود باشا والزكي للمرحوم علي آغا فرزاني متسلم الحرم النبوي وكالسبيل الذي فيه البركة لميراد حيوانات الحج الشامي والحج العقيلي في الموسم ، فهو من مسقفات الحرم ، وهو الآن في عهدة شيخ الخطباء السيد أحمد اسعد افندي وكيل فراشة مولانا السلطان .

ثم الحديقة المعروفة ببضاعة لآل السيد جمل الليل .

ثم بضيعة للسيد احمد اسعد المذكور .

ثم الطرناوية للشيخ محمد قاضي بن علي قاضي .

ثم الفيروزية للحرم الشريف .

ثم الزينية للسيد محمد الذهبي كاتب الاغوات سابقاً .

ثم الدرويشية للحرم .

وبئر حاء لسليمان كردي ومصطفى كردي .

وبئر حاء الصغير للمتسلم مرجان آغا سليم .

والتواتية للملك حيدر أباد .

والجودية لأحمد ابن الجود الحميداني .

والكاتبية للسيد محمد صالح افندي ابن كاتب السلطان .

والسمانية لطاهر بن عمر سنبل .

والذي عن شرقيها لآل الكردي ، وحديقة عبد الجليل افندي برادة .

والرومية للحرم .

كل هذه الحدائق المحاطة بالسور الجوّاني ما بينهم (؟) وبينه إلا الطريق جميعهم منظومين (؟) بمساكـــن منتظمة ، ودواوين وبرك تسقى بالسواني وفيهم (؟) النخل والعنب والرمان والحماط والسدر .

ومن شاميهم (؟) متصل العمار إلى جهة جصّة الصدقة وغالب نخيل اغوات الحرم ومزارعهم في هذه الجهة ، وفي الجهة الشرقية .

ولا يضاهي الجهة الشامية في لطافة الحدائق القريبة عند السور إلا الجهة القبلية خارج باب قبا ، فإن فيه حدائق بمساكن منتظمة يأتي بيانها في باب التعريف للداخل إلى المدينة .

وبعد الجهة الشامية من باب البلد إلى جبال الغابة نحو من خمس وعشرين الف ذراع بذراع العمل المعماري عن كل ذراع اربعة أفتار .

وقد بقى في هذه الجهة الشامية غير المغروس منها مـــدراً كثيراً (؟) لا يرجى إعماره إلا إن كان بالآبار ، وتسقى منها بالسواني ، لأن مطالب العيون من قبلة وشرق قد تزاحمت فيها المجاري ، ولا يمكن بعد اليوم إحداث دبل غير الموجود ، لأنه يضر بما قبله .

وان الانهار الفائضة في الجهة الشامية ، فكلها قاصرة عن البلدة الطاهرة الا عين السيد علوي سقاف وعين السيد هاشم جمل الليل ، وعـــين الاغوات المذكورات آنفاً، دبولهم (؟) تمر من شرقي البقيع الشريف من أوسط الحدائق والصيارين إلى جهة سيل أبي جيدة .

وباقي العيون فكما تقدم ان بعضها منابعه من الجهة الشرقية من الدويخلة ومن مسيل سيدنا [1] [١٨] وبعضها من الجرف ، ولذلك ماء جميع العيون فيه الملوحة إلا الجزع الغربي المعروف بجزع الصادقية ، فإن انهاره كلها عذبة وتصلح عليها جميع الكروم ، لأنه من ماء الجرف يعني ماء آبار الجرف الذي منها بئر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وأما الجهة الغربية المدينة المنورة الذي منتهاها ذو الحليفة وهي مجمـــع الطرق لمن جاء من ينبع البحر أو من رابغ أو من مكة أو من جدة ، فإن مزارعها على الآبار ، وليس فيها من الأنهار إلا عيناً (؟) واحدة جديدةفاضت بهذا العام وهي لبنية السراني وشركائه الافندي عمر زاهد والافندي محمد علي حجار ومن معهم ، ولم تغرس إلى الآن ، وحولها حدائق تسقى بالسواني ، ولكنها قليلة ، وآبارها طويلة .

وفي الحرة الغربية آبار مزارع كثيرة على شاطيء مجرى سيل العقيق ، وتعرف بالعنابس .

---

(١) آخر الصفحة ويظهر انها متصلة بما بعدها مع ان كلمة (سيدنا) بدون ذكر حمزة في الصفحة التي تليها يفهم منه عدم الاتصال بين الصفحتين.

وبعد النزول من المدرج إلى النقاء الذي فيه قبة السقي من مزارع ونخيل في السيح كلها بغرس جديد ، واعظمها باتصال الحرة من شرق قبلي قشلة العساكر النظامية حديقة كبيرة كانت للافندي تاج الدين الياس باعها قبل ثلاث سنوات على عبدالله عرب الميمني

ومن قبليها حديقة للافندي عمر زاهد ، وتعرف بالمغيسلة ماؤها عذب ، وكلاهما فيه بناء محكم ، وغرس طيب و كروم وآبارهما غير طويلة ..

الباب الثاني

في بيان الحرة والجبال الذي (؟) حول المدينة المنورة والجهة التي لا حرة فيها ، وكل جهة لأي قبيلة من القبائل

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في بيان الحرة المحيطة بالمدينة المنورة من ثلاث جهات من غرب وقبلة وشرق ، والجهة الشامية لا حرة فيها ، بل فيها جبل سليع بقرب سور البلد ، عند باب الكومة وفي سفح الجبل المذكور بيوتا (؟) من لبن لسكنى الدكارنة ، وبيوتا (؟) من شعر لسكنى بعض المنقطعين من أهل البادية بأولادهم يتكففون النـاس ، ويلتقطون بعر الأباعر وروث البقر ، ويبيعوه (؟) ويتعيشون منه ، وبعضهم يستخدمه الناس للحرس في الحدائق. وفي جهة الطريق الى رومة — يعني الى الجرف — ثلاثة جبال منقطعة ، أحدهم (؟) جبل الحصانية ، وهو القريب من المساجد الأربعة ، ومن شاميّه جبل فتّه ، ومن غربي جبل الحصانية جبل صغير يقال له جبل أم ضليع . وجبل أحد بالتعريف المتقدم ، كل هؤلاء في الجهة الشامية داخل الحرم .

وأما في الجهة الغربية من غربي الحرة الغربية : الجمّاوات الثلاثة (؟) اللاتي على مجرى العقيق إلى الجرف،والعصيفرين(؟) في الحرة الغربية،والضليع الاحمر من قبل المدرّج في وسط الحرّة المذكورة .

[١٩] وفي جهة العيون شامي البركة جبل منقطع ، ويعرف بضليع البرّي وجبل آخر بالقرب منه ، ثم الضليعات أجبل غير شاخة عند رقبة الهريسية وعين الريّان ، وفي رقبة الصادقية وأم هجول المعروفة باسم المؤلف الآن ضليع صغير ولا غير ذلك في حرم المدينة الذي قال فيه سيّد البشر « من عير إلى ثور حرم » . فعير جبل أسود ممتد من آبار علي – يعني محل الميقات – إلى حدائق الوسيطة التي هي من دون العلاوة التي هي بطريق القادمين من الغاير والفرعي وانه جبل طويل مظلم .

وأما ثور فهو في نهاية مفيض الصادقية بالجهة الشامية جبل منقطع صغير أحمر ، وفي السبخة التي من قبليه على ما ورد في الحديث يكون نزول الأعور الدجال في آخر الزمان .

وما عدا ذلك من الجبال فكلها خارجة عن حدود الحرم ، حتى الحرة الشرقية التي أصابها الحريق في القرن السادس متصلة بحرّة الحرم ، المحرم على لسان نبينا ﷺ كما حرمت مكة المكرمة على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام ، فانحرق بقدرة الله ما خرج من الحرم ، ولم ينحرق ما كان في الحرم ، وان حجارة المنحرق الى الآن كوسخ الحديد الذي ينقيه كير الحدّاد وانه كالسكاكين يعسر للماشي الوطء عليه ولو منتعلاً ، وتحفى الدواب فيه سريعاً .

السابع

وأما الجهة الشامية المعروفة بالصورة (؟) فإن أرضها على قسمين : ما كان بطريق سيدنا فغالبه جصٌ يعمل منه النورة للبناء بعد حرقه ، وبعضه طين ولكن السباخ غالب عليه ، وكلها كانت مزارع آثارها بينة ، والآن بدأ فيها العمار لكثرة الأعراب المهاجرين إلى طيبة .

فالجهة القبلية لقبائل معلومة من مَسْروح – يعني أهل طريق الغـــاير والفرعي – فقرية ُقبا بما بينها وبين المدينة من الصيارين للفردة ، وقرية قربان التي هي بين العوالي وقبا للوهوب والفردة والعوالي التي هي شرق قربان لبني علي خاصة .

والجهة الشامية ما كان منها على شرقي طريق سيدنا حمزة رضي الله عنه كالصدقة وعين الحازمية والمصرع والسرانية وعـــين حسين والشريوفية المنقطعة عند سفح جبل أحد فهو تبع بني علي المذكورين . وما كان غربي سيدنا حمزة إلى جبل فتّة فللأشراف بني حسين ، والذي من شامي أرض الأشراف إلى مفيض العين الزرقا فلقبيلة الحنابية فرع من المراوحة يعني من قبائل الحوازم .

وأرض العيون التي في الجهة الشامية كلها لولد محمد وهم السعادين والسواعد والتمم وهـــؤلاء تبع لقبيلة الأحامدة . وأما الجهة الغربية كمزارع الجرف فمحمدية أيضاً لولد محمد .

[٢٠] ومزارع العنابس وأبي بريقة على العقيق وذي الحليفـة والوسيطة والعلاوة الى الجبل الأحمر المعروف الآن بحمراء نملى فلبني عمرو من مسروح ، ليس لبني سالم فيها حق إلا ما آل إليهم بالمشترى بموجب حجج شرعية .

وطريق انحصار كل جهة في جماعة أن جزيرة العرب من القديم أرضهـــا منقسمة بين العربان ، لكل منزل معلوم ، فكل قبيلة مختصة بجهة تقول لتلك الجهة : دِيرتي . وإن تملك فيها الغير بالإرث أو بالشراء فاسم الديرة باقي على أصله ، ولهم في ذلك قواعد مرعية الإجرا لو بسطناها لطال الشرح [١] .

---

(١) كل ما ذكر المؤلف عن اختصاص القبائل بتلك الجهات هو من الأمور التي جاء الشرع بقواعد توضح لكل انسان حقه ، وما خالف هذه القواعد فهو باطل ، ولهذا ينبغي مراعاة أن كل ما لا يتفق مع الشرع مما ذكره المؤلف فهو باطل لا يصح الاعتماد عليه وإنما أوردنا كلامه محافظة على الأمانة العلمية من حيث عدم تغيير نص المؤلف لا لأمر خلاف ذلك .

الفصل الثاني : في صحة أهوية المدينـــة في جهاتها الأربع متى تكون :
اعلم ان ُقبا وقـُرْبان والعوالي في زمن الصيف لكونهم (؟) أعلى من المدينة المنورة أرضاً – أبرد وأصح ، وفي الشتاء خصوصاً في زمن الأمطار وخيمة ، تكثر فيها الحمّى .

وأما الجهة الشرقية جهة العُريض فإنها أصح الجهات هواء ، وأكثرهم (؟) في الحرّة آباراً للمزارع ، ولكنها في زمن الربيع من شدة حرارة الشمس في الحرة وعدم بقاء شيء من المزارع فيها ، ولا فيها مكان يستظل فيه ، يصير للشمس تأثيراً جيداً (؟) .

وأما الجهة الشامية فإنها في الصيف وخيمة جداً ، يبدأ الوخم بها وتكثر فيها البعوضة من وقت صرام الزرع ، وأما في الشتاء فهي أصح من جهـــة العالية ، ولذلك أهل المدينة يطلعون العوالي يعني قبا وقربان والعوالي – في الصيف ، ويغيّرون الهواء في الشتاء في سافلة المدينة المنورة بناحية العيون ، وأما الجهة الغربية ، وهي جهة السيح والعنابس والجرف والعقيق ومـــا بينهم (؟) ، من الحرة فهواؤها عذب طيب ، ولكنها في أواخر الربيع تصير فيها الحمم [1] (؟) وأفاعي تلك الناحية كثيرة خصوصاً وادي العقيق .

والحاصل أن المدينة المنورة وجوانبها الأربعة إلى الحدودة المذكورة بتمامها إذا غاب نجم الثريا وثقل المذق على النخيل تكثر الحمم [1] (؟) وتمرض الأجساد ولا يصير نشاطاً (؟) في الأعضاء ، إلى طلوع النجم المذكور ، وظهور الحمرا والصفرا في النخيل ، فإذا ظهرت الحمرا والصفرا في النخيل اشتـــد الحر والسموم ، وطاب النوم في الأسطح تحت السماء ، وبدأ النشاط شيئاً فشيئاً الى زمن الخريف ، وهو أول الميزان من البروج ، فإذا دخل الميزان ، برد الماء في الكيزان ، وهو وقت جذاذ النخيل في المدينة . فأشهر الخريف في

---

(١) يقصد جمع ُحمّى

المدينة بالعالية والسافلة [٢١] عين الصحة ، وفيما عداها تكون البلد في أيام شدة الصيف في النهار بسبب القياع [1] أبرد من القرايا (؟) ، وأما في الليل فالقرايا أبرد ، لكنها فيها السّويكتة ، وهي أضعف من الناموس ، تقرص كالبرغوث ، ولا صوت لها إذا طارت .

الفصل الثالث : في الآبار التي هي أشدُّ عذوبة في الماء ، وفي الجهات الأربع أيها أجود زرعاً ، وأيها أكثر نخيلاً ومدراً ، وفي المنزولة ، دائماً والغير (؟) المنزولة .

فاعلم أن الآبار العذبة منها في قبا بئر القويّم وبئر العباسية في القائم ، وصفية في الحرة ، وبئر البويرة ، وبئر العصبة ، وما عدا ذلك فكله بالنسبة لهذه الآبار أقل درجة .

وفي العوالي بئر العسيلية — بكسر السين (؟) لأولاد المرحوم ناصر — هي أعذب آبار العوالي . وفي الجهة الشرقية بئر المبعوث من قبلي العريض في وسط الحرّة بمجرى سيل مهزور ، هي أكبر وأعذب آبار الحرة الشرقية على الإطلاق .

وفي الجهة الشامية من العيون : عيون الجانب الغربي، لأن مراويهم [2] (؟) من الجرف ، وأعذبهم (؟) الهريسة وعين الريّان .

ومن آبار الجرف أكثرها وأشدهم (؟) عـذوبة بئر رومة المعروف ببئر سيدنا عثمان رضي الله عنه .

وفي الجهة الغربية : عين بُنَيّة السراني التي فاضت هذا العام، وبئر قطعة الأفندي يحيى دفتردار ، وبئر المغيسلة ، وبئر فاطمة وتعرف بزمزم .
وأعذبهم (؟) على الاطلاق ، بل أعذب آبار المدينة وعيونها حق من العين

---

(١) يقصد جمع قاعة وهي أشبه بالدهاليز في البيوت .
(٢) يقصد الماء الذي يروون منه

الزرقا بئر عروة بن الزبير رضي الله عنهما التي هي على طرف المدرج بشاطىء مجرى العقيق ، فإن ماءها كان في الزمن الأول يُهدَى للملوك .

وأما أجودها زرعاً فالمتعارف بين الناس أن الجهة القبلية لاتصالها بالحرّة وفي أرضها السباخ والجصّ إذا حُرِثتْ حرثاً جيـــداً وأعطيت من الزبل كفايتها واستوفت سقيها على تمامه بلا خلل في وقت لزومه وَاتتْ على أحسن ما يكون ،فإن زرعها يكون محصوله متوسطاً ، والتبن كذلك، لأن السابقين قالوا : ما بين الحرّتين لا حصيل ولا قصيل .

وأما جهة العقيق – وهي الجهة الغربية إلى جهة الجرف ومنه إلى العيون– فإنها أرض مشروكة بالرمل وبعضها طينية خفيفة غير ثقيلة كأرض العيون الشامية ، فإذا حرثت وأُدْمِنَتْ وسقيت على الوجه المذكور آنفاً ، فإنها تأتي ببلغة [٢٢] تامّة ، إذا لم يصب ذلك الزرع جائحة سماوية ، فإن واحده في البذار يرمي ثلاثين (؟) .

وأنفع الزرع الذي يكون بدري (؟) يعني يرمى بذاره في أول الوقت ، وأمّا الوَخْري فصلاحه قليل ، وقد قال السابقون في حق أرض الجرف والعيون : حصيل وقصيل . يعني حب وتبن كثير ، وهي أوسع أرض المدينة المنورة مدراً وأكثرها نخيلاً .

وأما الجهة الشرقية – يعني ناحية العريض وما حوله – فقالوا فيها : إن أرضها حصيل بلا قصيل ، لأن السنبل فيها يكبر ، والتبن لا يطول. وشرط الجميع أن تعطي الأرض حقها من حرث وزبل وسقي .

وأما ما يزرع تحت النخيل في الحدائق فإنه قصيل لاحصيل فيه إلاقليلا، وبعضه يغلب عليه النجمُ فلا حصيل ولا قصيل .

وأما المنزولة من الجهات الأربع : ففي الجهة الغربية أهل آبار علي وأهل الوسيطة وأهل العلاوة، ومن دونهم أهل أبي بريقة .

وفي الجهة القبلية : سكان قبا وقربان والعوالي . وما حول سور المدينةمن الحدائق المنظومة ، كلهـــا منزولة ، لا يشدّ عنها أهلها صيفاً ولا شتاء ، إلا القليـــل منهم فإنه في شدّة الشتاء ينزلون إلى منازلهم في المدينة المنورة ، داخل (؟) وكذلك في زمن الفتن ، إذا عاثت (؟) الاعراب في زمن الصيف ووقعت بينهم وبين العساكر محاربة فأغلب أهل البلدان – يعني الحدائق – يُبقون في حدائقهم حراساً ، وينزلون إلى داخل المدينة خوفاً على أموالهم وأهاليهم وأنفسهم .

الباب الثالث

في تعريف الداخـــل إلى المدينة المنـــورة من الأعراب والأغراب وغـــيرهم من أي باب شاء من أبواب البلد ، وبيان الأماكن المشهورة ، والأسواق الموجودة في البـــلدة الطاهرة ، والأزقة النافذة وغير النـــافذة والحمامات والمكاتب و (الكتبخانات) والزوايا وما حول المسجد النبوي من الميضآت والحنفيات . وما في داخل السورين من الحـــدائق ، وما في السور البرّاني والجوّاني من البناء ومن الأبراج والمزاغل ومحل (القراقولات)والأسبلة والشونة (الميرية) وفيه فصول :

الفصل الأول : في تعريف من جاء قاصداً إلى الحرم الشريف : إن جاء من الجهة الغربية فنبدأ به من ذي الحليفة محل الميقات لأنها مجمع الأربعة الطرق الكبار . فإذا مشى من عند مسجد ذي الحليفة يريد الحرم الشريف فيكون جبل عير عن يمينه ، وجبال الجماوات عن يساره ، فمجرى سيل العقيق من شاميه الجماوات المذكورة [٢٣] ومن قبليه أرض أبي بريقـــة المتصلة بجبل عير من جهته الشامية،وفي الأرض المذكورة حدائق صفار مغروسة ومزارع، وعين السّراني التي فاضت في هذا العـــام ، ولم تغرس إلى الآن – فإذا قطعت أبي بريقة وصلت إلى طرف الحرة الغربية ، قبلها بناء قديم يعرف بين العوام بقلعة اليهود ، وهو – كما في «خلاصة» السيد السمهودي – قصر كان مسجون (؟) فيه في زمن دولة بني أمية واحد منهم، فاذا تخلف عنك طرف

الحرّة المذكور وصلت أول المدرج المسمى في الزمن السابق بنقب بني دينار– فيكون على يسارك بئر عروة المذكور آنفاً ، وهو أشد آبار المدينة حلاء وأخفها ماء ؛ ومزرعته بجانبه تزرع في كل سنة مقاثي وبطيخ ، وبجانبها مجرى العقيق الى الجرف ، فإذا تعديتها ورقيت إلى المدرج تمشي إلى قريب النصف منه فيكون عن يمينك بناء مجصص قديم وبركة ومزرعة دامرة ، ويعرف ذلك البناء بسبيل القايد (؟) فإذا تعديته وانتهيت إلى آخر الزقيقين من المدرج المذكور فيكون عن يمينك قبة على مرتفع من الحرة وهي مسجد المنارتين ، وتعرف الآن بقبة الخضر – عليه السلام – ومن ذلك الموضع تنحدر إلى النقا فعن يمينك المزرعة المسماة بعصر والمزرعة المسماة بعصير ، والحديقة الجديدة المعروفة بأم الرخم ليحيى دفتر دار الخطيب ، وتجاهها عن يسارك مزارع كثيرة ، منها المزرعة المعروفة بزمزم ، والمزرعة المعروفة ببئر وديّ ، وغير ذلك . ثم يكون عن يمينك في وسط النقا مسجد السقيا مسجد نبوي ويعرف الآن بقبة الروس ، ومن قبليه بئر السقيا المأثور ، اتخذ عليه الحاج عبدالله عرب الميمني المجاور بالمدينة المنورة مزرعة صغيرة وعمل على قارعة الطريق ديواناً واسعاً وبركة كبيرة ، وحول البركة حيضان صغار مطبطبة لميراد الحيوانات للشرب منها ، وميراد الصادر والوارد من الاغراب والبوادي على البركة الكبيرة ، والمقيل في الديوان وفي جنب الديوان المذكور من غرب مخزن صغير لخادم الحديقة المذكورة . وتجاه المسجد المذكور عن يسار الداخل مزرعة السيد الرفاعي ه

فإذا قاربت باب العنبرية الذي هو الباب الفرد في السور البرّاني يكون ركن قشلة العساكر النظامية السلطانية ، ولجانبه طريق يوصل إلى باب قبا وما عنده من الحدائق وإلى حيث أردت من خارج البلد ، وتجاه ركن القشلة المذكورة بناء ، وأساس لم يتم للمرحومة [٢٤] بَرْتونيال والدة المرحوم السلطان عبد العزيز خان بن المرحوم السلطان محمود خان كانت تريد أن تتخذ

ذلك المكان (خسته خانة) للغرباء والفقراء ، فانخلع ابنها من السلطنة ومات فتوقفت الأبنية المذكورة ولم يتم أمرها ، ثم ماتت الوالدة المزبورة . ومن شامي الأبنية المذكورة طريق بين السور البرّاني وحديقة ابراهيم عوّاد قاضي ينبع سابقاً يوصل إلى السيح وإلى المساجد الأربعة وإلى الجرف وعقاب (؟) والقبلتين وإلى حيث شئت من خارج البلدة .

ثم تدخل من باب العنبرية فيكون باب قشلة العساكر النظامية السلطانية على يمينك والتكية المصرية الذي (؟) أنشأها المرحوم والي مصر أسبق (؟) محمد علي باشا ، وضم في مرتباتها ولده المرحوم سعيد باشا على يسارك ، فإذا مررت من عندهما وهو شارع العنبرية المشهور أعظم شوارع المدينة المنورة ، وأعذبها هواء وأكبرها مورداً على الدوام ، لدخول قوافل الحجاج والزوار ، وركبان أهالي مكة وجدة وغيرهم في زمن الرجبيّة وغيرها من المواسم من الشارع المذكور .

فمن جهه القشلة في الصف القبلي : يواليها حوش الظوافر حوش كبير يشتمل على نحو الستين داراً أرضية لا طباق لها ، وتجاهه في الصف الشامي من شرقي التكية المصرية حوش الراعي يشتمل على نحو من مائتين بيت بعضها أرضي ، وأكثرها طبقتين وأسطح (؟) ويوالي الحوش المذكور رباط جديد ومسجد صغير بمنارة صغيرة ، وفي جانبه دار (الماكنة) النارية للطحين ، وقهوة وعزلة جديدة لسكنى خدمة (الماكنة) المذكورة ، كل ذلك لحضرة حافظ بهرام أغا دار السعادة الآن ، في (السراية الهمايونية) عند مولانا السلطان محمود خان ، وتجاه الرباط والقهوة ودار (الوابور) المذكور دار المرحوم خالد باشا شيخ الحرم النبوي ومحافظ المدينة المنورة أسبق (؟) آلت بالشراء الشرعي من ورثته لحافظ بهرام اغا القزلار المشار إليه ، وإلى جانب القهوة المذكورة حوش المرحوم احمد آغا من الأهالي ، يشتمل على نحو ستين بيت (؟) ودرجة وسيعة ، وعلى بابه بيت السرايليه (؟) زوجة حافظ

افندي (بنباشي الضابطة) بالبلدة الطاهرة ، وتجاهه بيت ميرالاي (؟) وبيوت مرتفعة للظوافر ، وحوش طويل يعرف بحوش أبي جنب فيـــه نحو الأربعين بيت (؟) مرتفعة ، ثم بيوت الظوافر ، ثم بيوت وقف الاسباهية من الأهالي، بيوت قديمة في الصف القبلي تجاههم (؟) في الصف الشامي بيت فاطمة حازمية ، من أناثي (؟) ابن دخيل الحازمي ، ومن شرقي دارها على الشارع المذكور أيضاً بيت كبير مرتفع للسيد جعفر بن حسين [٢٥] جعفر ، أمين صندوق الخزينة الديوانية بالمدينة المنورة ، ومن شرقيه بيت المؤلف الافندي علي موسى ، بيت كبير مرتفع ، وبجانبه (؟) بيت عامر الجعفري الملاف ، وبجـــانبه زقاق الحديقة المعروفة بالهاشمية للسيد حسين هاشم ، وقبل باب الحديقة في الزقاق المذكور حوش العبيد لآل الخياري ، آل أكثره بالشراء الشرعي للسيد جعفر المذكور ، وتجاه الزقاق المذكور زقاق الكاتبية فيه بيوت على شارعه ، وفيه حوش سيكة (؟) وحوش سنان فيها نحو الخمسين بيت (؟) وفي آخره الكاتبية فيه رباط وطاحون وزاوية بمنارة لجماعة الشيخ محمـــد بن السانوسي صاحب الجغبوب .

ثم من بعد زقاق الكاتبية خرابة على الشارع لأبي الجود الحمداني ، وحوش للخياري فيه نحو الثلاثين بيت (؟) ورحبة وسيعة .

وفي واجهة الصف القبلي مساكن وطاحون ، والعرضية فيه دويرة تشتمل على جملة مساكن ودكاكين وخرابات وقف للاسعدية ولبيت أبي الجود وشركائهم من الأهالي ، وتجاههم في الصف الشامي مما يوالي زقاق الحديقة الهاشمية بيت الشريفة هاشمية ثم زقاق السلطان على عقده بيت كبير مرتفع للمغاربة ، وبجانبه بيتين (؟) للخياري وبيت للسمان ، وبيت للمرحوم الشيخ أحمد الفقيه ، وبيت لأحمد الصايغ المصري والتكية السلطانية المعروفة بالمرادية المتخذة الآن (قاوشاً) للعساكر (السواري) وأصحاب الهجن عقيل ، وبجـــانبها فرن على غربي مجرى سيل أبي جيدة ، ثم القنطرة الحجر المعروفة بكوبري المرحوم سنان

باشا الذي بنى الصهريج عند مرقد سيد الشهداء سيدنا حمزة – رضي الله عنه فاذا عليت على القنطرة المذكورة الذي (؟) يمر السيل أبو جيدة من تحتهـــا يكون عن يمينك باب قبا في السور البراني ، ولجانبه الشبابيك الحديد المعمولة لمرور السيل المذكور حتى لا يحدث برجوعه اذا كان محل الشبابيك مضفوراً بالحجر خراباً في الحدائق الكائنة خارج السور .

ومن القنطرة الى الباب المذكور بيوت لبعض المجاورين ، ثم حوش عميرة حوش كبير يشتمل على نحو ١٥٠ مئة وخمسين بيتاً بعضها مرتفع ، وبعضهـا طبقة واحدة والأسطح ، ثم زاوية السيد المحضار ثم حوش منّاع يشتمل على نحو الأربعين بيت (؟) بعضها مرتفع وبعضها طبقـة واحدة ، وله رحبة وسيعة ، وعند باب الحوش المذكورمن جهة القبلة (قراقول) باب قبا المذكور لاقامة العساكر فيه ، ومن شاميه بيت لمحمد بن صالح الحيدري وفي المجرى إلى القنطرة خرزات العين الزرقاء يستقي منها للقشلة والتكية ، ولأهل العنبرية ولأهل الأحوشة وأهل السيح الآتي ذكره .

ومن شامي القنطرة المذكورة مجرى [٢٦] السيل المذكور يمشي من تحت أعتاب المساجد الأربعة الكائنة بغربي جبل سلع عند غار بني حرام ، ويمر بين مغيض الزرقاء وبين أراضي عين الفقراء حتى ينزل في مجرى سيل سيدنا حمزة من غربي عين الحنانية المعروفـة بالغرابية ولجانب القنطرة سبيل لسنان باشا ، ومن وراء السبيل بركة كبيرة عميقة تملأ من الزرقاء في أيام ازدحـــام الحجوج (؟) وتسمى ببركة الحج المصري وبجانبهـا مقابل لباب قبا بيت أحمد نظيف أفندي الترجمان الذي هو مدير الحرم النبوي الآن ، ومن شامي الدار المذكورة على مجرى السيل بيت لمصطفى بلاجي النجار ولجانب بيت البلاجي عشرة بيوت ، واجهتها غربي لاحمد افندي المذكور ، وبينهم (؟) حوش جديـــد كبير مشتمل على جملة حجر ومخازن ومساكن للمذكور ، ومن شرقيهم (؟) حمام المناخة بحديقة مفروسة وماؤه من ماء الزرقاء لأحمد افندي

المذكور ، وتجاه العشرة بيوت المذكورة في الصف الغربي الانصاريةالتي صارت مختصر حارة جديدة بيوت عالية منظومة للصمايدة ، ومن ورائهـــا زقاق السلطان فيه جملة بيوت وأحوشة وحديقة للخياري ومنارة قديمة كانت لمسجد التكية المرادية المذكورة آنفاً فاندرس المسجد وبقيت المنارة لا أذان فيها ، ولزقاق السلطان طريق نافذ إلى السيح ، ومنه إلى زقاق القشاشي الموصل إلى المناخة وإلى زقاق الطيار ، وفي الزقاق المذكور حديقة لعبد القادر خوج ، وتجاهها بيت علي الصياد ، ولجانبه حوش ابي شوشة ، حوش كبير مشتمل على أماكن كثيرة ، ملاصق للسور البراني من جهـــة الشام ، وبيوت كثيرة وأحوشة متعددة منها حوش درج فيـــه بيوت كثيرة للأهـــالي وحوش طوطو ، وغيره .

وتجاه بيت الترجمان فى الصف القبلي على طرف مجرى أبي جيدة من شرق مدرسة (الخاسكية) للمرحومة خاسكي سلطان فيها مسجد ومنارة ، وقـد صارت مدة من الزمن دار حكومة وفيها الحبس ، ثم صارت (خستة خانة) للعساكر النظامية الشاهانة ، وفيها حديقة صغيرة ومسجد ومنارة ظريفة ، ولجانبها من شرق فرن خبز العساكر الشاهانة ، ويعرف بفرن المـــيري . وتجاه الخاسكية باب الحمام البراني المذكور آنفاً وما عليه من المساكن لأحمد أفندي الترجمان ، ولجانبه بيوت عتيقة مسكونة لبعض الأهـــالي إلى بيت السبيل المعروف بخيرات المرحوم سليم بك مابنجي المرحوم السلطانعبدالمجيد سكن [٢٧] حضرة شيخ السادة العلوية بالبلدة الطاهرة حالاً عالي الجناب السيد علوي سقاف ، وتجاهه أيضاً عزلة جديدة للأجرة، وعزلة فيها مكتب لتعليم الصبيان القرآن ، وهما للمرحوم سليم بك المذكور ، ومن قبلي المكتب بينه وبين فرن الميري طريق إلى واجهة حوش منصور ، وما بعـــدها وإلى حيث شئت من المنافذ ، ومن شرقي العزلتين المذكورتين بيوت قديمة لبعض الاهالي آخرهم (؟) بيت جديد وقهوة لبنباشي العساكر النظامية أكاه (؟)

افندي ، ومن شامي ذلك الدوّيرة المشتملة على بعض مساكن وحجر صغيرة المتصلة بالجدار القبلي من مسجد مصلي العيد النبوي في المناخة المعروف الآن بين الناس بمسجد الغمامة ، ومن شرقيه صف دكاكين للخزنة الجليلة تجـاه (قراقول) الخالدية ؛ ومن غربيه دكانين (؟) للخزنة المذكورة ودارجديدة مسكن امام المسجد المذكور جدّدها سلطان زماننا الغازي عبد الحميد بن عبد المجيد خان ، وتجاه الدار المذكورة في الصف الشامي على الشارع بجانب سبيل المرحوم سليم بك زقاق الحديقة المعروفة بالداوودية ، لشيخ فراشين الحجرة المعطرة النبوية البري من الأهـالي ، ولجانب الزقاق من شرق دار جناب السيد علوي سقاف خاصة جددها لنفسه قبل سنوات ، ولجانبها من شرق دار شيخ الفراشين المذكور ، وأبناء أخيه، ومنه إلى باب الكومة صف بيوت واجهة المناخة ، وفيها ثلاثة أزقة ، وبجانب بيت البري المذكورخرابة لآل البرزنجي وقف ، وبجانبها مسجد سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - هو مسجد مصلي عيد نبوي ، وله الآن قبة جميلة ، ومناره تقوم فيه الصلوات في كل الاوقات ، ولا منبر فيه كمسجد الغمامـة ،لأن مسجد الغمامة تصلى فيه الجمعة كما تصلى في الحرم الشريف ، ويغلقون عند الأذان الأول باب المصري وباب الصغير لتبقى المناخة مستقلة بجمعتها ، كما أن مسجد قبا تصلى فيه الجمعة ، ولا جمعة في المدينة المنورة ، ولا في أطرافهـا إلا في الثلاثة المساجد المذكورة .

ولجانب مسجد الصديق منهل العين الزرقاء ويعرف بعين المناخة ينزل له بدرج ، وللنساء بجانبه منهـل ، وبجوار العين المذكورة دكاكين وقهوة ، وشامي القهوة من صف بيوت واجهة المنـاخة إلى قرب مسجد سيدنا علي والرباط الذي بجانبه بيوت وقف عبيد العين ، وهم الخدمة الموظفون دائمـاً لتنظيف وتطهير دبل العين الزرقاء ، وبجانب مسجد سيدنا علي - رضي الله عنه -دار كبيرة للمرحوم عبد القادر الياس ابن الافندي تاج الدين الياس المفتي

أسبق (؟) ومن شاميها [٢٨] زقاق الطيار وينقسم إلى زقاقين أحدهما زقاق الطيار ونهايته الجزرة القديمة وحديقة السيد حسين بافقيه العلوي شيخ السادة سابقاً ، وفيه جملة أزقة غير نافـــذة ، وأحوشة وأفرنة وطواحين وبيوت منتظمة ، والثاني يعرف بزقاق القشاشي ، فيه زاوية القشاشي ، ينتهي إلى السيح وإلى زقاق السلطان وحيث شئت من الأزقة والشوارع . ومن زقاق الطيار إلى زقاق جعفر بيوت الواجهة أيضاً مقابلة للسور الجواني وفي الواجهة المذكور حوش قره باش ، له باب من واجهة المناخة كبير وباب صغير من زقاق الطيار والسعة التي عند زقاق جعفر تعرف بمناخة دير (؟) ومنهـــا طريق إلى باب الكومة، وإلى حوش خميس ، وما عنده من الأحوشة الكبار إلى الجزرة القديمة ، وفي زقاق جعفر وزقاق الجزرة من الأماكن شيء كثير . فإذا تجاوزت بيت شيخ الفراشين وساويت عقبة مسجد الغمامة فقد وصلت إلى أول البلاط الأعظم الذي طوله كما في « خلاصـــة ابن السمهودي » ألف ذراع بذراع اليد ، من المصلّى إلى باب السلام ، والبلاط يعني فرش الحجر المنحوت في الأرض ، وقد غاب (؟) ما كان منه في المناخة من باب سويقة المعروف الآن بالباب المصري ، وبقي الذي من داخل باب المصري إلى باب السلام ، فإذا تجاوزت مسجد الغمامة لاقتك الأسواق الذي (؟) في المناخة ، وهي إحدى عشر أكبرها وأوسعها سوق الحبّابة ، وهو صفّين (؟) قبليّ وشامي ، فإذا مشيت منه كان باب المصري أمامك وسوق التمّارة من قبلي الصف القبلي من سوق الحبّابة ، وسوق السمّانة والروّاسة بما فيه من القهاوي قبلي سوق التمّارة ، ومن قبليّه سوق الفَلَـتيّة—يعني بياعين الحشيش والخبط ورق الشجر والدباغ والحبال والفحم والحطب وما أشبه ذلك .

ومن شرقي الأسواق المذكورة سوق الخُضَرية ، صفٌ كامل ، وفي جانبه القبلي مباسط الجزّارة ، وتجاه الخضرية من شرق سوق العطّارة والقمّاشة وأهل الدخان ، وقهوتين (؟) يمتد إلى باب زقاق النخاولة ، ونهايته من شام التلّة القبلية من باب المصري .

ومن شامي الصف الشامي من سوق الحبّابة سوق الفخّارة والبيـــاطرة وبعض النحّاسين ، ومحل مزايدة البهائم ، وسوق البرسيم وسوق الفطاطرية والطباخين، وسوق الخردجية، والدلالين في الصباح والمساء، بجوار السور الجواني من جهته الغربية من شرقي السبيل الذي عند باب المصري ، المعروف الآن بسبيل السيدة فاطمة وهو لبعض الملوك ، خيرات ، وله وقف يأتيه من مصر [٢٩] في كل عام ، وفي الأسواق المذكورة قهاوي كثيرة .

فإذا دخلت من باب المصري وتعدّيت من تحت قبّة عقود الباب المذكور يكون على يمينك إلى باب السلام خمس (؟) أزقة ، ثلاثة نافذة وواحد غير نافذ، وعلى يسارك الى باب السلام ست أزقة اثنان نافذة وأربع غير نافذة (؟). فأما الذي على اليمين فهو الصف القبلي كله دكاكين ومن فوقها البيوت، والأزقة النافذة فيه أولاً : مقعد بني حسين تحت عقد بيت المرحوم السيد محمد جمل الليل نقيب الأشراف – أسبق الآيل من بعده لأخيه السيد زين ، وهو ينقسم إلى طريقين أحدهما غير نافذ إلى كوشك المرحوم المذكور المطل على المناخة ، والثاني إلى زقاق الشونة الميرية ، وفيها بيوت منتظمة كثيرة ، ثم بعد المقعد زقاق الشونة وهو تجاه الخان الجديد الذي أنشأه السيد صافي الجعفري ، وهو زقاق نافذ إلى الصالحية ، وإلى ذروان وحارة الأغوات ومـــا حول الحرم الشريف من الأماكن .

ثم زقاق الزرندي ، وهو زقاق غير نافذ ثم سقيفة رصاص (؟) وهو زقاق نافذ إلى الحمّام في ذروان ، وإلى حيث شئت ، ثم زقاق الحمزاوي – ويعرف الآن بزقاق الخياطين فيه – وهو زقاق نافذ إلى حيث شئت ، ومـا بينه وبين باب السلام إلا مدرسة المرحوم بشير أغا .

والستة (؟) الأزقة التي في الصف الشامي إذا دخلت من باب المصري أولها الذي عند الباب المذكور سوق الشروق واسمه قديماً سوق العبّاية ، وما زال

بيع العبي فيه إلى الآن ، فإنه زقاق نافذ منه إلى زقـــاق الطوال الذي فيه
مرقد سيدنا عبدالله والد حضرة سيدنا رسول الله ، وفيه بيوت السادة الأسعدية ،
ومنه أيضاً إلى مشهد سيدنا مالك بن سنان الانصاري الصحابي الأُحْدِي رضى
الله عنه ، وتجاه قبته زقاق سقيفة الأمير الى الساحة ، ومن شامي القبة زقاق
الحماطة ، وكانت قديماً تعرف بالحناطة ، يوصل إلى باب الشامـــي وإلى باب
الصغير وغيره ، ثم إذا تجاوزت زقاق العنّابة يكون على يسارك زقـــاق
العينية غير نافذ ، وهي أعظم حديقة غرست داخل السور الجوّاني ثم زقاق
دكة الجوار ، تحت خان السيد صافي الجفري ، تجاه زقاق الشونة ، ثم زقاق
شقرة بجوار الخان المذكور ، ثم زقاق كبريت ، وكلهم (؟) غير نافذ [٣٠]
ثم الشارع الذي فيه العيّاشة والسمّانة والجزّارة والخضرية و (القوندرجية)
الذي منه إلى باب الرحمة ، ومنه أيضاً إلى الساحة إلى باب الشامي ، وبين
هذا الشارع وبين باب السلام بيت الإزمرلي الذي تحته منهل من العين الزرقاء
ويعرف بعين باب السلام ، والمدرسة المحمودية الملاصقة لباب السلام للمرحوم
السلطان محمود خان جددها سنة سبع وثلاثين بعد المئتين والألف ، ملاصقة
للحرم الشريف النبوي من جهته الغربية ، ولحجرهـا الشرقية شبابيك صفر
مطلة على الحرم الشريف وليس على الحرم الشريف من جهاته الأخر محلات
تكشف داخله أصلاً ، وفي المدرسة المذكورة نحو الأربعين حجرة بمسكن
المدرس ، وحديقة صغيرة في أوسطها ، وميضة (؟) في جنبها الغربي ، وهي
من أعظم المدارس الموجودة بالبلدة الطاهرة لانتظامها .

وأما من كان مجيئه من الجهة القبلية فمجمع طرقها قرية قبا ، فإذا خرج
من مسجد قبا المؤسس على التقوى الوارد في حقه قوله (ص) : « من تطهر في
بيته وأتى مسجد قباء وصلى فيه ركعتين كانا كأجر عمرة » فإن قبلي المسجد
المذكور بيوت القرية وبينهم (؟) مساجد وقباب كثيرة مأثورة ، تفصيلها في
«خلاصة المؤرخ السيد السمهودي» يغني عن الإعادة ، وتجاه المسجد الكبير

المؤسس على التقوى – الذي هو مسجد الجمعة في قبـــا وفيه المنبر والمكبرية والمنارة ، جدده السلطان محمود خان في سنة ١٢٣٧ – بيت امـــام المسجد المذكور ، ورباط لسكن فقراء القرية،ومن قبلي بيت الإمام حديقة بئر أريس بسبيل المرحوم نور الدين الشهيد ، ومن قبليها البويرة ، وبئر عذق، والشدقة والقايم والقويم ، وقويم بري وبئر شميلة ، والعصبة وهي أعظم حدائق قبا ، بل اجمل حدائق البلدة الطاهرة وانظرها شجراً وثمراً .

ومن شامي المسجد طريق إلى مقابر القرية في محل مسجد الضرار ، ومنه إلى قربان ، ومن شامي الطريق المذكور وشامي الرباط حـــدائق وصيارين متعددة إلى باب قباء .

وأما طريق قربان فمن بطحان الذي هو مجرى ابي جيدة وعلى طريق قبا بقرب الباب بلاد تحسين أغا القزلار ، وبلاد المعلم علي مشرف البناء المهندس سابقاً ، ومن غربي الدرب بلاد عمر زاهد وتعرف بالمغيسلة ، وبلاد الهندي الميمني عبدالله عرب ، وتعرف بالمغسلة ، ومن قبلي بلاد مشرف بلاد محمد نافع أفندي الكاتب ، وحديقة محمد بدوي ، ومن شرقيهما بين مجرى سيل الرانونة وسيل أبي جيدة المرجلين (؟)ومن شرقيه[٣١]حدائق كثيرة ثم أرض دامرة المرحوم أمين باشا شيخ الحرم النبوي ومحافظ المدينة المنورة أسبق ،ثم مصانع للطوب والنورة والفخار ثم الباب في السور البراني ، فإذا دخلت منه كان ظهر بعض بيوت حوش منصور ، وظهر مسجد سيدنا عمر الفاروق (ص) وظهر بيت خضر أفندي وظهر الخاسكية المعمولة (خستة خانة) للعساكر النظامية السلطانية عن يمينك ، وقراقول باب قبا وحوش منـّاع والمحضـــار وحوش عميرة وما يواليه من البيوت الى القنطرة الحجر عن يسارك ، فإذا عليت فوق القنطرة وأردت الحرم الشريف فتأخذ مشرقاً إلى سوق الحبـــابة إلى باب المصري إلى الحرم الشريف ، وإن أردت الخروج من باب العنبرية فتأخذ مغربا إلى العنبرية ، وفيما تقدم من الإيضاح كفاية والله أعلم

وأما من كان مجيئه من الجهة الشرقية كالهبوط الواردة دائماً من ناحية نجد والحيحان (؟) التي ترد من مكة من الطريق الشرقي فمجمع الطرق أبا الرشيد بكسر الراء المهملة وتشديدها يعني عند مسجد سيدنا علي العريضي (ض)، فالطريق من أبي الرشيد من عند منهل عين السرانية شركة المؤلف ينقسم إلى قسمين أما الحجوج فتأتيه مغربة (؟) مع السبخاء (؟) حتى تصل إلى طريق سيدنا حمزة (ض) ومن عند المستراح، وتُقبّل إلى المدينة المنورة، وأمـــا الهبوط والقرّاشة والطرقية فإنهم من عند المنهل المذكور، يأخذون طريق الحرة الشرقية إلى زرب هُتيم الذي هو في آخر الحرة المذكورة بقرب مسجد الإجابة ثم يمشي الداخل بين الحدائق المغروسة حتى يصل بـــين البقعتين فيكون بقيع العمات الطاهرات عن يمين الداخل، والبقيع الشريف الكبير الذي فيه الدفن دائماً عن اليسار، فإذا جئت الباب كان على يسارك مغرباً طريق إلى باب العوالي، وإلى زقاق الجنايز سكن النخاولة، ومنه إلى المناخة، وعن يمينك من عند قبة العمات طريق ينفذ إلى جهة الصدقة وإلى باب المجيدي وغـــيره، فإذا دخلت من عتبة البـــاب، ووقفت تحت عقد (القرقول) يكون على يمينك باب منه إلى حارة الأغوات، وعن يسارك باب منه إلى قبة سيدنا إسماعيل ابن سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنهما، ومنه إلى حارة الأغوات وذروان والحمام وإلى حيث شئت من الأزقة النافذة وغير النافذة.

وأما باب العوالي فهو شرقي السور البرّاني بجوار جدار البقيـــع الشريف من [٣٢] جهة الغرب، فإنه مخصوص لمن ينزل ويطلع إلى قرية العوالي وما بينها وبين المدينة المنورة من الحدائق والصيارين (؟) والمزارع، فإذا دخلت من باب الجمعة وأخذت مع الباب الذي عن يمينك الى حارة الأغوات كان على يمينك بيوت الشارع ثلاثة أزقة، وعن يسارك زقاقين (؟)، فأما الذي على اليمين فأولهم (؟) للداخل بزقاق رباط الشيخ مظهر النقشبندي، ولا أعظم منه رباطاً بالمدينة المنورة، وحوله جملة بيوت، وهو تجاه مدرسة الرستمية

المخصوصة لجلوس ومعايدة الأغوات ، خدمة سيّد الكائنات ، في رابع يوم عيد الفطر ، ثم زقاق الصندل بين الصف الشامي من دكاكين الحارة ثم زقاق الشِرك — بكسر الشين المعجمة — وكلهم (؟) غير نافذ ، ثم أربطة وبيوت زاوية السّمان .

وأما الذى على يسارك ففيه زقاقين نافذين (؟) أحدهما زقاق الرستمية ، ينفذ إلى حيث شئت من البلدة الطيبة ، وهو من شرقي منهل العين الزرقا الكائنة ، بحارة الأغوات ، والثاني ينفذ إلى بيت شيخ الحرم وإلى بيت النائب وإلى ديار العشرة وإلى حيث شئت من الحارات والأزقة وفيها بيوت كثيرة ، وفي آخر هذا الصف القبلي بعد الزقاقين المذكورين رباط سيدنا عثمان بن عفان (ض) أو سبيل نور الدين الشهيد على خرزة من العين الزرقا ، ورباط العجم ، فإذا صرت عند باب رباط العجم وركن زاوية السّمان كان الحرم الشريف تجاهك ، فإن أردت الدخول من باب الجبر — يعني باب سيدنا جبريل (ع. م.) — دخلت من جهة اليسار ، من باب التخشيبة الموضوعة على مصلى الجنائز من الطرحا (؟) وهو مصلي الجنائز من الزمن القديم ، يوصل إلى ديار العشرة وإلى بيت شيخ الحرم والنائب و (كتبخانة) المرحوم شيخ الاسلام — أسبق — عارف حكمت بك التي لا نظير لها في أرض الحجاز لكثرة ما فيها من الكتب النفيسة والخدمة والمجلدين الموظفين دائماً ، وإن أردت الدخول من باب النساء ملْتَ إلى جهة يمينك ، فإنه مقابل لباب زاوية السّمان ، وبينه وبين باب الجبر حنفية بنحو العشرة بزابيز للوضوء منها لمن يريد الدخول إلى الحرم الشريف ، وهذا منتهى من جاء من الجهة الشرقية .

وأما من كان مجيئه من الجهة الشامية فمجمع طرق العيون والجرف وسيدنا حمزة (ض) الثنية وتعرف الآن بالقرين ، بجوار الداودية ، فيكون جبل سلع عن يمين الداخل ، وفي الجبل المذكور دكاك للتنزه ، والمقيل فيها [٣٣] في أيام الشتاء والربيع لكشفها على جميع البلدة وأطرافها ، ويكون عن يمينك

من دون الجبل مقام سيدنا محمد زكي الدين المقتول في زمن العباسية شهيداً عند أحجار الزيت ، ومن وراء قبته الحديقة المعروفة به للموحوم علي أغا فرزاني ، ولجانبها من قبلة منهل من العين الزرقاء يعرف بعين الزكي وتجـاه القبة من شرق الحديقة الكبيرة الذي ليس كمثل ديوانها وبركتها في المدينـة المنورة ، للمرحوم داود باشا والي بغداد وشيخ الحـرم - أسبق - ومن شرقيها جادة سيدنا حمزة ، ومن شرقي الجادة بلاد المرحوم أحمد بساطي والمصنع ، ومن شرقيها جادة جزع الصدقة ، وما اشتمل عليه من الحدائق .

فإذا تجاوزت البساطية والداودية والزكي صرت في مناخ الحج الشامي ، وفيه مسجد بقبة ، ويعرف بمسجد السبق ، ومن غربيه في سفح الجبل بيوت الدكارنة ، وفي أعلى الجبل كشك على عقود من حجر وطوب ، جدده المرحوم شريف باشا شيخ الحرم النبوي ، ويعرف الآن بقرين شريف باشا يطلعـه الناس للتنفه والنظارة ، وعلى جبل سليع مسجد صغير للدكارنة ، ومن دونه بيوت من شعر للمنقطعين من فقراء البادية ، وعن يسارك مزابـل وأحوشة متهدمة ومصانع قديمة ، ثم حديقة السبيل التي هي في إجارة السادة الأسعدية الآن ، وسبيل والدة سلطان وبركة الحج الشامي يملأن بسواني الحديقة المذكورة على جانب الخزينة الجليلة ، ومن قبلي الحديقة المذكورة قهوة القواس .

ثم الباب الشامي في السور الجواني باب كبير منظوم ، هو أوجه أبواب البلدة الطيبة ، وهو ملاصق للقلعة السلطانية التي أنشأها وأحدثها السلطان سليمان الغازي بن سليم الغازي العثماني .

وأما الباب الثاني في السور الجواني فهو الذي أحدثه المرحوم السلطـان عبدالمجيد في زمنه لما شرع في بناء وتجديد الحرم الشريف سنة ١٢٦٧

وأما الباب الثالث في الجهة الشامية ، فإنه باب الكومة في السور البراني

ملاصق للخندق القديم الذي كان حول القلعة ، ودفن في زماننا ، فإنه خاص بدخول أهل العنابس ومن جاء من ناحية الجفر والفقرة — بكسر الفاء -- جبل الأحامدة من القراشة ، ومنه دخول أهل حدائق جزع السيح ، ومن أراد زيارة المساجد الأربعة الموضوعة بغربي جبل سلع عند غار بني حرام ، فيكون مروره منه ، ومنه إخراج الغنم للذبح ، وإدخالها بعد نقل الجزرة من المحل القديم إلى خارج البلدة عند قلعة قبة السّلاق (؟) [٣٤] فإذا دخلت من باب الشامي ، وتعديت من تحت قبة عقود الباب المذكور يكون تجاهك (القراقول) مسكن العساكر النظامية المخصصة للغفر (؟) في الباب المزبور وهو في الصف الشرقي عن يسار الداخل ، وباتصاله الفرن والقهوة وسبيل عديلة سلطان بنت المرحوم السلطان محمود خان ، وبجانب السبيل باب الحارة الجديدة المعروفة بالسلطانية ؛ المشتملة على جملة بيوت وحديقة للسلطانة المذكورة إلى منهل عين الزرقاء المعروف بعين الساحة ، ويكون عن يمينك اذا دخلت من باب الشامي أولاً باب القلعة السلطانية المشتملة على جملة مساكن وحجر معمورة و (طوبخانه) ومنهل من العين الزرقاء ومنهل من العين المالحة وحديقة صغيرة وطاولة لحيوانات المدافع ومحل حداد للألات المطلوبة ، وفي وسط القلعة المذكورة موضع منظوم كالصهريج بالبناء المحكم (للجبه خانة) وحفظ البارود ، وما أشبهه ، جددها المرحوم أمين باشا شيخ الحرم ومحافظ المدينة المنورة — اسبق — بزمن المرحوم السلطان عبدالعزيز خان بن المرحوم السلطان محمود خان ، ثم بعد أن تتجاوز باب القلعة يكون على يمينك أيضاً خوخة صغيرة وهي باب الحبس المخصوص للنساء أصحاب الجنايات ومن بعده باب دار الحكومة بالقرب من باب الصغير وعليها دائرة الحكومة والخزنة الديوانية و (أوضة) التحريرات ، ومحل المحافظ كائناً من كان ، ومحل مجلس الادارة الذي يجتمع في كل دور مرتين ، ومجلس الضابط الموظف لمباشرة الأحكام السياسية ، ومحل المحابيس أهل الجنايات والديون إلا الخطباء والأئمة والسادة والمؤذنين فحبس كل طائفة في دار رئيسها .

فإذا ساويت بدخولك عتبة المنهل المذكور ، فيكون تجاهك ثلاثة طرق فعن يمينك واحد منهم (؟) وهو باب الصغير تذهب منه إلى المناخة وإلى حيث شئت منها ، وبملاصقة السور الجواني من داخل باب الصغير طريق يعرف بالحماطة منه إلى سيدنا مالك وسقيفة الأمير وزقاق الطوال وسوق الشروق وباب المصري ، ومن الشارع الأعظم إلى باب السلام ، والطريق الثالث هو الساحة ، وهي أعظم حارة داخل المدينة ، لما فيها من البيوت العاليات المنظومة كبيت القزلار تحسين آغا وبيت المرحوم خورشيد أفندي مدير التعميرات - أسبق - وبيوت السيد صافي الجفري ، وبيوت السيد حسين هاشم كاتب المحكمة الشرعية سابقاً ، ففي الصف الذي عن يمين الداخل من الساحة إلى باب السلام بين البيوت زقاق حوش البري ، وزقاق القفا ، وزقاق سقيفة الأمير ، وزقاق الطوال [٣٥] وزقاق المدارسي وزقاق حوش الجمالي وزقاق كومة حُشيفة وزقاق الوكالة المعروفة بالداودية ، وزقاق حوش الجبرت ثم الشارع الأعظم الموصل إلى باب السلام ، وعلى يسارك إذا تجاوزت المنهل المذكور الصف الشامي المشتمل بعض بيوته على حدائق مغروسة كبيت السيد صافي ، وبيت السيد حسين هاشم ، زقاق بجوار بيت خورشيد أفندي يعرف بزقاق. . . وزقاق ثاني يعرف بحوش الدكارنة ، بيوته كثيرة ، وأغلبها للسيد صافي ، وهو بجوار بيته الكبير ، ثم زقاق حوش فواز بجوار بيت ورثة المرحوم شريف باشا شيخ الحرم - أسبق - ثم زقاق الدار البيضاء ، ثم زقاق الحبس ، ينفذ إلى دار الضيافة ، وفيه حديقة السمهودي ، ثم زقاق عنبر آغا ، ثم زقاق الشجرية ، بجوار المحكمة الشرعية التي جددت من كيس مولانا سلطان زماننا الغازي عبد الحميد بن المرحوم السلطان عبد المجيد ، غير نافذ في عامنا هذا ، ثم سقيفة شيخي زقاق نافذ إلى دار الضيافة إلى الحرم الشريف من باب التوسل ثم زقاق باب الرحمة ، ثم الشارع الأعظم .

فإذا وصلت إلى باب الرحمة فيكون عن يسارك زقاق نافذ إلى محل

دائرة الخزنة الجليلة النبوية ، ويعرف بالمديرية ، ومن قبل زقاق المديرية زقاق الحنابلة غير نافذ ، ثم زقاق شامي يعرف بزقاق ... ثم الفرن ثم الشرشورة محل غسل الموتى الفقراء والطرحـاء والاغراب ، ومنه إلى حيث أردت من الأزقة التي حول الحرم الشريف كزقاق البدور في الجهـة الشرقية من البلدة الطاهرة يعني شرقي الحرم الشريف والى طريق الحارة المتقدم ذكره ، وكل زقاق من الأزقة المذكورة مشتمل على بيوت كثيرة ذكرهـا مفصلاً يوجب الاطالة ولا حاجة لنا في ذلك وهذا نهـاية التعريف لمن جاء إلى المدينـة المنورة قاصداً الحرم الشريف ، من أي جهة كان (؟) من جهاتها الأربع والله الموفق للصواب .

الفصل الثاني من الباب الثالث فيما في البلدة الطاهرة من الحمامات ومكاتب الصبيان و (الكتبخانات) والمدارس والزوايا ومـا حول الحرم الشريف من الميضات وما في داخل السورين من الحدائق .

أما الحمامات اثنان واحد في المناخة لأحمد نظيف أفندي الترجمان مدير الحرم النبوي في وقتنا هذا ، وهو تجاه (الخاسكية) المعمولة (خسته خانة) للعساكر النظاميـة ، وأما الثاني فهو في الصور الجواني قبلي الحرم الشريف في حارة ذروان بملاصقـة جدار السور ، وهو للمرحوم نور الدين الشهيد ، وليس غيرهمـا حمامات .

واما مكاتب الصبيان [٣٦] ففي مسجد القزلار حافظ بهرام أغا ، بجانب (وابور) الطحين داخل الرباط في العنبرية واحد ، وفي السبيل الذي فوق قنطرة سبيل أبي جيدة واحد ، وفي مكتب المرادية الخراب (قاوش السواري) وعُقَيل واحد ، وفي مكتب المرحوم سليم بك المابنجي عند فرن (الميري) واحد ، وفي حوش التاجوري واحد ، وفي سبيل بيت الخليفتي واحد بواجهة المناخة ، وفي زاوية القشاشي واحد ، وفي زقاق النخاولة واحد .

وأما داخل المدينة المنورة فاثني عشر للقراءة، في مؤخر الحرم الشريف ، وواحد لتعليم لغة الفارسية ، كله من خيرات المرحوم السلطان عبد المجيدخان جددهم (؟) لما وفق لبناء الحرم الشريف في زمن سلطنته ، ومنهم واحد صار في زمن سلطاننا عبد الحميد الغازي بن عبد المجيد ، (مكتب رشدية) لتعليم الصبيان الخطوط وسائر اللغات ، وفي (موقتخانه) عند باب السلام مكتب خيرات المرحوم السلطان محمود ، وفي قبة سيدنا مالك مكتب ، وفي زقاق القفا مكتب ، وذلك غير مكاتب البنات .

وأما (الكتبخانات) فواحدة في دار العشرة تجاه بيت النائب، للمرحوم عارف حكت بك شيخ الاسلام بالاسلامبول سابقـــا ، وهي أنظم الكل واعلاهم (؟) وواحدة للمرحوم أمين بن شيخ الحرم -أسبق- قرب الشرشورة عند رأس زقاق المديرية . وواحدة للسلطـــان محمود في المدرسة المحمودية ، وواحدة في مدرسة بشير آغا الملاصقة لباب السلام ، وواحدة في المدرسة الحميدية جهة الساحة في آخر البلاط عند حارة الخرازة ، وواحدة في بيت المرحوم السيد جمل الليل ، وواحدة لأحمد بساطي ، وواحدة في رباط سيدنا عثمان وغير ذلـــك كثير في سائر المدارس ، ولكنه بالنسبة إلى ما في هؤلاء فقليل .

وأما المدارس فكثيرة وأشهرها وانظمها مدرسة المحمودية لاتصالها بالحرم الشريف بين باب السلام وباب الرحمة ، وما حول المسجد بناء لا صق به إلا حديقة ديار العشرة التي من جهة قبلي المسجد ولكن ليس بها سكنى لأحد ، وأما مدرسة المحمودية فبعض حجرها الشرقية لها شبابيك ونظارة على الحرم الشريف وبهذا فاقت على جميع المدارس ، ومدرسة الحميدية ، ومدرسة بشير أغا ، ومدرسة الأزبك ، ومدرسة (كلي ناظري) ومدرسة الشيخ مظهر ، ومدرسة حسين افندي ، ومدرسة الساقزلي ومدرسة ثروة أفنـــدي ، ومدرسة مصطفى افندي أرنوط ، ومدرسة قره باش .

وأما الأربطة فكثيرة ولا حاجة إلى تعدادها .

وأما الزوايا فأشهرهم (؟) زاوية السمان المقابلة لباب النساء من الحرم الشريف وفيها محل غسل جنازة سيدنا الصديق الأعظم رضي الله [٣٧] عنه ، وزاوية السيد عبد القادر الجيلاني في سقيفة الأمير ، وزاوية السيد البدوي تجاه باب الرحمة ، وزاوية السانوسي في العنبرية بالمناخة ، وزاوية القشاشي في زقاق القشاشي بزقاق الطيار ، وزاوية الشيخ الجنيد في حارة ديار العشرة وهو محل مبرك ناقة النبي ﷺ في دار سيدنا أبي ايوب الأنصاري رضي الله عنه، وزاوية ابن علوان في ذروان ، وزاوية الشيخ الصاوي في حارة الأغوات في زقاق المواليد المعروف بزقاق رباط الشيخ لمظهر النقشبندي وزاوية السعدية في الساحة ، وزاوية شيخ المولوية في الساحة وزاوية الرفاعي في زقاق البدور الذي هو شرقي الحرم الشريف وزاوية الدسوقي في زقاق الطيار ، وغير ذلك زوايا صغيرة لجماعة الشاذلية وغيرهم ، ذكرها يوجب الإطالة .

وأما الميضات والحنفيات التي حول الحرم الشريف فباب [1] كانت ميضته عند العتبة فأبعدوها تحت رباط ابن الزمن المعروف الآن بـ (الاجزاخانة) محل التداوي للأهالي والغربا ، وميضة باب الرحمة للوضوء خاصة عن يسار الداخل وميضة عند باب التوسل عن يمين الداخل منه ، وميضة باب النساء عن يسار الداخل منه .

وأما الميضات المشتملة على بيوت الخلاء ففي شامي الحرم الشريف ميضة بجوار الشرشورة لتبرز أولاد المكاتب ، وواحدة كبيرة في زقاق باب الرحمة ، وواحدة في المدرسة المحمودية ، وواحدة في الشارع الأعظم تجاه زقاق الزرندي ، لقلاوون من ملوك مصر ، والآن تعرف برباط عبد الرحمن الطويل الشامي .

وأما الحدائق التي داخل السورين : ففي داخل السور البرّاني حديقة بدار المرحوم خالد باشا المنتقلة بالبيع الشرعي للقزلار حافظ بهرام أغا ، وفي

(١) كذا في الأصل والمقصود (باب السلام)

العنبرية أيضاً حديقة كبيرة للسيد حسين هاشم وتعرف بالهاشمية ، وواحدة في الكاتبية لجماعة الشيخ السانوسي ، وواحـــدة صغيرة لآل الخياري في زقاق السلطان ، ثم حديقة حمام المناخة جهة السيح ، ثم حديقة ترجمـــان على مجرى أبي جيدة من شرق ، تجاه حوش أبي شوشة ، وحوش مرمه (؟) النافذ إلى زقاق السلطان ، وواحدة في نصف زقاق الطيار لجمال بنّاني ، وواحدة في آخر زقاق الطيار للسيد حسين بافقيه ، وواحدة في بيت عشقي أفندي ، وواحدة في (قراقول) سبيل باب الصغير ومثلها واحدة في قراقول الخالدية بالمناخة القبلية ، ثم من قبليها الحديقة المحمودية جوار السور البرّاني بابها من عند حوش محمود، ثم في زقاق المراكشية الحديقة الأحمدية للحجّار والمراكشية [٣٨] لمحمد سعيد عبد العال ، والحديقة المعروفة بالحديدة لمحمد علي افندي دياربكرلي وفي حوش التاجوري قطع صغار في بعض بيوته ، وفي زقاق الجنايز سكن النخاولة جملة حدائق اعظمهم (؟) واحدة للسيد صافي والثانية لمستسلم الحرم النبوي مرجان اغا سليم .

وأما داخل السور الجواني ففي الساحة واحدة لمديلة سلطان،وواحدة في بيت السيد صافي ، وواحدة في بيت السيد حسين هاشم وواحدة في زقاق الحبس للسمهودي ، وفي الشارع الاعظم واحدة وهي العينية أكبر الحدائق الكائنة داخل السور الجواني ، وواحدة في الحمام الجواني وواحـــدة في ديار العشرة ، وواحدة في دار الضيافة وافراد نخيل في بعض البيوت .

الفصل الثالث من الباب الثالث فيما في السور البراني والجواني من البناء والأبراج والمزاغل ، وبيان مواضع (القراقولات) وأسبلة المـــاء للشرب وموضع الشونة الميرية للذخائر الميرية المنقولة اليها من (اسكلة) ينبع البحر ورابغ على ظهور الجمال بالأجرة لإدارة العساكر والحجوج .

أما السور البراني فقد كان في أوائل القرن الماضي غير موجود ، وإنما كان للعساكر الموظفة من الأهالي لحفظ البلدة الطاهرة أبراج في أطراف المناخة بين البرج والبرج نحو المئتين ذراع بذراع العمل ، وكل برج لجماعة مخصوصين يتناوبون فيه ، فلما استولى الوهابي بعد العشرين والمئتين والألف على المدينة المنورة وجاءت عساكر مصر بزمن المرحوم محمد علي باشا والي مصر بأمر المرحوم السلطان محمود لإخراج الوهابي من المدينة المنورة وأخرجوه ، بنوا بين الأبراج سوراً أساسه من حجر إلى وجه الأرض ، وارتفاعه باللبن، وجعلوا فيه الأبواب المقدم ذكرها من غرب باب العنبرية ، ومن قبلة باب قبا ، ومن شرق باب العوالي ، ومن شام باب الكومة ، وكلما انهدم من ذلك السور شيء بنته الحكومة المحلية ، وهكذا إلى الآن .

وأما السور الجواني فهو وأبراجه مبني بالحجر ، وبجصص ، وبنائه متين جدده المرحوم السلطان سليمان القانونجي بن سليم ، وجدد بعضه أخلافه (؟) وهو باق على هيأته إلا انه بدأ فيه الخراب وانهدم من أبراجه البعض ،وله من أعلاه مزاغل في السور والأبراج ومتارس ، وفي الأبراج مساكن مضبوطة ، ولكنها الآن لا سكان فيها مهجورة.

وأما القراقولات الموجودة الآن فهي في يد العساكر [٣٩] النظامية والعساكر الضابطية يتناوبون فيهم (؟) كل شهر ، ففي كل باب من أبواب السور البراني والجواني ، وفي غير الأبواب : ثلاثة في المناخة ، واحد في الخالدية ، وواحد في سبيل باب الصغير ، وواحد في (الخاسكية) . وداخل المدينة المنورة : واحد في (الخستة خانة) البلدية برباط ابن الزمن القريب من باب السلام .

وأما الأسبلة : ففي المناخة بشارع العنبرية واحد عند بيت أحمد بك ميرآلاي ، وواحد عند بيت السيد جعفر الكاتب ، وعند مسجد المصلى واحد للمرحوم سليم بك المابنجي ، وواحد قديم بقرب المسجد عند بيت امام

المسجد ، وعند (قراقول الخالدية) واحد ، وعند باب المصري واحد ، وفي قراقول باب الصغير واحد ، وفي بيت السّرايلية مسكن ذا النون أغا واحد ، وفي بيت الخليفتي بقبة (؟) واحد، وداخل المدينة المنورة عند وكالة الشريف الشدقمي بن شاهين واحد ، وعند باب الشامي لعديلة سلطان واحد، وواحد في حارة الخرازين في بيت البرهان مسكن مفتي الأحناف ، وسبيل عند باب السلام تحت (الموقتخانة) ، وواحد في ديار العشرة ، وواحد عند رباط العجم لنورالدين الشهيد ، وواحد بجوار زاوية السمان ، وواحد عند باب الرحمة ، وواحد عند باب الجمعة ، ولا غير ذلك .

وأما موضع الشونة الميرية فإنه في داخل السور الجواني ، وهي مشتملة على مخازن كبار بعضها للغلال وبعضها للمهمات ولا يدخلها من حاصلات زروع المدينة شيء ، بل جميع الذي يدخل فيها كله منقول أصله من غلال مصر ، ثم صار يأتي عنه من جهة الشام بحراً ، ومن جهة البصرة بحراً ، بقدر كفاية العساكر الموجودة بالمدينة المنورة ، وعساكر المحملين الشامي والمصري إذا جاؤوا مدة إقامتهم (؟) والقدر الكافي لمسافة طريقهم ، ومرتبات بعض الأهالي والمجـــاورين وعوائد العربان من (الهجين) ، وتعرف تلك العوائد بالعلائق .

وفي المدينة المنورة الآن ثلاثة (طوابير) من النظام كل طابور عبارة عن ثلثماية وخمسين نفراً بضباطهم بآلاتهم ومهماتهم، ولهم (قايمقام) و (ميرآلاي) بمزيكتهم ، وفي القلعة نحو المئة نفر (طوبجية) بمدافعهم و (جبة خانتهم) وحيوانات المدافع وحدادهم وما يلزم لهم ، وطابورين ضابطية أحدهمـــا (سواري) وعُقَيل ، والثاني (بيادة) ضابطية [٤٠] وكل طابور موجوده دون المئتين ، معاشهم وتعينهم على الدولة العلية العثمانية ، نصرها رب البرية ووارد الغلال والزوار كما تقدم من (الأساكل) المذكورة آنفاً .

الخاتمة

في بيان الحرم الشريف النبوي ، وما فيه من المحاريب والتعاليق والزينة والفراش والقناديل والمنبر الشريف والحجرة المعطرة وما اشتملت عليه وعدد الأبواب والاساطين والمنابر وكيفية الخدمة : الأغوات والخطباء والأئمة والمؤذنين والمشدين والفراشين والكناسين والبوابين وشيخ الحرم والنائب (والخزندار) وبيان خدمتهم في الحرم وخدمة غيرهم والاصطلاح الجاري في الحرم الشريف على الدوام من الأذان وغيره ، وفي ذلك ثلاثة فصول :

الفصل الأول في بيان الحرم الشريف وبنائه الموجود الآن ، ومحاريبه وتعاليقه وزينته وفراشه وقناديله ، والمنبر الشريف والحجرة المعطرة ، وما اشتملت عليه وعدد أبوابه وأساطينه ، ومنايره .

اعلم ان الحرم الشريف النبوي في العام الخامس بعد الستين والمئتين والألف من الهجرة كان على بناء المرحوم الملك الأشرف قايتباي من ملوك مصر المحروسة ، الذي تممه في العام الثامن والثمانين بعد الثمان مئة من الهجرة وما ألحقه فيه من التعمير بعض ملوك آل عثمان ، وكان مسقفاً مصندقاً منقوشاً بأنواع الصباغات في سقفه وله أجلية (؟) مفتوحة لنزول الهواء ، وكان سطحه ومؤخر الحرم وأرض المسقف منه مطبطباً بالجص والنورة البيضاء إلا من باب السلام إلى المواجهة الشريفة فكان مفروشاً بالرخام ، فسقط في العام الخامس بعد الستين من قباب المواجهة الشريفة قبة على بعض الواقفين للزيارة ، فقضى عليهم ، فرفعوا الأمر للمرحوم السلطان عبد الحميد خان امير المؤمنين في ذلك الوقت ،

فأخذ في أسباب تجديد الحرم الشريف بتمامه ، وعمله بأجمعه قباباً صيانة له من الحريق كما سبق ، وعين القدر الكافي من المعلمين والحجـــارة والمهندسين والمأمورين ، وبعث بهم وبالمهمات القوية اللازمـــة والنقود الكافية ، فأرادوا تغيير هيئة الأساطين الموضوعة على ما كان في زمن الحبيب الأعظم ﷺ ، فلم يوافقهم بعض وجوه الأهالي في ذلك حذراً من ضياع المآثر واندراسها ، فشرعوا فيه اولاً من جهة القدم الشريف المعروفة الآن بالملائكة ،ووسعوها إلى جهة المشرق [٤١] نحواً من أربعة أذرع بذراع العمل من عند المنارة الرئيسية إلى ركن مخزن الأغوات الملاصق لدكة جلوسهم وزادوا في الجهة الشامية موضع المكاتب المجيدية ، وبعض من محل ميضة الأغوات الذي بابها من داخل الحرم الشريف ، وباقي المسجد ما صار فيه زيادة بالكلية ، ولا صار تغيير في هيئة المسقف من غرب إلى شرق المحدود قبلة بالدرابزان المميز حدود الحرم الشريف بزمن الحبيب الأعظم ، ومن شام بالرملة يعني بصحن الحرم الشريف ، وانما زيد فيه من الرملة المذكورة بقدر صف من القباب ، وأما الاساطين فأعيد مثلها في موضعها من غير خلل .

واعلم أنه جدد كله إلا الحجرة المعطرة والمحاريب الثلاثة والمنبر الشريف والمنارة الرئيسية التي هي في الركن الشرقي القبلي من الحرم الشريف جهـــة الملائكة وبابها في المواجهة الشريفة .

فأما بناؤه فهو بالحجر الأحمر إلا جدرانه الأربعة من قبلة وشرق وشام وغرب ، فإنه بالمنحوت الاسود الحرّاوي ، لأنه أصلب من الأحمر ، واما الاساطين والعقود والقلسطونات فكلها من الحجر الأحمر من جبـــل بعيد عن المدينة المنورة في الجهة الغربية من وراء الجماوات كانوا ينقلون الاحجار منه على العربيات مسافة أربع ساعات ، وسبب الرغبة فيه أنه أسهل في النحت وأجمل في اللون ، وأوفق لما عمل به من غرائب الصناعة .

وعدد الاساطين الذي في الحرم الشريف النبوي مائتان وتسع وعشرون

اسطوانة ما عدا النصف اللاصق من تحت رجل كل عقد على جدران الجهات الاربع ، ومن الاساطين المذكورة وسط الروضة المطهرة ومـــا حولها خمس وعشرين (؟) نحو الثلث منها ملبس بالمرمر المموه بماء الذهب وخمسة لا رخام عليها وإنما هي مموهة بماء الذهب ، وكذا رؤوس الاساطين مموهة بالذهب.

أما أرض المسقف من الدرابزان الصفر الموضوع على حد الحرم الشريف الأصلي من جهة القبلة ، فمفروشة بدل الطبطاب الأول بالحجر المنحوت الاسود الحرّاوي ، ومكحول بين الأحجار بالنورة ، وأما من باب السلام إلى المنارة الرئيسية ، ومنها إلى مخزن الاغوات ودكتهم إلى باب الرحمـــة ، ومن باب الرحمة إلى باب السلام فكله مفروش بالرخام المربع ومؤخر الحرم الشريف بتمامه مفروش بالرخام إلا جهة باب التوسل [٤٢] إلى المنـــارة السليمانية فمفروش بالحجر الأحمر ، وقد بقى المسقف المتصل بالروضة المطهرة على وضعه القديم يعني جددوا ولم يوسعوا ولا حولوا من الاساطين عن موضعه ، فلذلك بقيت بالنسبة إلى رسم المؤخر اساطينها قريبة من بعضها ، وأما المؤخر يعني من دكة الأغوات ، وهي الصفة المشهورة في زمن النبي ﷺ ، إلى المنـــارة السليمانية ، ومنها إلى المنارة المجيدية ، ومنها إلى باب الرحمة فواسع ، واما الارتفاع واحد وجميعه قباب بعضها له شبابيك جميلة بالجام الملوّن والسلك عن دخول المطر والغبار وبعضها بلا شبابيك مبنية بتمام الاتقان والإحكام بالطوب المربع والنورة الصافية ، والطين الحلو المصفى . وأعلاهم (؟) ارتفاعاً القبة الشريفة الخضراء ، ثم قبة المحراب العثماني ، ثم قبة باب السلام وجميع القباب.

وسطح الحرم الشريف بتمامه ملبس بألواح الرصاص لجريان ماء المطر منه سريعاً ، وفي داخل القباب على البياض انواع النقوشات بالقلم ، وأغلب دائر القباب مكتوب بالخط الجميل الاسلامبولي من الآيات القرآنية ، واما جدار القبلة فإنه ملبس بالصيني الملون ، وفيه من باب السلام إلى آخر المنارة الرئيسية أربعة أسطر بالخط الثلث الاسلامبولي برسم الخطاط عبدالله أفندي الذي كان

له في الشهر سبعة آلاف وخمسمائة غرش بتوقيع الخطوط المذكورة بالجدار المذكور والقباب ، فأما الذي في الجدار فكلها كتابة بماء الذهب ، واما القباب فإنها بالكتابة البيضاء ، ففي الجدار المذكور من سورة البقرة وسورة (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) والسطر الرابع أسماء سيدنا النبي (ص) مائتان وواحدواما قباب المؤخر نقش ولا كتابة فيها (؟) .

فأبوابه الآن خمسة اثنان من شرق وواحد من شام ، وهو باب التوسل الذي زاده السلطان عبد الحميد رحمه الله ، ولجانبه باب مخزن الزيت والمهمات واثنان بالجهة الغربية ، وهما باب الرحمة وباب السلام ، واوسعهم واجملهم وأزينهم (؟) باب السلام ولهم مصارع من الخشب الجوز منزلة بالصفر المصنع والكتابة الجميلة ، لا نظير لذلك .

والمحاريب ثلاثة : المحراب النبوي في الروضة المطهرة ملاصق للاسطوانة المخلقة يعني التي كانت مكسوة في زمن الحبيب الأعظم ﷺ [1] ، وكان يصلي إليها وهي في ظهر المحراب النبوي من الجهة الغربية ، وبسبب وضع المحراب صار الذي يسجد في ذلك الموضع يكون وضع جبهته في محل جلوس الحضرة الشريفة النبوية في الصلاة [٤٣] والمقتدي بالامام الآن في الصف الأمامي فإنما هو في موقف سيدنا الصديق الاعظم - رضي الله عنه - في اقتدائه بسيدنا النبي ﷺ ، وعلى حذاء المحراب النبوي من جهة القبلة المحراب العثماني الذي أحدثه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمنه ، لما ادخل الزيادة التي من جهة القبلة المعروفة الآن بالمواجهة ، وهي من باب السلام إلى المنارة الرئيسية ، واما المحراب الثالث الذي هو خارج عن الروضة غربي المنبر الشريف أحدثه السلطان سُليمان بن سليم في زمن سلطنته ، وجعل أئمة الأحناف مع الأئمة المالكية في ثمان وخمسين بعد التسعمائة ، وما كان قبل ذلك للاحناف مباشرة في الامامة بالحرم النبوي ، بل كانت الوظائف حتى القضاء

---

(١) لم تكن مكسوة وانما كانت تخلق اي تطيب بعد عهد الرسول (ص)

كله مالكي ، وفي القرن السابع بواسطة بعض ملوك مصر صار تخصيص أئمة شافعية يصلون الصبح في العتمة قبل المالكي، والاوقات السائرة بعد الجماعة الكبرى التي هي المالكية ، وفي زماننا بالعكس بسبب تخصيص المعاش ، صار المتقدم والجماعة الكبرى للأحناف ، ومن بعـــدهم الشافعي ، إلا في الصبح فالأول جماعة الشافعي ثم المالـكي ثم الحنفي بإقامة مخصوصة .

واعلم أن في كل محراب من الشمع الكبار الذي لا يغير الا في كل سنة ليلة النصف من شعبان شمعتان وأكبرهم (؟) شمعتان المحراب النبوي ومن الكبار اثنين مطارق (؟) من الشمع الكافوري يوقد قبل إقامة الصلاة .

فأما شمعدانات المحراب النبوي ففضّة من مال الغزا (؟) هدية السلطان مصطفى خان الغازي ، وشمعدان المطارق لعم شاه العجم ، وأمـــا العثماني والسليماني فشمعداناتهم صفر من الكبار أربعة ومن الصغار المطارق الذي على طول الانسان أربعة .

والمحاريب اثنان على بناء المرحوم الملك الأشرف قايتباي، والسليماني حدث بعده وجميعهم (؟) لم يتغير منهم شيء ، وانما موهوا بماء الذهب وعملوا في جوانبهم دَرَجاً من الصفر لقيادة (؟) الشمع الكبار .

والمنائر خمسة (؟) الرئيسة وهي القبلية الشرقية التي عند القدم الشريف وبابها من المواجهة الشريفة ، وبناؤها على وضعه القـــديم من زمن قايتباي لم يتغير فيها شيء ، والشرقية الشامية ، وتعرف بالسليمانية ، كان بناها السلطان سليمان فانعوجت (؟) فهدمت في زمن السلطان عبدالعزيز خان بن محمود ، وبنوها نظيرة للمجيدية التي كان قبـــل أن يبنيها السلطان عبدالمجيد اسمها الشكيلية ، وهي الشامية الغربية عند مخزن الزيت جددها عبد المجيد مـــع بناء الحرم ، على رسم منائر الاستانة بثلاث شرفات ، [٤٤] فصارتا شكلاً واحداً ، وأما التي عند باب الرحمة فهي أقصرهم ، كما أن الرئيسية أطولهم(؟) وانه في البناء الأخير هدم نصفها الأعلى وعملوا لها شرفتين ، وهي بين المجيدية

وبين منارة باب السلام ، وأما منارة باب السلام فهي أطول من منارة باب الرحمة ، وانهم هدموا نصفها الأعلى ، وعملوها بشرفتين ، فالسليمانية والمجيدية ومنارة باب الرحمة ومنارة باب السلام بكلامات ؟ من رصاص ، وعلى رأس كل واحدة علم مموه بالذهب ومنارة الرئيسية بجمرة من البناء فوقها العلم ، ومن دونه بكرات للثلاثة قناديل التي تعلق للإمساك متى أنزلها الريس ، رمت مدافع الإمساك في رمضان .

وأما المنبر الشريف فإنه في الروضة من جهة الغرب ، وهو من أجمل المنابر المعمولة بالرخام في أعلى درجة من الزينة ببيارقه الاثنين بالجر (؟) المموه بماء الذهب على المخمل الأخضر ، وأعلامه من الذهب والفضة ، وفرشه من الجوخ الأحمر ، وستارة بابه من جنس البيارق المذكورة ، وهو للسلطان مراد خان لم يغيروا فيه شيء (؟) زمن العمارة ، والمكبريات المخصوصة لإقامة الصلاة اثنان ، واحدة في الروضة المطهرة ، وهي من الرخام ، والثانية في آخر المسقف يعني في آخر صف من الرواقات المعقودة ، بين أربع أساطين مما يوالي الصحن ، وهي من الخشب بدرابزان من حديد مصبوغ بالأخضر ، فسائر الأيام تكون الإقامة في مكبرية الروضة لقربها من المحاريب ، وفي الأعياد ومواسم الحجاج يكون المكبرون فيها لإسماع الناس اذا امتلأ المسجد .

وفي صحن الحرم الشريف حديقة صغيرة فيها نخيلات وسدرة وحمرة – بفتح الميم – وللحديقة المذكورة درابزان من الحديد ، مصبوغ بالأحمر عن الدخول فيها ، ولجانبها بئر صغير منظومة يشرب منها الاغراب على انها بئر بيت السيدة الزهراء – رضي الله تعالى عنها – وليس كذلك ، بل بئر الزهراء وجدت زمن العمارة الاخيرة عند باب الحجرة ، واراد الأمراء إبقاءها للناس ، فخشي من توسيخ العوام عند باب الحجرة ، وأن يقع بسببها ما يخل بالآداب بقرب الحجرة النبوية ، كما أنهم لما فتحوا أساس اسطوانة السيدة عائشة الكائنة في وسط الروضة ظهر من تحت موضع أساس الاسطوانة المذكورة ماء أشد

بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل، فاقتتل الناس عليه فسدوه عاجلا وسدوا بئر السيدة فاطمة – رضي الله تعالى عنها – والحديقة المذكورة حدثت في الحرم الشريف من نحو الستين عام لا غير، وتمر نخلها يقتسموه الاغوات ويبعثوا منه في علبة كل سنة طعمة للسلطان كائناً من كان .

وحاصل ما زاد في الحرم الشريف في العمارة الأخيرة نحو الخمسة أذرع في جهة الملائكة ، والمكاتب المجيدية والميضة المخصوصة للأغوات بمنافعها، ومخزن المهمات الذي اتخذوه [٤٥] بدلاً عن قبة الزيت ، والمهمات في أوسط صحن المسجد باتصال الجدار الشامي من الحرم الشريف ، فإذا أردت أن تدخل من باب السلام، كان الجدار القبلي الذي فيه المحراب العثماني عن يمينك، والدرابزان الصغير ، الذي هو على حد جدار المسجد النبوي، زمن الحبيب الأعظم ﷺ الذي فيـــه المحراب النبوي والمحراب السليماني ، وعلى حدود المسجد النبوي الأصلي تحت روس الأعمدة كشح (؟) مكتوب فيها : هـــذا حد مسجد سيدنا رسول الله ﷺ ، ومن الجهة الشامية قبلي الحديقة المذكورة آنفاً ثلاثة أحجار كالكراسي علامة حده الشامي ، ومن جهة المشرق بيت السيدة عائشة – رضى الله عنها – وبيت السيدة الزهراء - رضي الله عنها – وما حاذاهما وبيت السيدة عائشة هو داخل الستار ، وفيه مراقد الثلاثة أقمار .

واما زينة الحرم والتعاليق فمن باب السلام إلى المواجهة الشريفة في كل قبة شجرة من البلور بتنانير البلور الأبيض يوقد في كل واحدة خمس شمعات أو خمسة قناديل ، وفي المحراب العثماني شجرة معلقة كبيرة من فضة بأربعين شمعة ، وواحدة دونها من فضة أيضاً بتنانير ، وثلاثين شمعة تجاه الوجـــه الشريف ، وحولها أشجار من فضة ، وفانوس من فضة ، وجمـلة أطباق من خمس شمعات وخمسة قناديل ، ومن جهة الملائكة المعروف بجهة القدم الشريف جملة شجرات ، وعند باب السيدة واحدة وبين الحجرة ودكة الأغوات واحدة كلهم (؟) يوقدون في كل ليلة ، وفي الروضة المطهرة ، وقريب الحجرة، وتجاه

المحراب النبوي جملة أشجار من البلور مثمنة ومن الفضة ، يوقد فيها الشمع ، وفي الحرم الشريف من باب السلام إلى باب الرحمـــة ، كما بين باب السلام والمواجهة الشريفة شجر بالقناديل ، وأكبر شجر المسجد الشجرة الكبيرة القريبة من بيت السيدة الزهراء المشتملة على نحو السبعين شمعة ، كل ليلة توقد فيها وشجرتين كبار (؟) بتنانير حمر مموه بالذهب لا يوقدان إلا في ليـــالي الأعياد . وأما البرم البلور التي توقد كل ليلة فمن باب السلام إلى المواجهة ، وجهة الملائكة ، وداخل الحرم كله إلى باب الرحمة بسلاسل من الفضة البيضاء منظومة ومن باب الرحمة إلى مؤخر الحرم فهي معلقة بسلاسل من فضة ، وكان حتى المؤخر بسلاسل من فضة بين كل عقد ثلاثة قناديل من البرم ما عـــدا الأشجار المذكورة ، فسرق بعض السلاسل الفضة من قنـــاديل المؤخر ، فاتخذوا عنها سلاسلاً (؟) من الصفر ، ورفعوا ما بقي من سلاسل المؤخر في دواليب الحجرة لصيانتهم (؟) ومجموع ما يوقد كل ليلة في الحرم الشريف وأبوابه داخلاً وخارجاً نحو الستمائة قنديل ونحو الثلاثمائة شمعة [٤٦] ما عدا شمع الفوانيس الملاصقة للدرابزان الصفر وشمع المحاريب ، والشمع الذي يوقـــد لمن يقرأ في مصاحف الروضة وغيرها ، وقناديل الحجرة المعطرة وشمعها وبعض شموع الحرم من الشمع الكافوري ، والبعض شمـــع حوت المعروف (بالاسپارمچه) وأمـــا شمع الحجرة المعطرة فكله من الكافوري وأمـــا الزيت فجميعه زيت زيتون يأتي كل سنة مع الشمع والحصير والقناديل والتنانير من ثلاث جهات من الشام زيت وشمع ، ومن الاستانة القناديل والمكانس والسفنج وسائر اللوازمات ، وشمع الحوت وشمع الكافوري وشمع سكندري والتنانير والزيت الأخضر ، ومن مصر الحصير وبعض المهمات والزيت والشمع نوعين كافوري و (أسپارمچه) .

والمنابر في كل ليلة من رمضان نحو الثمانمائة قنديل تبقى إلى الصباح وكذلك في ليلة المولد الشريف ، وليلة أول جمعة من رجب ، وليلة المعراج وليـــلة النصف من شعبان وأيام العيدين وليلة عاشوراء ، وليلة دخول المحمل الشامي ،

وليلة دخول المحمل المصري إلى المدينة ، تقاد (؟) لهم قناديل المساجد،ويبقى الحرم لهما مفتوح كما في رمضان ، ويغلق بعد صلاة العشاء في غيرهم (؟) من الليالي ، وأما قفص الحرم يعني محـــل الصلاة للنساء ، فهو من وراء خزائن الأغوات بجهة باب النساء بالجانب الشرقي ، وعليه قفص من الخشب الشيشي مصبوغ بالأخضر ، فيه ابواب لدخولهن منه ، ويزدحمون (؟) في ليلة كل جمعة وبعضاً في ليلة الاثنين لتدخيل الاطفال ليلة الأربعين من ولادتهم في الحجرةبعد المغرب ، ويحط تحت الستار نحو من دقيقتين أو ثلاثة ، ثم يخرجه الأغا الذي أدخله ، وعلى وجه الطفل أنوار فيعطيه لأمه .

وأما فرش الحرم الشريف ففرش في الصيف من الحصير الذي يرد من‌مصر وقدره اربعمائة حصيرة في كل عام ، يعطى منها بعد كفاية الحرم الشريف للمساجد السائرة ، وللزوايا ولبعض الذوات ، وفرش للشتاء من المفارش الزل القطيفة الكبار المثمنة ، وقد عمل عبد الواحد الميمني للصيف فرشاً أزرقاً(؟) من القطن شغل الهند يفرش فوق الحصير .

وأما الحجرة المعطرة فاعلم أنه ما تغير من وضعها القديم شيء في هـــذه العمارة الأخيرة ، بل كان بناء القبة العليا المعروفة بالخضراء من الخشب ملبسة بألواح الصيني الأخضر ، وكانت عالية عن الوضع الموجود الآن ، فلما أخذ الوهابي الشرقي النجدي المدينة المنورة ، ونهب جميع تعاليق الحجرة من ذهب وفضة وياقوت وجواهر وزمرد وغير ذلك من التبركات المثمنة التي لا نظير لها في الدنيا أمر بهدم قباب البقيـع ، فهدمت ، وأمر بهدم القبة الخضراء ليأخذ العلم الذهب الذي عليها فكل من طلع لتنزيل العلم طاح فمات [٤٧] فتشاءم منه ، وتشاءم ايضاً بأخبار بعض المتقربين لديه من أخذ الكوكب الدري ، وهي الاحجار الالماس الكبار ، المزين أطرافها بأحجار كالبنـدق من الألماس البرلانطه (؟) المركبة في عامود طول ذراع وموضوعة في محل المسمار الفضة الذي كان علامة في القديم على محل الوجه الشريف النبوي ، فلما جاء

ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر لإخراج الوهابي من المدينـــة المنورة وأنزل الله تعالى بالوهابية من البلاء ما أنزل عقوبة لهم ، وتبعهم إلى العارض يقتل فيهم ، واسترد مما نهبوه البعض ، ولم يجد غالب أموال الحجرة ، رجع بمن قبض عليه من أبناء سعود أمـــير الديار النجدية وتوابعه من أولاد الشيخ عبد الوهاب الذين أفتنوا بعض الناس بدعوى الوهابية [1] وأخذ من المدينة بعض من ساعدهم في تملك المدينة المنورة ، وبعث بهم إلى أبيـــه ومنه إلى السلطان محمود خان ، ورد ما أحضر من مال الحجرة ، إلى الحجرة الشريفة ونظر إلى صدع كبير في أعلى القبة الخضراء تحت العلم ، فأعرض عن ذلك حتى استحصل الأمر السلطاني بتجديد القبة النبوية ، وبنـــاء قباب البقيـع ومسجد المصلى فصندق دون كبوش القبة الخضراء ، ولَـبّد على الصندقة باللباد حتى لا ينزل في الحجرة المعطرة تراباً ، وشرع في تنزيل القبة الخضراء مع كال الأدب حتى وصل إلى الكبوش اختار بناءهـــا من الطوب الكبير المربّع بالخرج القوي فطويت في اسرع وقت على وضعهــا الموجود الآن ، وألبسها بصفائح رصاص وردّ العلم الذهب في أعلاها ، وشال الصندقة ، وجاءت الستائر المزركشة المكتوبة بالخط الجميل لتلبيس الجدار الحائط بالقبة الأصلية التي على بيت السيدة عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ وكتب اسمه واسم أبيه واسم السلطان محمود في دائرةالقبة الشريفة من داخل وبنى قباب البقيع وكتب اسمه واسم أبيه واسم السلطان محمود في دائر قبة آل البيت العظام ، وركب الصيني الأخضر الذي أنزله من فوق القبة الشريفة ووضع مكانه الرصاص في بعض الأساطين ، وفي جدار القبلة حتى لا يضيع ، فنقضوه في البناء الأخير ، وما بقي للصيني الأخضر المذكور إلا بقية ركبت ثانياً في جدار القبلة مع الصيني الجديد ، فالمراقد الشريفة الثلاثة مسنمةبالرمل

---

(١) بل هدى الله من أراد هدايته بدعوة الشيخ ، فعادت بالبركة على جميع المسلمين بمؤازرة آل سعود الميامين لها ونشرها .

الأحمر ، والحجرة المطهرة على ما ذكره ابن السمهودي في « خلاصته » بالرسم المسطور فيها إلا أن القبة الصغيرة لا باب لها، ومن دائرها الجدار الذي جدده سيدنا عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – وعليه الستار الأخضر المكتوب بالحواشي [٤٨] المحزَّم بحزام أحمر من الجر الثقيل ، ولها ستائر من الحديد الأخضر ، على الشبكة الحديد من داخـــل ، وستائر كبار بِصَجَق من القصب معلقة من الخارج ، في عقود القبة الخضراء على الشبكة الحديد المحتاطة بالحجرة المعطرة التي لها من الأبواب للدخول ما تقـــدم ذكره ، والدائرة المفروشة بالرخام التي بين الستر والشبكة الحديد ، وهي أعلاها محـل تعليق التبركات المثمنة من الذهب والفضة والجواهر ، والمرخم هو محل دخول ومشي الأغوات ، للخدمة اللازمة ، وبين بيت السيدة فاطمة الزهراء ، وبين بيت السيدة عائشة – رضي الله عنهما – شبكة حديد فيها باب صغير لدخول الشمعدانين المذهب بشمعها كل ليلة قبل الغروب بثلث ساعة فواحد هو وظيفة شيخ الحرم ، يدخل بة يحمله حتى يضعه عند الرأس الشريف، وواحد وظيفة النائب موضعه عند القدم الشريف ، وفي تجاه الوجه الشريف أيضاً شمعدانين من الذهب كبار مرصعين بالألماس كان بعث بهما السلطان عبد المجيد وشمعهما دائماً كافوريّ ، وقناديل الحجرة المعطرة غير الأربعة الشمعدانات الذهب مئة قنديل ، بسلاسل الذهب . وبيت السيدة الزهراء عنـــد التابوت شمعدانات من فضة ، وسلاسل القناديل نحو الاربعين بسلاسل الذهب ، وكسوة التابوت مثل كسوة الحجرة المعطرة ، وأعلام أركان التابوت لوالدة السلطان عبدالعزيز خان من الذهب ، بأهلة مجوهرة، وعلى كسوة التابوت شيلان من أعلى الكشمير ، وبعضها بالقصب، تغيرُ دائماً، وأما في ليالي رمضان فيحطُّ في الحجرة المعطرة من الشمع الكبار نحـو العشرين في شمعدانات من الفضة ، للمرحوم عباس بك والي مصر ، الذي ارسل الأشجار الفضة الكبار ، والنخـــلات البلور الكبار ، والشجرة البلور الكبيرة ، ليكونوا (؟) من تبركاتـــه في الحجرة

والحرم الشريف ، ومحراب التهجد الحقيقي داخـــل بيت السيدة فاطمة ، ملاطق للتابوت المذكور .

وأما ستائر الحجرة المخصوصة بالتعليق في موسم رجب من أول الشهر إلى آخره ، وفي أيام المواسم من عشرين ذي القعـــدة إلى عشرين من محرم كل سنة فإنهـــا على الأطلس الأخضر مزركشة بالجر" المموه بالذهب ، من أجمل شيء تراه العين ، مكتوبة بالجر" (؟) بأنواع الرسومات الغريبة ، فإنها هي وسائر المحاريب الثلاثة وطاقـة جدار القبلة وباب المنارة الرئيسية ، وستائر طباق (؟) جهة الملائكة وستائر أبواب المسجد الخمسة كلهم (؟)شكل واحد، ودائماً [٤٩] في غير وقت المواسم المذكور محفوظين (؟) في دواليب داخل الحجرة المطرة .

واعلم ان لفظ الحجرة المعطرة يطلق على مـا أحاطت به الشبكة الحديد المصبوغة بالأخضر من شرق وشام وغرب .

وقد تقدم ذكر أسماء الأبواب ، وأن الجهة القبلية من الحجرة—وتعرف بالمواجهة — محل وقوف النـــاس للزيارة إنما هي شبابيك من الصفر المتين ، منسوج عليها بالسلك ومن خارجهـــا الشبابيك الثانية من الصفر ، مكتوب عليها كلها : (الا إله الله الملك الحق المبين،سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) ولهذه الشبابيك المكتوبة حلوق (؟) من فضة ، وفيها الباب الصغير الذي هو دائماً مغلوق (؟) بسبب الشبابيك التي من ورائه ، أعلاه كله من فضة مموهة بالذهب.وأما الباب الشرقي والشامي والغربي فلهم(؟)ضباب متعددة(؟) وكلها مفاتيحهـــا من فضة ، وموجود بالدواليب التي جواره تابوت السيدة الزهراء من الريشات (؟) المنظومة المرصعة بأحجار الألماس شيء كثير ، من تبركات نساء الملوك للحجرة ، فلا يستعملوا في غير التابوت المذكور كل شهر ، حطوا شيئاً ورفعوا ما قبله ، ولا يدخل الـ جرة أحد غير الأغوات في سائر الأوقات ، بل من أراد الدخول يدخل معهم وقت التسريـــج - يعني قبل المغرب بعشرين دقيقة .

وأعلم أن الأغوات وغيرهم لا يعرفون ما وراء الستار الشريف المعلق على أعمدة جدار سيدنا عمر بن عبد العزيز المحيط بالقبة الشريفة المحيطة بالمراقد الشريفة التي ليس لهـــا منفساً إلا كوة صغيرة في اعلاها على القبر الشريف النبوي ، حتى لا يكون بينه وبين السماء حائل ، وإنمـــا على تلك الكوة شبكة من السلك الخفيف ، تمنع سقوط الحمام في القبة ، ونظير هـــذه الكوة كوة في القبة الخضراء ، فإذا توسطت الشمس وتمكنت منها نزلت إلى الكوة الثانية ، ومنهـــا إلى القبر الشريف لحظة ، وأمـــا المطر فإنه ينزل دائماً إلى القبر الشريف من الكوتين المذكورتين ولا يعرف ما بين الستار المذكور والقبة الأصلية إلا قدماء الأغوات ، لأنهم إذا جاءت كسوة الحجرة المعطرة بعد ثلاثين أو أربعين سنة من طرف الدولة العثمانية ودخلوا لتعليقها يرقون بدرج مخصوص من وراء الستر ، ملاصق لأعمدة الجدار المذكور ، فلا يدخل منهم إلا كبير السن ، ويربط عينيه حتى لا يرى شيء (؟) فيركبون الستر الجديد لأنه بدح (؟) فوق القديم ، ثم يفككون (؟) أزرّة الستر القديم فينزل ، وينزلون من درج في الجهة الشامية بين القبة الشريفة وجدار سيدنا عمر بن عبد العزيز الذي عليه الستر وهو نازل عن الأرض [٥٠] الظاهرة في الحجرة المفروشة بالرخام ، وإن أرض الحجرة الأصلية ما زاد بها شيء ، ويستخرجون تراباً ناعماً يتجمع من الغبـــار والأهوية على طول السنين ، ويسموه (؟) الجوهر الشريف ، يأخذوه الأغراب بالتبرك [1] (؟) ومن كان ذو قدرة ممن طلع لتعليق الستر الجديد وتنزيل القديم فإنه يعتق ثلاثة أو أربعة رقاب – والبعض أكثر – من مماليكه ، شكراً لنيله تلك الخدمة . ومن لم يقدر يذبح ويتصدق بأربع أو خمس كبوش من الضان . وأما أرض الحرم الشريف ودائر جهـــات الحجرة فقـــد زادت بسبب دفن تراب عمارة الحرم اول وثاني وثالث ورابع وخامس فيها ، فالبناء الأول لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والثاني للوليد بن عبد الملك ، والثالث والرابـــع للملك الأشرف

(١) هذا من الأمور المحرمة شرعاً . فالتبرك يكون بالأعمال الصالحة .

قايتباي ، والخامس للسلطان عبد المجيد خان العثماني ، وتحت المنارة الرئيسية في جهة القدم الشريف حجرة بباب شامي ، فيها بعض الشمعدانات الفضة الكبار ، والمباخر المثمنة وما أشبه ذالك ، لا تفتح إلا في وقت اللزوم ، وبملاصقة باب الجبر دكة صغيرة مفروشة وهي لجلوس شيخ الحرم خاصة ، ولجانبها (؟) باب مخزن الأغوات الذي فيه دوارق مائهم ، وفيه يكون تربية من أخطأ منهم، بابه قبلي ، وفي المخزن المذكور درجة إلى علية كالقفص تحت القبة ، أطرافها بشبكة من السلك منظومة ، أشبه شيء بالقفص الذي يعمل للسلطان في مساجد الأستانة،وإلى جانب المخزن المذكور من غرب دكة الأغوات ، وهي محل صفة أهل الصفة من الصحابة الكرام ، وتقابلها بملاصقة الحجرة دكة ثانية ، فيها محراب صغير على حذاء محراب التهجد الملاصق لتابوت السيدة فاطمة،ومن وراء دكة الأغوات جدار فيه نحو الستين دولاب صغار(؟) لمنافع الأغوات ، وفي الجدر (؟) الشرقي من جهة الملائكة إلى قفص النساء دواليب لأعيان الأغوات وبعض الذوات ، وأما الجدار الغربي ففيه بالقرب من باب السلام سبع خلوات (؟) خوخة سيدنا الصديق وفيها كتب الروضة المطهرة ، غير المصاحف الموضوعة دائماً في الروضة للقراءة ، ولجانبها من شام (أوضة) ثانية ، وهي لشمعدانات وفوانيس تراويح شهر رمضان و(أوضة) ثالثة منها الطلوع لمنارة باب الرحمة . وفي الجهة المذكورة بين أبواب الخلوات ملصوق بالجدار تحت شبابيك حجر المدرسة المحمودية دواليب من خشب من باب السلام الى المنارة المجيدية ثلاثة (؟) طبقات ، نحو الأربعمائة دولاب كل دولاب لواحد من الناس ومعه جماعته ، لوضع كتبهم ، أو مراكيبهم إذا دخلوا الحرم الشريف حذراً من الضياع .

وفي الحجرة المعطرة من جهة الرأس الشريف بين الستر والشبكة صندوق عليه كسوة ، من الجرَ الثقيل فيه المصحف العثماني بالخط الكوفي وهو الذي يعرف بالأم (؟) لأنه من الأربعة المكتوبة في زمن سيدنا عثمان وهذا بقي

والمشهور أن دمه عليه ، لا يفتح إلا في شدة الكرب - كما تقدم - وهو على رق غزال ، ونسخة ثانية بخط سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

الفصل الثاني من الخاتمة في بيان الوظائف ، وخدمة كل وظيفة ، وكيفية الصلوات والافطار [٥١] في رمضان والعيدين ، والأيام المخصوصة للتعطير ، وإدخال الصندل الشريف ، وغسيل الحجرة ، وكنس سطوح الحرم كل عام ، وكيفية أخذ (الدستور) كل وقت للأذان ويوم الجمعة للخطيب عند طلوعه :

فأما الوظائف فأعلاهم (؟) وظيفة شيخ الحرم ، من ومن دونه النائب ، ومن دونه (الخزندار) ثم المستسلم (؟) ثم من دونه النقيب ، ثم رئيس الأربعة عشر أغا البوابين للحجرة ، ثم الأربعة عشر بالترتيب ، ثم من دونهم الأربعة عشر جنزي (؟) ومن دونهم الأربعة عشر بطال (؟) ومن دونهم الملازمين (؟) وكل هؤلاء أغوات بـ (قواويق) على رؤوسهم ، مخصوصة بالوضع الذي كان رتبهم عليه السلطان سليمان القانونجي .

فأما المستسلم هو شيخ الأغوات ، ولا يكون إلا من (الوجاق) يترقى حتى يصل الى المستسلمية ، ومعنى المستسلم أن الحرم الشريف ومفاتيح الحجرة المعطرة تسليمه .

وأما (الخزندار) والنائب فإنهما أغوات ولكنهما من (السراية الهمايونية) لا من أصل (الوجاق) .

وأما شيخ الحرم فقد كان قديماً من (السراية) ممن صار بها (قزلارأغاسي) ثم صار يأتي بعضا وزراء (؟) من سلك الملكية ، وأحياناً اما فريق أو مشير من سلك العسكر النظامية . و(الوجاق) المذكور دائماً ستين إلى ثمانين من الأغوات بمساكن في الحارة المخصوصة بهم ، ولهم نحو الأربعين بيت من أنظم البيوت لسكنهم ، وهي من مسقفات (؟) الحرم ، وعماراتها على الخزينة ولهم معاتيق ومواليد كثير (؟) مساكنهم في تلك الحارة ، بشيخ مخصوص ، ونقباء ، وما أشبه ذلك .

وأما الخطباء والأئمة أحناف وموالك وشوافع فنحو المئة وسبعين نفر (؟) وأكثرهم الأحناف .

وأما الرؤساء — وهم المؤذنون — فمئة نفر بشيخ مخصوص ونقيب كالخطباء والأئمة ، وأما الفراشين (؟) فشيخهم الكبير الذي يدخل كل ليـــلة وقت التسريج مع شيخ الحرم والنائب و (الخزندار) وهو رئيس أهل الفراشات الوكلاء عن أهل الأفاق (؟) وفي دفتره نحو الألف فراش وكلاء الفراشات .

وأما الفراشين (؟) من الهنود فنحو العشرين للتعمير ، ووضـــع الشمع بالأشجار ، وأما الكناسين فستين (؟) نفراً .

والمشدّين (؟) الذين يقفون على باب الحجرة وقت الخدمة أربعة عشر ، والمكبرّين (؟) سبعة ، وشيخ المحفل وخَدَمَةُ المخزن الذي فيه المهمات عشرة .

والبوابين (؟) في الأبواب الخمسة بملازمينهم (؟) نحو العشرين ، وشيخ الروضة واحد وله معاون .

وحافظ كتب جهة باب السلام واحد ، والمرقي (؟) من المؤذنين و (ساعتجي) واحد ، و (جوهرجي) واحد ، وصائغ واحد ، [٥٢] وجَبّاد (؟) لبئر الحديقة واحد ، ووقاد لأطراف الحرم من الخارج واحد ، وسقا دورق (؟) عشرة أنفار ، و (دليل باشى) ونحو الأربعمائة نفر دُللاء ، و (مرنقوز ؟) و (مرمرجي ؟) و (مجوزجي ؟) وحجار ونوار و (دكمجي) و (قورشنجي) ونقاش ، فالطوائف المزبورة كلها بمعاشات شهرية إلا وكلاء الفراشات والدُللاء فلا شيء لأكثرهم .

وأما بيان وظائفهم فالأغوات لخدمة الحجرة الخاصة ، ولتسريج الحرم قبل المغرب وفي وقت السحر .

والخطباء والأئمة لمباشرة المحاريب الثلاثة بالنوبة ، والمؤذنين لمباشرة المنابر الخمسة (؟) بالنوبة ، وصاحب أخذ الدستور لمن يطلع المنارة الرئيسية يقف

على بابها ويصلي ويسلم بأعلى صوته ويقول : لله الفاتحة !! ثم يطلع والأذان تسليماته مناوبة ، ومدته نصف ساعة ، ثم تقام الصلاة إلا في المغرب فـــلا تطويل ولا مناوبة ، ومـــدة التهليل والتسبيح في السحر ساعتين ونصف ، والمكبرّية بالنوبة .

والبوابين لحفظ الأبواب ليــلا ونهاراً ، والكناسين لكنس الحرم ، وهم خلاف الموظفين لتنفيض الستائر بمكانس الصَمور (؟) والخيــاط لخياطة فتوق الستاير ، و (الجوهرجي) لتصليح التبركات المرصعة من (شمعدانات) ومباخر وغيره(؟) والصائغ لجلاءوتصليح الأشجار الفضة وما أشبهها. ووظيفة شيخ الحرم إدخال (الشمعدان) الشريف الذي يوضع عند الرأس الشريف والنائب وظيفته (شمعدان) جهة القـــدم الشريف و (الخزندار) وظيفته المبخرة التي تدخل وقت التسريج ، وهي بينه وبين المدير والقاضي بالمناوبة كل ليلة ، وشيخ الفراشين وظيفته الدعاء (؟) .

وأما كيفية الصلوات فالمحراب النبوي والسليماني فهما بين أئمــة الأحناف والشوافع بالمناوبة ، كل جماعة منهما تصلي خمسة أوقات في محراب وتنتقل إلى الآخر ، وأما المحراب العثماني الذي في جدار القبلة فهو على الدوام للأئمــة المالكية إلا في ازدحام المواسم يتقدم الحنفي فيه وتتناوب المالكية والشوافع في المحرابين المذكورين .

وأما الإفطار في رمضان في الحرم الشريف : عادة الاهالي والمجاورين كل واحد ينزل سفرة بأشكال المربيات وغيرهـــا من المآكل النفسية ، والفقراء بالتمر ، فإذا أذن المؤذن ورمى مدفع الإفطار تناولوا من تلك الأطعمة ، وفائدتها أن كثيراً من الفقراء يتفكهون بما يعطي لهم من ذلك .

وأما التراويح فكيفيتها في الحرم النبوي يؤذن المؤذنون للعشاء إذا صارت الساعة اثنين (؟) وعشر دقائق ، وينزلون من المنابر [٥٣] إذا صارت الساعة ثلاثة إلاثلث (؟) فيصلي الحنفي ، وهي الجماعة الكبرى ، فإذا سلم قامت

التراويح في الحرم الشريف نحو خمسين جماعة كل جماعة على إمام مخصوص ، بين يدي كل إمام (شمعدانين) كبار (؟) بشمعتين وأئمة الحكام غير الشمعتين فوانيس بشمع السمك وتقاد (؟) الأربعة بها قناديل ، والمنابر أشجار المنصوبة في الرملة وجوانب الحديقة تعلق بهـــا قناديل ، والمنابر وكل ذلك من مخزن الزيت ، لا يتكلف أحد بشيء ، فمنهم من يصلي بالختم ومنهم من يصلي بالسور ومنهم من يصلي بالآيات .

وأما المحاريب الثلاثة فانهم كلهم (؟) بالختم وكلما صلى الفرض منهم واحد بقي حتى يصلي بقية ائمة المحاريب الفرض ، فإذا تمّ في كل محراب الفرض قامت عندهم التراويح ، فالمالكي يختم ليلة خمس وعشرين من رمضان ، والشافعي يختم ليلة سبع وعشرين ، والحنفي ليلة تسع وعشرين وترتيب الختومات (؟) المذكورة ومـــا يحصل في جمعياتها من النفحات والتجليات (؟) أمر خاص بالمدينة المنورة دون غيرها .

وأما الشمع الذي يقاد (؟) في الحجرة فالكبار منه يطفى (؟) ويبقى فيها.

والمطارق الكافوري عشرة تخرج بألاي مخصوص ، ودعاء مخصوص كل ليلة لجماعة مخصوصين بتذاكر مخصوصة إلى تمام الشهر ، وخروجها بعد خلاص تراويح المحاريب الثلاثة كل ليلة فاذا خرج الشمع المذكور طلع الريّم ونادى بالستمشرية (؟) للشوافع بعد التراويح وما زال التهليل والمجاوبة على المنابر إلى الصباح ، ولهم قـــدر ساعة تعرف بوقت السكتة ، وذلك قبل وقت السحر ، يسكتون فيها ثم يعودون للتسليم بعد الاذان الاول ، وهكذا كل ليلة ، وأتعب الناس المؤذنين (؟) في رمضان ، والحرم الشريف يبقى مفتوحاً وقناديله تضيء إلى صبح يوم العيد ، وصلاة الفطر والأضحى كلها في الحرم الشريف حتى يزدحم الحرم من أهل المدينة المنورة وقراها .

وأما إدخال الصندل الشريف ففي ليلة تسعة عشر من ذي القعـــدة كل عام ، والصندل يدقّ ويعجن بماء الورد والعنـــبر وعطر الورد ، ويوضع في تباسي من ذهب وفضة ، وله مكبات من ذهب وفضة ، وغرابيل من ذهب وفضة ، يخمّر كالعجين في دار شيخ الحرم .

ومعاتيق الأغوات من الجواري من أهل تلك الخدمة ، وله (؟) جمعية من وجوه نساء البلدة ، وضيافة كبيرة .

ثم يصير غسيل الحجرة صبح ذلك اليوم ، وإدخاله [٤٥] بآلاي الى الحجرة المعطرة ، ولا يدخل به إلا شيخ الحرم والنائب و (الخزندار) وكبار الأغوات ، يستخرجون بالكريك (؟) الصندل الشريف الموضوع في مثل ذلك اليوم من العام الماضي من الطاقة التي تحت الصندوق المركب بركن جدار سيدنا عمر بن عبد العزيز الذي معلق عليه السيف الكبير ، ويصل ذلك الصندل إلى جدار القبة الشريفة المحيطة بالمراقد العلية من جهة الرأس الشريف ، في القدم يفرقوه (؟) .

وأما رمي الحب المعتاد في كل سنة من جميع الأهالي وغيرهم فإنه في ليلة سبعة وعشرين من ذي القعدة الحرام ، ورمي من نصيب صاحب النوبة من الأغوات الذي معه المفتاح في تلك الليلة ونهارها ، وإن بلغ ألفا أقة (؟) وهو يعطي منه من يشاء وما زاد ينقله إلى داره ، وأسباب رميه صار عادة على نية سداد الدين ودفع الهم وهو مجرب بين من اعتادوا ذلك ولو من غير أهل المدينة ، وفي صبح رمي الحب يطلع الخدام والأغوات لكنس سطوح الحرم بتمامه وينثرون قرآ ودراهما (؟) على من وقف في صحن المسجد .

وأما التعطير فإنه في كل جمعة مرة أو قدر معين من عطر الورد وماء الورد ، ويدخلون به بعد صلاة المغرب ومعهم مبخرة العود والعنبر ، ويعطرون الستار الشريف من كل جانب .

وأما الند الذي هو أشبه برائحة العنبر إذا فاح والتبخير بالعود فإنه في كل ليلة ، وفي صلاة الجمعة توضع عودين (؟) ند في المحراب ، فإذا تمت الصلاة يطفيهم (؟) الإمام ، ويأخذ ما بقي منها ، وكل ذلك يأتي من الأوقاف (الهمايونية) من الاستانة إلا العودة (؟) فبالمشترى من جدة ، وماء الورد في بطاطي من نحاس كل سنة من الشام .

وأما طلوع الخطيب يوم الجمعة فانه يلبس قاوقاً كبيراً على الرسم القديم لم يتغير ، ويقف عند باب المنارة الرئيسية فيستأذن المرقّي ، وكيفية استئذانه انه يقف على شباك المواجهة الشريفة ويقرأ الآيات السبعة (؟) خمس في حق المصطفى ﷺ ، وواحدة في حق الصدّيق ، ثم واحدة في حق الفاروق ، ثم يقول : (ان الله وملائكته يصلون على النبي) إلى آخرها ، فيقدم الخطيب ويزور ، فيقوم رئيس المحفل في المكبّرية ويصلي ويسلم إلى أن يرقى الخطيب المنبر يصير الآذان الأخير ، فإذا قرأ الحديث الخاص بالإنصات وسكت شيخ المحفل قام الخطيب وشرع في خطبته وخطب ونزل قام الآغا البواب الموكل بالمنبر الشريف وأغلق باب المنبر وأرخى ستارته عليه حتى إذا تمت الصلاة جاء (السنجقدار) من معاتيق الأغوات وأنزل البيارق والستارة ، وفرش درج [٥٥] المنبر وطبقه ونقله إلى باب الحجرة هو ومن معه (؟) فيدخلهم الآغا البواب في موضعهم بالحجرة الشريفة ، وبأسباب التبركات المثمنة يبيت في الحرم الشريف كل ليلة من الأغوات البوابين اثنان ، ومن الجنزية أربعة ، ومن البطالين عشرة وجميع الملازمين من الأغوات ومعهم غلمانهم أو مواليدهم نحو العشرين مسلحين ، فاذا جاء وقت دخول الريس للطلوع في الريسية وقت السحر وقف على باب الجبر وصاح بقوله : (لا إله إلا الله) فيجاوبه صاحب النوبة من الأغوات بقوله : (محمد رسول الله) ويفتح له ويدخله ، فيطلع المنارة الريسية ويبقى الباب بعده مغلوقاً إلى وقت دخول الجاوبين في المناير الأخر ، فاذا أذن الأذان الأول قبل الفجر بساعة نزل الجاوبون وبقي الريس في الريسية فاذا شرع في التسليم على النبي ﷺ فتحت أبواب المسجد ، وقام جميع الأغوات لتسريج قناديل وأشجار شمع الحرم الشريف ، ودخل الناس لانتظار الفجر ، فاذا صلى الشافعي ثم المالكي ثم الحنفي فتحت الحجرة المعطرة ودخل شيخ الحرم والنائب لإطفاء القناديل وإخراج الشمعدانين الذهب الذي يدخلاهما (؟) كل ليلة قبل الغروب ، وكما يقفون للدعاء بعد

التسريح يقفون للدعاء وقت تمام تعمير قناديل الحجرة ، فـــاذا خرجوا من الحجرة المعطرة بمن معهم من الأغوات دار التعمير في قناديل المسجد من أوله وآخره ، وفي تنزيل القناديل ورفعها بالسرعة للأغوات معرفة مخصوصة .

والأغوات قسمين (؟) : قسم يقال له (سندبيس) وقسم يقال له(مكاده) ولكل قسم جهة من الحرم الشريف وقت التسريح ووقت التعمير ، ولا يمكن أحداً (؟) من القسمين أن يعلق أو ينزل في غير مدركه المعلوم .

وأما المولد الشريف فانه يعمل بعد طلوع الشمس صبح اثـــني عشر من ربيع الأول ، والموظف لقراءته أربعة أنفار من الأئمـة . وجمعيته في صحن الحرم الشريف من قبلي الحديقة التي في الصحن المـذكور ، فيرقى الأول على الكرسي المخصوص للقراءة ، ويقرأ الحديث وينزل بعد أن يُدْعَى للسلطان، ثم يرقى الثاني فيقرأ من المولد الولادة ، ويُدْعَى ويـــنزل ، ثم يرقى الثالث ويقرأ الرضاع ، ثم يُدْعَى وينزل ، ثم يرقى الرابع فيقرأ الهجرة ، ويدعى وينزل ، وينصرف الجمع بعد أن يشربوا (الشَّرْبيت) ويأخذون الحلاوة اللوزية .

والمعراج في الصحن لكن في [٥٦] غربي الحديقة المذكورة ، وذلك بعد صلاة عصر يوم السبت ست وعشرين من رجب في كل عام ، وازدحامه أكثر من ازدحام المولد الشريف ، وقارىء المعراج واحد من غـــير زيادة من بيت الخليفة العباسي وتحتاط (؟) به العساكر خوفاً عليه من العوام أن يمزقون (؟) ألبسته إذا نزل ، وسبب الازدحام كثرة وجود الزوّار من مكـــة وجدّة وينبع وغيرها من سكان البوادي .

وأما اصطلاح الخزينـــة الجليلة في المولد والمعراج يصير تقسيم شراب السكّر في دوارق (؟) نحو الألفين لأشخاص معلومـــين ، البعض له دورق والبعض له اثنين (؟) والبعض له ثلاثة ،والبعض أربعة ، مربوطة أفواههم (؟) بشاش نظيف جديد ، و (الشربيت) مصبوغ بالأحمر ، ينقلوه السقاية (؟)

إلى أصحابه في بيوتهم ، وأما دار المشيخة والنائب والأغوات والعساكر النظامية فترسل لهم قُرَب شماري مملوءة ، وأما سقي من حضر في جمعية الحرم في المولد والمعراج فـانه ينصب خيمة فيها جملة قِرَب مملوءة ، فيملأون منها الكاسات ، ويدور بها المشدّين الموظفين (؟) لباب الحجرة يسقون الذوات الحاضرين ، ولا ترتفع الخيمة إلا بعد تفرّق الجمعية .

وأما اصطلاح الأهالي في عيد الفطر فإنهم اذا صلوا العيد في الحرم الشريف خرجوا بأجمعهم من باب الجبر إلى البقيع الشريف بعـد أن يزوروا قبر المصطفى والصاحبين ، ويأخذون بعد خروجهم من الحرم الريحان والجريد الأخضر ، ويدخل كل واحد لزيارة أمواته وأسلافه ومن في البقيع الشريف من الصحابة وآل البيت والزوجات والبنات ، فاذا قضوا منه كانت المعايدة في ذلك اليوم للحكام جميعاً وأصحاب المناصب وللأقارب وذوي الأرحام الى غروب الشمس ، ومن طلوع الشمس يوم ثاني العيـد الى وقت العصر لأهل الحلة المعروفة بالساحة إلى القلعة السلطانية فانها محسوبة من الساحة ، واليوم الثالث لجميع من في المناخة وباب المصري إلى مقعد بني حسين داخل المدينة المنورة ، واليوم الرابع يزيّن الأغوات دكة الرستمية الكائنة بحارتهم المخصوصة بجلوسهم دائماً ، ويلبسوا (؟) أعمدتها وجدرانها بالأستار الحرير الأخضر المعلقة داخل شبكة الحجرة المطرة ، ويلعب معاتيقهم ومواليدهم عندها بالسيف والدرقة والطياس تضرب لمن جاء لمعايدتهم ، ويجلس الكبير والصغير منهم بأجل [٥٧] الملابس الى وقت الظهر ، وذلك اليوم يوم عيدهم وعيد الساكنين حول الحرم الشريف ، كأهل محلة ذروان ، وديار العشرة ، وجهة المديرية ، وزقاق الحنابلة وزقاق البدور ، ودار الضيافة ، وسقيفة رصاص ، وزقاق الزرندي ، وهو آخر أيام عيد الفطر .

وأما عيد الأضحى فأغلب الأهالي يكونوا (؟) في الحج ، فالموجودون يصلون المشهد ويذهبون إلى البقيع ، ثم يعايدون الحكام ويذهب كل واحد

إلى بيته لذبح ضحيته ، ولا تصير معايدة كعيـــد الفطر للحارات ، وإنما يؤخروها (؟) ليوم مجيء الركبان من مكة فهو أشبه شيء بالأعياد ، ويقف أغلب الناس من باب السلام الى المواجهة الشريفة ، فاذا أناخ الركب ونزل أهله لزيارة الحبيب الأعظم ﷺ تلقاهم الواقفون ، ويناكبوهم (؟) ، ويهنوهم، ويطلبوا منهم أن يدعوا لهم بالمغفرة ، فكل واحد غنياً كان أو فقيراً ينجبر خاطره بهذا التلقي فيدعي (؟) ويستغفر للطالب قبـــل وصوله إلى داره . وهكذا في كل سنة ، فاذا خرج أهل الركب من الحرم ذهبوا الىبيوتهم تبعهم الناس الى بيوتهم وهنوهم بالسلامة .

واعلم ان على كل باب من أبواب الحرم الشريف مرسومـة إمـا في الخشب بقلم الثلث الكبير ، منزلة بالصفر الأصفر الجميل ، وإما في الحجر مموهة بماء الذهب ، آية من الآيات القرآنية ، وعلى باب الدرابزين الصغير المتصل بالروضة المطهرة حديثاً (؟) وداخل بيت الجبر بيتاً (؟) يأتي بيانه في الفصل الثالث من الخاتمة .

الفصل الثالث من الخاتمة

فيما على الأبواب من الآيات والأحاديث الشريفة المبشرة لمن طالع ذلك(؟)

مكتوب على باب المصري الذي هو باب السور الجوّاني من غرب : (انه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، أن لا تعلوا عليّ ، وأتوني مسلمين) فيه إشارة إلى أن بانيه السلطان سليمان ، وأنه يجب على كل داخـل إلى الحرم الشريف النبوي أن يتواضع .

أبواب الحرم الشريف خمسة — كما تقدم — فعلى باب السلام من الجـــانبين أسماء سلاطين آل عثمان إلى عبد العزيز ، لأن البنـــاء تمّ في زمنه ، وآية : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة) إلى آخرهـــا . وسطر ثالث بقصيدة

أولها : (رسول الله اني مستجير) ، وهذا كله في جدران القبة الخارجة عن صرعتي الباب ، وعلى الصرعة التي على يمين الداخل [٥٨] مكتوب آية : (إن المتقين في جنات وعيون) ، وعلى الصرعة التي على يسار الداخل : (ادخلوها بسلام آمنين) ، ففي كل واحدة إشارة بليغة .

وعلى باب الرحمة من خارجه آية : (قل يا عبـــادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم) ، ومن داخله آية : (إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، وعلى الصرعة التي على يمين الداخل : (يا مفتح الأبواب) ، وعلى الثانية : (افتح لنا خير الباب) .

وعلى باب التوسل الذي أحدثه السلطان عبد المجيد في البناء الأخير آية : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) .

باب النساء : مكتوب على خارجه : (واذكرن ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً) ، ومن داخـــله آية : (ومن يقنت منكنّ لله ورسوله ، وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مَرّتـين ، وأعتدنا لها رزقاً كريماً) .

باب جبريل – عليه السلام – : مكتوب على خارجه : (فإن الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين) وعلى داخله بيت – لسان حال عن الحبيب الأعظم ، ﷺ –:

وخُطّ في بابنا ما شئت من ثقل
وكلّ أمر يُرى صعباً يهون بنا

وفي الباب الذي بالدرابزان الصفر من شرقي المحراب النبوي مكتوب من الجهة القبلية حديث: « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي[1] » وفي

(١) هذا الحديث اتفق الحفاظ على ضعفه

الجهة الشامية مما يوالي الروضة المطهرة حديث : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » . وعلى الباب الذي من غربي المحراب الشريف النبوي من جهة القبلة حديث : « شفاعتي يوم القيامة حقٌّ ، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها » ومن داخله حديث : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » وعلى الباب الشرقي الملاصق للمحراب السليماني الذي من غربي المنبر الشريف مكتوب[٥٩]حديث : « من زار قبري وجبت له شفاعتي »[١] وعلى الباب الملاصق للمحراب المذكور في الجهة الغربية حديث : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . وفي البابين المذكورين من الجهة الشامية : (لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) كما في شبابيك المواجهة الشريفة النبوية زادها الله شرفاً .

ومن أعلى الشبابيك التي بالمواجهة تحت الستاير الأطلس الكبار على ألواح من الخشب مكتوب بماء الذهب .

وقفنا على أعتاب فضلك سيدي لتقبيل تُرْبٍ حَبَّذا ذاك من تُرْبِ
وقمنا تجاه الوجه نرجو شفاعةً إلى الله في محو الإساءة والذنبِ

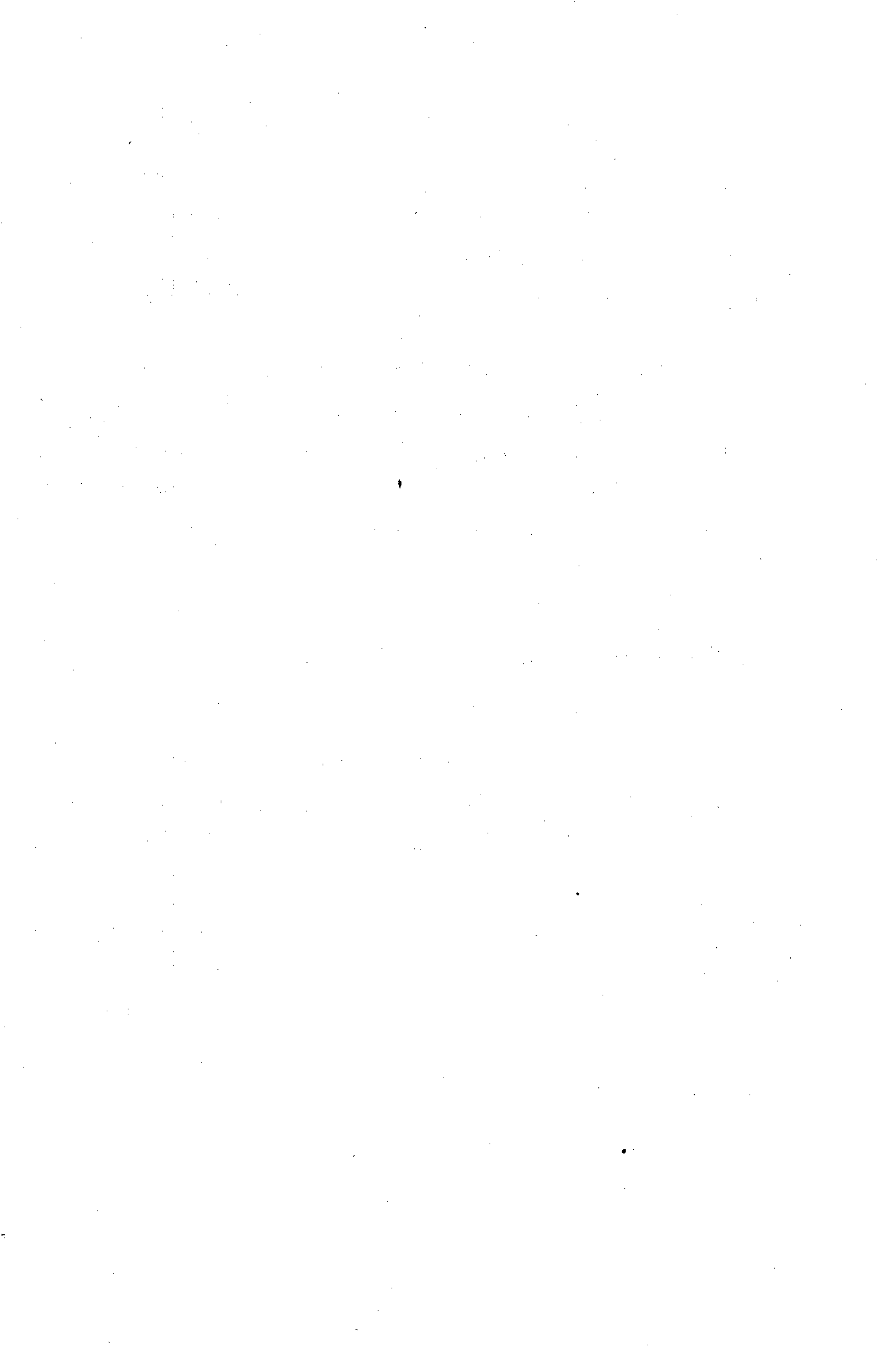
* * *

وهذا ما منَّ الله تعالى علينا بجمعه وتسطيره ، فنسأل الله تعالى من فضله أن يمنَّ علينا وعلى المسلمين بالعفو والعافية والموت على الإيمان ، ويرحم من وجد خللاً في نسختي هذه فصححه وذكرني بخير والحمد لله رب العالمين .

كان الفراغ منها في صبح يوم السبت المبارك الموافق لواحد وعشرين خلت من جمادى الآخرة عام ثلاث وثلاثمائة بعد الألف من هجرة صاحب العزّ والشرف ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وشرَّف وكرَّم ، ومجد وعظم ، آمين .

---

(١) هذا الحديث غير صحيح عن المحققين من العلماء .



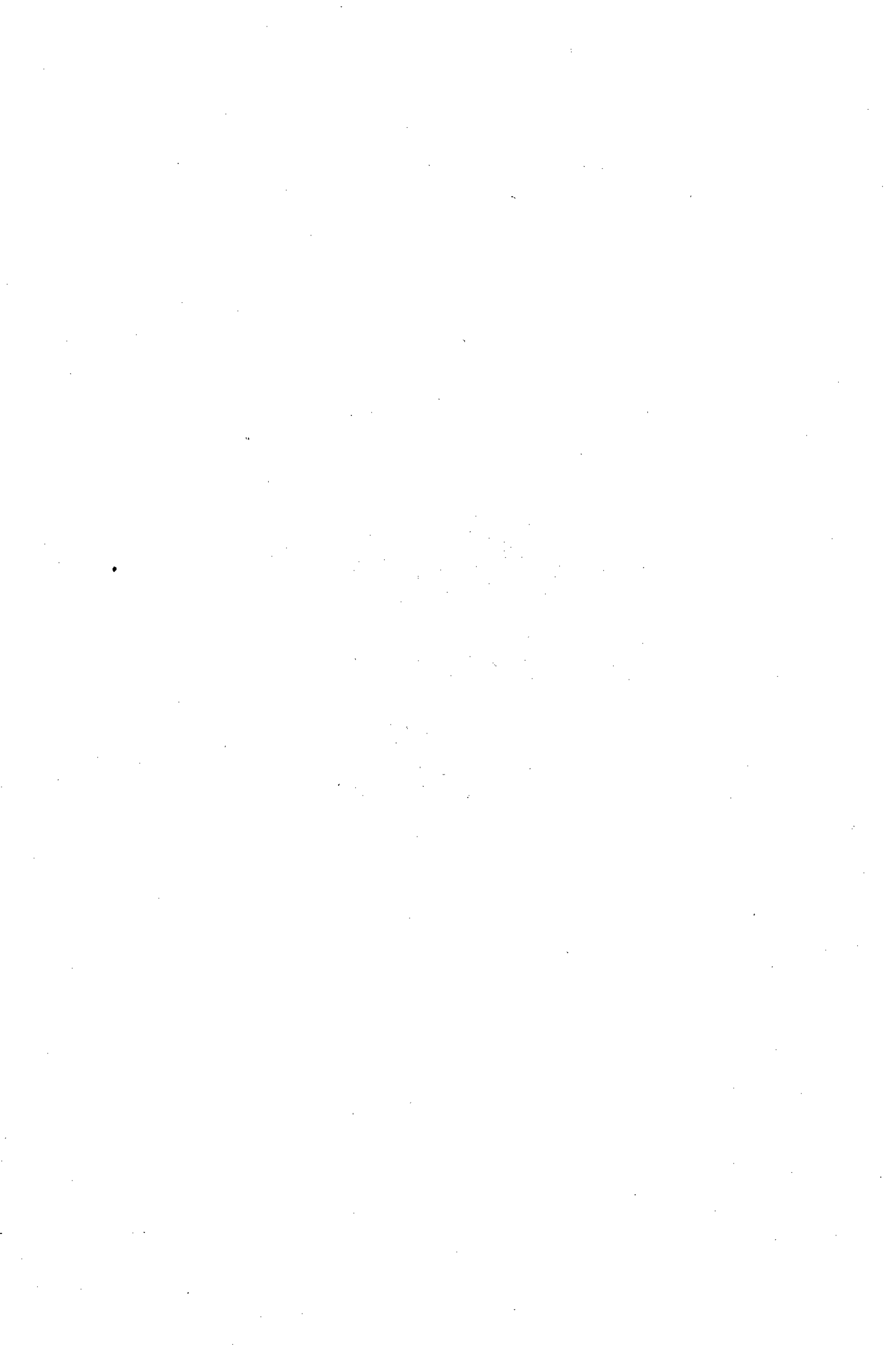
(٢)

كتاب التحفة اللطيفة

في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة

تأليف

محمد بن خضر الرومي الحنفي



(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، محمد وآله وصحبه والتابعين، أما بعد فهذه نبذة لطيفة، ونخبة شريفة،تتضمن ماوقع من العماير الشريفة بسور المدينة والمسجد الشريف والمنارة السنية ، وذلك أنه لما أنهي إلى مولانا السلطان الأعظم ، والخاقان الأكرم صاحب السيف والقلم، والبند والعلم،ظل الله في الأرضين ، قهرمان الما والطين،قامع الكفرة والمبتدعة والمشركين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، حصنة الله في الأرض ، القايم بالسنة والفرض ، خادم الحرمين الشريفين ، والمحلين المنيفين، سلطان الغرب والعراقين والشرق واليمن، والروم والحجاز وعدن ، سلطان الإسلام والمسلمين،السلطان ابن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان أبو ... خان السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم شاه بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان بايزيد خان نصره الله تعالى نصراً عزيزاً مؤيداً، وفتح له فتحاً مبيناً مسدداً بجاه سيد أهل الدنيا والآخرة[١]،أن سور المدينة قد تهدم أعاليه وأشرف الباقي على السقوط بمعاليه،وأن أهل المدينة المنورة يحصل لهم بخراب السور ضرر كثير من العربان، وفساد عظيم على طول الزمان، وأنهم قد رفعوا شكواهم،وبثوا (٣) نجواهم إلى مولانا السلطان الأعظم خلد الله دولته، فحينئذ برز الأمر العالي،من مولانا السلطان الأعظم المشار إليه أعز الله نصرته إلى وزيره المقام العالي ذي العز المتعالي،مدبر الممالك الإسلامية كافل الأقطار المصرية والحجازية

---

(١) هذا دعاء مبتدع .

آصف عصره، ولقمان دهره، حضرة سليمان باشا أعز الله تعالى مقامه وأدام أيامه، بأن يتقدم المقام العالي بتجهيز المال من الخزانة الشريفة بالقاهرة المحروسة، لعمارة سور المدينة المنورة، وتجهيز ما يحتاج إلى ذلك من الدواب والعدد والمعلمين البنايين والحمارين وغيرهم، وتجهيز ما يحتاج ذلك من الغلال بالسمع والطاعة، وشمر على ساق الجد والاجتهاد، لما يعود نفعه لأشرف البلاد، وجهز الأموال الشريفة صحبة الجناب العالي الزيني محمود جلبي كاتب جدة المعمورة كان، وعينه أمينا على العمارة الشريفة، وجعل الناظر على العمارة الجناب العالي السيد أحمد الرفاعي شيخ الحرم الشريف النبوي، وجهزت الجمال والبهايم نحو مائة جمل ومايه بهم صحبة أمير الحج الركب المصري، وجهزت الغلال من القمح والشعير والفول من البحر على ظاهر المراكب الشريفة إلى أن وصلت إلى الينبوع، وكان وصول ذلك كله في غرة سنة تسع وثلاثين وتسعماية، وكان المهندس على العمارة المذكورة المعلم علي بن الصياد، والمعلم عبد القادر القليوبي، وكان جملة البنايين والحجارين والنحاتين والعتالين والنجارين والطوابين والحمالين والترابين أكثر من ثلاثماية نفراً من غير الفعلة وتوابعهم وكان (٤) وكان في خدمة العمارة الشريفة من المماليك السلطانية نحو خمسون (؟) نفراً، منها أرباب الخيل نحو خمسة وعشرين نفراً والباقون رماة بالبندق والقوس، ثم إنهم شرعوا في هدم سور المدينة المنورة، فأول ما هدم باب سويقة غربي المدينة المسمى بباب المصري، ثم هدم أعالي الجدار الغربي من السور من الباب الصغير الشامي إلى باب سويقة المذكورة، ثم من باب سويقة إلى الركن القبلي، وطول ذلك سبعماية ذراع وأربعة عشر ذراعاً بذراع العمل، وإنما لم يهدم إلى أساسه، لأن الجدار المذكور جدده الملك الأشرف قايتباي وبناه بالحجر إلى أعالي العقود التي من خلفه من داخل المدينة المنورة وبنا أعاليه باللبن، فهدموا اللبن المذكور وعرضوه بالآجر، ورمموا ما احتاج فيه إلى الترميم. ثم إنهم هدموا الباب الصغير الشامي والباب الكبير الشامي، وشرعوا في بناء الباب المصري

بالأحجار المنحوتة بعد أن حفر له لذلك أساس جيد، ثم إن بعض المهندسين ذكر للناظر أن الحجر المنحوتة يذهب عليه مال عظيم ، فأمرهم ببناء الباب الصغير الشامي بالحجر الغشيم ، فلما أن كمل بناء الباب المصري والباب الشامي بالحجر الغشيم أمرهم ببناء الباب الشامي الكبير بالحجر المنحوت ، ثم بعد مدة يسيرة بعد الشروع في البنا حصل بين الناظر السيد الرفاعي المذكور وبين محمود جلبي الأمير المذكور شنآن عظيم ، ثم انتقل محمود جلبي المذكور إلى رحمة الله تعالى في سابع عشر رمضان (٥) المعظم قدره سنة تسع بتقديم التا وثلاثين وتسعماية ودفن ببقيع الغرقد ، ثم ان الناظر المذكور باشر على العمارة الشريفة بنفسه خصوصاً الباب الشامي الكبير والصغير ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في عشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وتسعماية توجه غالب المعمارية إلى الحج إلى بيت الله الحرام ، واستمرت العمارة بطالة ، وكان من قضاء الله وقدره أن مولانا الباشا المذكور عين عوض الزيني محمود جلبي المذكور بسبب مكاتبات السيد الرفاعي فيه أميناً على العمارة الشريفة وكاتب الأمين هو الجناب الزيني مصطفى جلبي أحد سباهين[1] الدولة العادلة العثمانية ، والكاتب هو الزيني نصوح أحد الأعيان من العساكر العثمانية بالطور ، ووصل صحبتهم أيضاً مهندس على العمارة كلها من طايفة الأروام يسمى مصطفى خليفة ، فوصلوا جميعاً من البحر إلى المدينة المنورة عن صفر الخير سنة اربعين وتسعماية ، ولما وصل إلى مولانا الباشا المذكور خبر وفاة السيد الرفاعي شيخ الحرم الشريف ، برز أمره الكريم الزيني إلى مصطفى جلبي الأمير المذكور ، بأن يضبط معلقات شيخ الحرم الشريف ، ويباشر المنصب المنيف ، إلى أن يرد من الأبواب الشريفة الخنذكارية ما يعتمد عليه ، فاستمر الزيني مصطفى جلبي المذكور مع الكاتب نصوح والمباشر المذكور والمهندس المذكور بخدمته سور المدينة المنورة ، فشرع في هدم الجدار القبلي منه إلى الاساس لكنه لم ينقض أساسه ، وبناه بالحجر إلى أعاليه . (٦) وجعل عليه الشراريف

---

(١) أي الفرسان

الموجودة الآن ، واستمر في بناء الجدار القبلي ، ثم ان الزيني نصوح الكاتب المذكور انتقل إلى رحمة الله تعالى في سلخ ذي الحجة الحرام سنة أربعين وتسعماية ، ثم وصل في العام المذكور من البحر إلى مكة المشرفة مولاي المقر الكريم العالي المولوي الذخري عين الأماثل والآوان فخر الأماجد والأعيان المتحصن بعناية الملك المعبود الزيني محمود جلبي وهو متوليا لمشيخة الحرم الشريف ، وناظر على العمارة السلطانية . فوصل إلى المدينة المنورة غرة سنة احد وأربعين وتسعماية ، وباشر خدمة الحجرة الشريفة ، وقام بالنظر على العمارة المنيفة كما ينبغي ، واستمر المهندس مصطفى خليفة المذكور قايما بهندسة البناء المذكور ، من الركن الغربي من جهة القبلة إلى الباب الشرقي باب بقيع الغرقد وطول ذلك سبعماية ذراع بذراع العمل . ثم انتقل المهندس المذكور إلى رحمة الله تعالى ، وكان لما وصل بالبنا إلى مشهد السيد اسماعيل أدخل بعض البنا داخل المدينة المنورة من غير أساس تحته ، فبعد وفاته هدمه أمين العمارة الزيني مصطفى جلبي المذكور مع المهندس علي بن الصياد المذكور قايما ببناء باب البقيع أتم قيام بعد أن وصلوا بأساسه إلى الماء ، وشرعوا بهدم سور المدينة المنورة من باب البقيع من الجهة الشامية إلى أن وصلوا بالهدم إلى الباب الشامي الكبير ونقض جميع أساسه ، وبنى على هذه الهيئة الموجودة عليه الآن مع زيادة الإحكام والإتقان ، ثم قصر النفقة على العمارة ، واقتضى الحال إلى أن توجه الأمين مصطفى المذكور للقاهرة المحروسة من البر (٧) صحبة القاصد ، فوصل إلى القاهرة المحروسة فوجد مولانا الباشا سليمان المذكور قد أعيد اليها ، وكان قد صرف خسرو باشا ، ثم إن الباشا سليمان دفع للامين المذكور ما تحتاج اليه العمارة الشريفة من الأموال ، وأمر نائب جدة المعمورة بأن يدفع له جميع ما يحتاج إليه من الأموال ، وجهز من البحر غلالاً كثيرة ، وعين صحبته كاتباً على العمارة الشريفة وهو الجناب العالي الزيني رمضان جلبي ، ووصلا جميعاً إلى المدينة المنورة سنة أربع وأربعين وتسعماية ، ووصل أيضاً

في هذا العام من البحر عسكراً معيناً(؟) بسبب الإقامة بالقلعة التي بالمدينة المنورة، وهو نحو ستون(؟) نفراً رماة بالبنادق، وجعل عليهم (باش) ويسمى (دزدار) فوصلوا إلى المدينة المنورة في أوسط سنة أربع وأربعين وتسعماية، واستمروا مقيمين بالمدينة المنورة، وكانت القلعة حينئذ لم يشرع في بنائها، ثم إن الأمين مصطفى جلبي المذكور أتم باقي السور وباب البقيع وهدم القلعة القديمة وكانت مبنية على هيئة القاعة من غير أبراج، ثم إن الأمين المذكور غيرها وأحكم بناها وشيد أبراجها وأحدث لها جداراً وباباً من داخل المدينة المنورة، وجعل البنا محيطاً بها، وجعل بيوتاً للعسكر في داخلها، وجعل بيتاً لنايب القلعة على الجبل الذي هناك في محل القلعة، وذرع داير القلعة من الباب الشامي الكبير إلى الباب الصغير خمسماية وثمانية عشر ذراعاً وذرع الجدار الشرقي لها من داخل المدينة المنورة ماية واحد وستون ذراعاً وذلك بذراع العمل، واستمر في بناء ذلك وتكميل ما بقى من سور المدينة المنورة إلى أن تم جميع ذلك (٨) في النصف من شهر شعبان المعظم قدره سنة ست وأربعين وتسعماية، فكان مدة الإقامة بالبنا بسور المدينة سبع سنوات ونصف سنة بما في ذلك من تخلل البطالات المذكورة، وفي هذا التاريخ تم بنا جميع سور المدينة المذكور بما فيه الأبواب والأبراج من التجاويف نحو أربعين[1] الف ذراعاً، وبدون التجاويف المذكورة ثلاثة آلاف وأربعماية واثنين وثمانين ذراعاً بذراع العمل، وفي آخر الشهر المذكور توجه كل من الأمين مصطفى المذكور والزيني رمضان جلبي الكاتب المذكور إلى الأبواب العالية، وسمعت من الأمين المذكور ان المصروف بسبب بنا السور المذكور على من تقدم ذكرهم من العسكر والبنايين وغيرهم من الغلال كالقمح والشعير والفول نحو خمسة عشر ألف إردبا، والمصروف من الذهب السليماني الجديد الوازن نحو ماية ألف ديناراً.

وكان المقر العالي ذو الخصايل الحميدة والآراء السعيدة الزيني محمود جلبي شيخ الحرم الشريف النبوي وناظره أعزه الله تعالى وأدام أيامه، توجه إلى الأبواب العالية

(١) الصواب أربعة آلاف كما في « الجواهر الثمينة ».

السلطانية ، فكان مما عرضه على مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم ، احتياج المسجد الشريف النبوي إلى بنا وترميم بجدرانه ، وهدم المنارة المسماة بالسنجارية وغير ذلك من المشاهد والآثار ، فبرز الأمر الشريف العالي ببنا ذلك ، فجهز مولانا المقام العالي ذي المجد المتمالي من الجمال والدواب والبنايين والحجارين والنحاتين ، وجهز من البحر ما يحتاج اليه من الفلال وجهز من البحر (٩) أيضاً الأهلة المجهزة من الأبواب الشريفة برسم القبة المنيفة ، فوصل إلى المدينة الشريفة ،روضع الهلال على القبة الشريفة في تاسع عشر شوال المبارك سنة ست وأربعين وتسعماية ، وهو الموجود على القبة الشريفة الآن ، وهو من نحاس مطلي بالذهب ، وأرسل أيضاً بخمسة أهلة لكل منارة هلال ، وللمنبر الشريف هلال أيضاً ، ووضع ذلك عليهم .

ويقال ان المصروف على طلاء الأهلة من الذهب السليماني المسكوك ألف وثمانماية دينارا ذهباً .

وفي ذي الحجة الحرام سنة ست وأربعين وتسعماية وصلت الجمال والبهايم المذكورة صحبة الأمين الذي عين للعمارة الشريفة ،وهو الجناب العالي الزيني حسن أحد المماليك السلطانية وعدتها ماية جمل وخمسون بهيما ، ووصل من البر المعلمين المذكورين(؟)وفي أوايل ربيع الثاني سنة سبع وأربعين وتسعماية وصل الكاتب على العمارة ، وهو الزيني عبدي جلبي ، والمباشر على ذلك وهو تاج الدين الخضيري ، وصحبتهم الغلال الشريفة من القمح والشعير والفول ، ثم إن أمين العمارة المذكور ورد بالمراسيم الشريفة التي من مضمونها:أن ما يحتاج اليه المسجد الشريف من العمارة يعمر ، والنظر في جميع ذلك جزئيه وكليه لمولانا المقر العالي شيخ الحرم الشريف المذكور ، فجمع مولانا شيخ الحرم الشريف السادة القضاة ، والأمين المذكور ، والمهندس على العمارة المذكورة وهو المعلم علي بن تبك ، ومن حضر من البنايين الواردين الى المدينة المنورة والمقيمين بها ،فكشفوا على المسجد الشريف النبوي ، فكان مما رآه المهندس والبنايين في ذلك ان بعض جدار المسجد الغربي مع باب الرحمة محتاج الى الهدم والإعادة ، وأن

الباقي (١٠) من الجـــدار الغربي مع الجدار الشرقي محتاج الى الترميم بهدم بعض أسافله وترك العلو على حاله ، وان باب النسا محتـاج إلى تقويته بأبراج خلفه من خارج المسجد ، وأن المنارة السنجارية التي هي في الركن الشامي من جهة الشرق تحتاج الى هدمها كلها ، فاقتضى الحال الشروع في الهدم والبنا ، فأول ما بنى باب الرحمة ، ورمم الجدار الذي يليه غربي المسجد النبوي ، وكان مايلاً من جهة المنارة الخشبية التي هي في الركن الشامي غربي المسجد النبوي ليرى هل الميل في النزايه(؟)أم لا، ثم هدمت المنارة المذكورة ونقض أساسها ، وزيد في الحفر على الأساس القديم إلى أن وصل الماء ، بحيث ان الماء تزايد على المعلمين حتى نقلوه بالقرب ، فلما رأوا أيضاً نقـــله بالقرب لا يفيد ، جعلوا ثلاثة دواوير كبار من الخشب السمر ، ووضعوها في الماء ، وبنوا على الأخشاب ، إلى أن علا البنا على الأخشاب قدر قامة ، ثم حفروا تحت الدواوير حتى نزلت بما عليها من البنا إلى أصل الأرض الطيبة ، ثم أزيل الماء المجتمع في جوف الدواوير ، ودك وسطها بالحجر ، فالمونة الطيبة الجيدة، وكان عمق أساسها ثلاثة عشر ذراعاً بذراع العمل وعرضه سبعـــة أذرع في سبعة أذرع ، وبنيت بالحجر المنحوت ، ثم لما وصل البناء الى وجه الأرض ، اختصر من عرضها ذراع ،وبنيت على التربيع إلى أن تعلت على سطوح المسجد مُثمّنَت ، وفي أثناء ذلـــك هدم ما يحتاج من الهدم من الجـــدار الشرقي جدار المسجد الشريف النبوي ورمم ، ولم يهدم شيء من أعاليه وإنما نقض بعض أسافله من خارج المسجد، وبني أيضاً باب النسا وجعل له برجين عظيمين تقوية ، وكتب التاريخ على كل من البابين باب الرحمة وباب النسا باسم مولانا السلطان (١١) السلطان الأعظم نصره الله تعالى وأدام أيامه ، واستمرت العمارة في المنارة الشريفة .

ثم في غرة محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعماية توجـــه مولانا المقر الكريم العالي محمود جلبي شيخ الحرم الشريف المذكور إلى الأبواب العالية

صحبة الحج المصري لعرض أحوال أهل المدينة المنورة وما هم عليه من الآذاء والشدة بسبب تأخير إرسال قمح الدشيشة وغيره ، كتب الله تعالى سلامته وأنجح مقاصده آمين .

ثم بيض داخل المسجد الشريف النبوي واسطواناته مما كان محتاجاً إلى التبييض ، فجيء على حاله وكتب التاريخ أيضاً باسم مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى في جدار المسجد الشريف من جهة الغربي في الخشب المسقوف برفوف عليه ، كما جعل للملك الأشرف قايتباي في الجدار القبلي والشرقي .

وكانوا في أواخر سنة سبع وأربعين وتسعماية ورد صحبة أمير الحاج المصري مراسيم شريفة من مضمونها تجديد محراب الحنفية وتقديمه ليحاذي محراب الشافعية ، وتقديم القاضي الحنفي على القاضي الشافعي في جميع الأمور من الجلوس والمصالح والأنظار وغير ذلك .

وفي سابع عشر محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعماية شرع في بناية محراب الحنفية وجعله محله بين المنبر وحد المسجد النبوي محاذياً لمحراب الشافعية ، وحصل من بعض الشافعية بسبب ذلك كلمات سامحهم الله في ذلك ، ولا شك أن الإمامين منزهين(؟)من ذلك ، نسأل الله العظيم أن يوفقنا لاتباعهم في العلم والعمل بحق [1] محمد وآله وصحبه أجمعين .

وفي ليلة مولد النبي ﷺ ثاني عشر ربيع الاول (١٢) تقدم إمام الحنيفة وصلى في المحراب المذكور ، وجعل من الروضة المشرفة إلى حد المسجد النبوي درابزين من الخشب أمام محراب الحنفية ،وجعل مقابل الروضة المطهرة درابزين عاليه تمنع ضرر المار لكيلا يقطع الصف ، ثم مد الوتر الخشب الذي يوضع عليه القناديل الصغار في الليالي الشريفة فزيد فيه من الروضة المطهرة إلى حد المسجد النبوي وكان أولاً إلى حد الروضة المطهرة فقط وكان متعلقاً إلى جهة المنبر الشريف .

تم ذلك بحمد الله وعونه والحمد لله .

---

(١) الدعاء بحق فلان بدعة .



تاليف

علي بن عبد الله الحسني السمهودي



(١) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع لعباده تعظيم أهل وداده ، وجعل الغاية من ذلك لحبيبه وصفيّه بانفراده ، المبعوث من خير بلاده ، المفضل مثواه في معاشه ومَعاده ، أحمده ان جعل تربته الشريفة أسمى البقاع ، وفضّلها على عامة الأرض بالإجماع ، ولله در القائل :

جَزَمَ الجميع بأنّ خير الأرض ما قد حاطَ ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأواها

صلى الله على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحابته صلاة دائمة يضوع عَرْفها بتربته ، ويضيء عُرْفها لقلوب أمته ، وسَلّم وشرّف وعظّم ، وبعد : فيقول العبد الذليل الواثق بجود الجليل علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي السمهودي ، نزيل الحبيبة المُحبّة ، سقاه الله كاسات المحبة ، لما نزلتُ طابة بجوار من شرف الله جنابه ، تولّع خاطري ، وولع ناظري ، بالوقوف على أخبار دار الهجرة الشريفة ، والروضة المنيفة ، والحجرة المؤسسة الحاوية القبور المقدسة ، فرأيت أمراً قضيت منه عجباً ، وملأ القلب لهباً ، وذلك أن عامة تواريخ المدينة الشريفة التي وقفت [٢] عليها تواطأت على أن المسجد الشريف النبوي لما احترق سنة اربع وخمسين وستمائة سقط من سقفه ما كان على أعلى الحجرة المقدسة فوقع على سقف بيت النبي ﷺ فوقعا جميعاً على القبور المقدسة ، ثم لما ابتدأوا بالعمارة قصدوا إزالة ما وقع على القبور المقدسة فلم يجسروا على ذلك وتركوه على ما هو عليه ، كما سيأتي الإشارة اليه ، ثم كاتبوا الخليفة في هذا الأمر فلم يرد منه جواب لاشتغاله بأمر التتار ، ثم قتل عقيب ذلك ، وطوي بساط الخلافة بعده من هنالك ، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، فتأملت في ذلك مدة مديدة ، سائلاً من الله تعالى أن يمنحني توفيقه وتسديده ، فظهر لي ان بقاء ما سقط من الهدم بذلك المحلّ العظيم ،

من الخطأ الجسيم ، وأنه خلاف الصواب ، وما تشهد به السُّنّة والكتاب ، مع منافاته لما مضى عليه السلف من ذوي الألباب ، فنبَّهتُ على ذلك في كتابي الموسوم بـ « دفع التعرُّض والانكار» لبسط روضة المختار» وبسطت القول في ذلك بعض البسط ، فاستخرت الله تعالى في إيراد ذلك مع ما حضرني من الزيادات بتأليف ، راجياً من الله تعالى أن يكون سبباً في تنظيف ذلك المحل الشريف ، ورتبته على ثلاثة أبواب وخاتمة ، سائلاً من الله تعالى حسن الخاتمة.

الباب الأول

فيما ذكره المؤرخون في سبب الحريق المذكور وكيفيته وما اتفق بسببه [٣] وبيان عدم إزالة ما أصاب المحل الجليل المقدار ، وما أبدوه في ذلك من الأعذار ، وذكر إعادة سقف المسجد وكيفية ما حصل على ما يحاذي الحجرة الشريفة ، والطابق الذي يتوصل منه اليها بالقبة المنيفة ، وغير ذلك مما يتعلق بها .

الباب الثاني

في بيان وجوب إزالة ما أصاب ذلك المحل المقدس بالدليل الواضح ، والاستشهاد عليه بفعل السلف الصالح ، والكلام على حياة الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم في قبورهم .

الباب الثالث

في بيان حال جماعة سكان المدينة الشريفة في ذلك الزمان ، وما خصَّت به تلك الجماعة لجرمها من ظهور النيران ، التي لم يسمع بمثلها ، ليبطل التمسك بفعلها ، وبسط ما اتفق ببغداد ليظهر عذر أهلها .

الخاتمة

في أمور أخرى يتعين التنبيه عليها تتعلق بالمسجد الشريف ، ومُصلى العيد المنيف ، وسميته «الوفا بما يجب لحضرة المصطفى» صلى الله وسلم عليه ، وجعله سبباً لاتخاذ اليد البيضاء لديه .

الباب الاول

اعلم وفقني الله وإياك أنّ من أرّخ بعد حريق المسجد الشريف كالعلّامة جمال الدين المطري والعلامة بدر الدين بن فرحون والعلامة زين الدين المراغي والعلامة مجد الدين الشيرازي وغيرهم قد قالوا — وبعضهم يزيد على بعض في اللفظ دون المعنى الذي نحن بصدده ، وقد جمعتُ بين أطراف كلامهم :
احترق المسجد الشريف النبوي[٤]ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وستمائة في أول الليل ، وكان ابتداء حرقه من زاويتـه الغربية من الشمال ، وسبب ذلك كما ذكره أكثرهم ان أبا بكر بن أوحـد الفرّاش أحد القوّام بالمسجد الشريف دخل إلى حاصل المسجد هناك ومعه نار فغفل عنها إلى أن علقت في بعض الآلات التي كانت في الحاصل وأعجزه طفيها ثم احترق الفرّاش المذكور والحاصل وجميع ما فيه وقد ألف العلامة القطب القسطلاني في ذلك وفي النار العظيمة التي ظهرت بالمدينة الشريفة في ذلـك كتابا سمّاه «عروة التوثيق في النار والحريق»ذكر فيه بدائع من حكم الله تعالى في حدوث ذلك ونبّه فيه على ما يوافق ما قدمناه عن المؤرخين في سبب الحريق فقال :
كتب إليّ الصادق في الخبر ، وشافهني من شاهد الأثر ، أن السبب في حريق المسجد الشريف دخول أحد قَوَمة المسجد في المخزن الذي في الجانب الغربي من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، فاستخرج منها مـا احتاج اليه ثم ترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مشاق فاشتعل فيه ، وبادر لأن يطفيه ، فغلبه وعلق بحصر وبسط وأقفاص وقصب كان في المخزن ، ثم تزايد الالتهاب وتضاعف إلى أن علا إلى سقف المسجد . انتهى كلامه .

وذكر الحافظ الذهبي في «العبر» ان حرقه كان من مسرجة القوّام ثم دبّت النار في السقف بسرعة آخذة قبلة[٥] وأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة فلم يقدروا على قطعها ، وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد الشريف واحترق جميعه حتى لم يبق خشبة واحدة . قال القطب القسطلاني : وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر الشريف النبوي والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق ، وما اشتملت عليه من كتب ، وكسوة الحجرة وكان عليها أحد عشر ستارة . ثم ذكر القطب لذلك حكماً كثيرة وأسراراً عظيمة .
قالوا : ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني وعدّة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت بعد الثلاثمائة وهي باقية إلى اليوم ، وذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد وبركة المصحف الشريف العثماني ، ثم بقيت سواري المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الريح تتمايل ، وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ، ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة المقدسة على سقف بيت النبي ﷺ فوقعا جميعاً في الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة وبقي على حاله.
وعبارة الذهبي : فوقع بعض سقف الحجرة وكل ذلك قبل أن ينام الناس. واتفقوا كلهم على ان ما سقط باق على حاله ، وقد روينا ذلك بالاسناد عنهم وأولهم المطري ،وقد أدرك جماعة ممن أدرك[٦] الحريق وآخرهم الشيخ زين الدين المراغي ، وقد أدركت جماعة ممن أدركه وروى عنه منهم ولده الشيخ الإمام محدّث الحرم الشريف أبو الفرج ، وقد ذكروا كلهم انه لم يتفق بعد ما ذكره الشيخ زين الدين وغيره تعرُّض لذلك إلى يومنا هذا .
قال المؤرخون : وأصبح الناس يوم الجمعة فعزلوا موضعاً للصلاة وكتب بذلك للخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور فبعث الصنّاع والآلات مع الموسم ، وابتدى في العمارة سنة خمس وخمسين وستمائة .

قال المطري وغيره : فلما شرعوا في العمارة قصدوا إزالة ما وقع من ذلك على القبور المقدسة فلم يجسر أحد على ذلك ، واتفق رأي الأمـــير منيف بن شيحة الحسيني أمير المدينة الشريفة مع أكابر اهل الحرم من المجاورين والخدام أن يطالع الأميرُ المستعصمَ بذلك ليفعل ما يراه ففعلوا وانتظروا الجواب فلم يصل اليهم جواب لاشتغال الخليفة وأهل دولته بأمر التتـار واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة فتركوه على ما كان عليه ، ولم ينزل أحد اليه .

وعبارة الشيخ جمال الدين المطري : فتركوا الردم على مـا كان عليه ولم ينزل أحد هناك ولم يتعرّضوا له ولا حرّكوه .

وعبارة العلامة مجد الدين الشيرازي : فتركوا الردم على ما كان عليه ولم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التي دون مرامها تزلُّ الأقـــدام ، ولا يتأتى من كل أحد بادىء بدء الدخول فيه والإقدام، غير[٧]انهم عمروا سقفاً فوق ذلك على رؤوس السواري التي حول الحجرة الشريفـــة وأوصلوا ذلك بتسقيف مـــا حوله إلى الحائط الشرقي وباب جبريل المعروف قديماً بباب عثمان ، وإلى الحائط القبلي والمنبر الشريف من جهـة الروضة ، وكان الحائط المخمّس الذي بناه عمر بن عبد العزيز دائر الحجرة الشريفة بين سواري المسجد التي عمروا السقف عليها لم يبلغ بـــه السقف الأعلى يعني سقف المسجد بل جعله دون السقف بمقدار أربعـــة أذرع وأدار عليه شبّاكاً من خشب على دوران الحائط ليتصل بسقف المسجد فأعادوا ذلك الشبّاك من الحـــائط المذكور الى السقف .

قال العلامة مجد الدين وغيره : وهذا الشباك ظاهر لمن تـــأمله من تحت الكسوة التي على الحائط المذكور على دوران الحائط جميعه ، وكل ذلك في سنة خمس وخمسين ، ثم كانت وقعة التتار ودخولهم بغداد وقتل الخليفة المستعصم في محرّم سنة ست وخمسين على ما سيأتي بسطه ، ثم وصلت الآلات من مصر فعمروا بها ، وكان المتولي عليها الملك المنصور نور الدين ابن الملك المعزّ ايبك

الصالحي. ووصل أيضاً من الملك المظفر شمس الدين يوسف صاحب اليمن آلات وأخشاب فعملوا إلى باب السلام المعروف قديماً بباب مروان بن الحكم . ثم عزل صاحب مصر المذكور في ذي القعدة سنة سبع وخمسين واستقر الملك المظفر سيف الدين قطز المعزّي ثم قتل قبل استكمال [٨] سنة ، وكان العمل في المسجد في تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديماً بباب عاتكة ابنة عبد الله [١] .

ثم تولى مصر والشام في سنة ثمان وخمسين الملك الظاهر ركن الدين الصالحي البندقداري فحصل منه اهتمام بتمام عمارة الحرم في سنة اثنين وستين فجهّز الأخشاب والحديد والرصاص ، ومن الصنّاع ثلاثة وخمسين صانعاً وما يمونهم وأنفق عليهم قبل سفرهم وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي وغيره ، ثم صار يمدّهم بما يحتاجون اليه من الآلات والنفقات ، فعمل ما بقي من سطح المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالي المسجد إلى باب النساء المعروف قديماً بباب ريطة ابنة أبي العباس السفاح ، وكمل سقف المسجد على ما كان عليه قبل الحريق وهو سقف فوق سقف ولم يزل على ذلك الى أوائل دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي رحمه الله ، فجدد السقف الشرقي والغربي في سنتي خمس وست وسبعماية وجعلا سقفاً واحداً بنسبة السقف الشمالي فإنه جعل في عمارة الظاهر كذلك . وفي سنة تسع وعشرين وسبعماية أمر السلطان الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين من مؤخر السقف القبلي فاتسع سقفه بها وعم نفعها ، ثم حصل فيها خلل فجددها الملك الأشرف برسباي في [٩] ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثمان مائة على يد مقبل القديدي من مال جوالي قبرس على ما أخبرني به بعض مشايخ الحرم ، ورأيته مكتوبا كذلك بالرخامة التي بظاهر العقود من السقف القبلي مما يلي رحبة المسجد الشريف وهو سقف واحد ، وجدّد أيضاً شيئاً من السقف الشامي مما يلي المنارة السنجارية ، ثم حصل خلل في سقف الروضة الشريفة في دولة الملك

---

(١) بياض بمقدار كلمتين .

الظاهر جقمق فجدد ذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمـــان ماية وقبلها على يد الأمير بُرْد بك التاجي المعمار وغيره .

وأما القبة التي على الحجرة الشريفـة فعملت في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وهي مربّعة من أسفلها ، مثمّنة من أعلاها بأخشاب أقيمت وسُمّر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح الرصاص ، ولم يكن قبل ذلك على الحجرة الشريفة قبة لا قبـل حريق المسجد ولا بعده بل كان حول حجرة النبي ﷺ في السقف حظيراً مقدار نصف قامة مبنياً بالآجر تمييزاً للحجرة الشريفة ، ولما عملت القبة المذكورة جعلوا مكان الحظير المذكور شبّاكاً من خشب وتحته أيضاً بـين السقفين ألواح قد سُمّر بعضها الى بعض ، وسمّر عليها ثوب مشمع ، وفيها طابق مقفل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي ﷺ وبين الحايز الذي بناه عمر بن [١٠] عبدالعزيز وذلك على منوال الطابق الذي كان قبل الحريق ، وقد جددت القبة المذكورة في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فـاختلت الألواح الرصاص عن وضعها فخشوا من كثرة الأمطار ، فجددت وأُحكمت في أيام الملك الأشرف شعبان ابن حسين بن محمد في سنة خمس وستين وسبعمائة .

وفي كلام الاقشهري في «روضته» ما يقتضي ان بين جدار بيت النبي ﷺ وبين جدار عمر بن عبد العزيز جدار آخر فإنه نقل عن أبي غسان انه قال : سمعتُ غير واحد من أهل العلم يزعم ان عمر بنى البيت غير بنائه الذي كان عليه ، وسمعتُ من يقول : بنى على بيت النبي ﷺ فدور القبر ثلاثة أجدر : جدار بنـــاء بيت النبي ﷺ وجدار البيت الذي يزعم انه بنى عليه وجدار الحظار الظاهر ، انتهى . وهو خلاف ما صرح به المؤرخون قالوا : وإنما جعل عمر بن عبد العزيز بنيان الحائط المذكور على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد استقبال القبر الشريف بالصلاة لتحذيره ﷺ من ذلك . قال أبو غسان: وإنما جعله مزوراً كراهة أن يشبه الكعبة فيكون مربعاً وأن يتخذ قبلة

وهو بناء عجيب لا يكاد يتأتى تصويره لاختلاف مقادير زواياه وانحرافها .
وأما تأزيره بالرخام فحدث في خلافة المتوكل امر اسحق بن[١١]سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله أن يؤزر بالرخام ففعل . ثم في خلافة المقتفي سنة ثمان وأربعين وخمسماية جدده الجواد جمال الدين وزير بني زنكي وجعل الرخام قامة وبسطة ، وهو اليوم كذلك .

وأما الدرابزين الخشب الدائر على الحجرة الشريفة حول الجدار المذكور فأحدثه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك انه لما حج سنة سبع وستين وستمائة أراد ذلك فقاس ما حول الحجرة بيده وقدّره بحبال وحملها معه وعمل الدرابزين وأرسله في سنة ثمان وستين وأداره عليها وعمل ثلاثة أبواب : قبلياً وشرقياً وغربياً ، ونصبه بين الأساطين التي تلي الحجرة الشريفة إلا من ناحية الشام ، فإنه زاد فيه إلى متهجّد النبي ﷺ . ثم أحدث للمقصورة المذكورة باب رابع من جهة الشمال في رحبة المسجد وبأعلاه سقف لطيف له رفرف يحيط به بارز في الرحبة وذلك عند زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما . وقد أحدث على هذا الباب وأمامه من جهة رحبة المسجد سقف لطيف أيضاً نحو ستة أذرع وهو دون سقف المسجد ، وجعل له رفرف يمنع الشمس ، وبسط تحته الرخام الملوّن نسبة الرخام الذي داخل الدرابزين المذكور حول حايز عمر بن عبد العزيز بالأرض ، وذلك في دولة الملك الظاهر جقمق على يد الأمير برد بك التاجي المعمار سنة[١٢]ثلاث وخمسين وثمانماية.
وأما الـ داخل الدرابزين الحايز المذكور
من نبه علي اول حدوثه .

قال المراغي : اعلم ان الذي عمله الملك الظاهر من الدرابزين نحو القامتين، فلما كان في سنة أربع وتسعين وستماية زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائراً عليه ورفعه حتى وصله بسقف المسجد الشريف ؛ انتهى . وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة ، وأبوابها بأبواب الحجرة ، وما يعلق بسقفها من القناديل الذهب وغيره بقناديل الحجرة .

وفي كلام ابن فرحون ما يقتضي انه عمل الى جانب هذه الدرابزين مقصورة في الجهة الغربية ثم أزيلت ، ولفظه : وقد تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة عملت وقاية من الشمس إذا غربت فكانت بدعة وضلالة يصلي فيها الشيعة لأنها قطعت الصفوف ، واتسمت بمن ذكر من الصنوف ، وندم على ذلك واضعها ، ولقد كنت أسمع بعضهم يقف على بابها ويؤذن بأعلى صوته « حيَّ على خير العمل . وكانت مواطن تدريسهم وخلوة علمائهم ، حتى قيض الله لها من سعى فيها فأصبحت ليلة متخلعة أبوابها ، مقوّضة أخشابها ، متصلة صفوفها ، وأدخل بعضها في الحجرة الشريفة ،يعني ما اشتمل عليه الدرابزين المذكور ، وجعل فيها الباب الشامي ، وكان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك[١٣] الناصر ، انتهى.

وهذه المقصورة كانت فيما يلي أسطوانة الوفود ، وفي طرف الرواقين المتقدم ذكرهما مما يلي الحجرة الشريفة كما ذكره لي بعض أشياخ المدينة نقلا عمن أدركه ، ولا ذكر لهذه المقصورة في كلام أحد ممن وقفت عليه من المؤرخين سوى ما قدّمته عن ابن فرحون .

وقد اقتصر العلامة المطري في وصف الدرابزين المذكور على ما فعله الملك الظاهر أنّ ما فعله تعظيما للحجرة الشريفة ، فحجر طائفة من الروضة المقدسة مما يلي بيت النبي ﷺ ومنع الصلاة فيها مع ما ثبت من فضلها وفضل الصلاة فيها ، فلو عكس ما حجره وجعله خلف بيت النبي ﷺ من الناحية الشرقية وألصق الدرابزين بالحجرة مما يلي الروضة لكان أخفّ ، إذ الناحية الشرقية ليست من الروضة ولا من المسجد المشار اليه ، بل مما زيد في المسجد في أيام الوليد .

قال : ولم يبلغني ان أحداً من أهل العلم والصلاح ممن حضر ولا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك أو تفطن له وألقى له بالاً ، وهذا من أهم ما ينظر فيه ، انتهى .

وقال العلامة مجد الدين الشيرازي - عقب فنقل ذلك - : والذي ذكره موجّه غير ان أحد الأبواب مفتوح دائماً لمن قصد الدخول والزيارة، فيمكن من أراد الصلاة الدخول والوقوف مع الصف الأول في الروضة . ولا يخفى ان في تقريب الدرابزين [١٤] من الحجرة إخراجاً للبناء عن وضعه اللائق أيضاً فيه تضييق عظيم على الزائرين لا سيما عند زحام الموسم، فانه مع هذا الاتساع يختنق المكان بالخلق ، فكيف لو ضُيّق بحيث يتصل الدرابزين بجدار الحجرة لا يقال انه كان يتسع من جهة الشرق للزائرين لأن الناس إنما يقصدون هذه الجهة لكون الرأس الشريف هناك ، وليكون الابتداء بالتسليم على النبي ﷺ دون أن يتخطوا الشيخين رضي الله عنهما ، فتأمل ذلك فانه صحيح ، وهذه الكيفية لا مزيد عليها في الحسن ولم يتعطل شيء من الروضة بسبب ذلك بل بسبب كسل المصلين ، وقد رأيت جماعة من الخدام يصلون داخل الدرابزين في أيام الجمعات ، انتهى .

قلت : وما ذكره صحيح بالنسبة إلى زمنه ، فإن الباب المذكور كان مفتوحاً في سائر الأوقات ، لكن حدث بعد ذلك غلق الأبواب كلها دائماً بحيث لا يصل أحد من عامة الناس إلى الدخول لا لزيارة ولا لصلاة سوى بعض الخدام والفراشين عند الإسراج فقط ، وبعض من يزورون من ذوي الجاه ، وتحقق بسبب ذلك تعطيل تلك البقعة ، والسبب في ذلك ان قاضي القضاة بالشام نجم الدين ابن حجي لما حج رأى ازدحام الناس بذلك المحل قيل: ورؤي شيء من الخرق الملوثة بالنجاسة ملقاة هناك ، فأفتى بغلق تلك الأبواب كلها وأمر به ، ورأى ان [١٥] ذلك تعظيما ، وخالفه في ذلك شيخ الاسلام الحافظ ولي الدين العراقي على ما نقله عنه لي شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر شرف الدين المناوي قدّس الله روحه ، فأفتى بفتحها . وأخبرني شيخ المحدثين بالحرم الشريف النبوي ناصر الدين أبو الفرج ابن الشيخ زين الدين المراغي وغيره ان حج قاضي القضاة ابن حجي كان في سنة اثنين وعشرين وثمانماية

وانه أفتى بذلك لما ورد المدينة الشريفة صحبة الحاج الشامي ذاهباً إلى مكة المشرفة ، وكان شيخ الاسلام ولي الدين العراقي قد حج في تلك السنة أيضاً ، فلما قدم المدينة صحبة الحاج المصري سُئِل عن ذلك فأفتى بالفتح ، وأنه لما أفتى به استمر ، وكان خدام الحرم الشريف يميلون لذلك ويقصدونه ، فلما رجع قاضي القضاة نجم الدين صحبة الحاج الشامي بلغه ذلك فتناول شيخ الإسلام العراقي بكلمات ، ثم استمر الفتح إلى أن ولي قاضي القضاة نجم الدين المشار اليه ديوان الانشاءات استنجز مراسيم السلطان بالأمر بالغلق سنة ثمان وعشرين على ما أخبرني به شيخ المحدثين المذكور فاستمر ذلك الى اليوم،وكان شيخنا شرف الدين المشار اليه يصوّب ما أفتى به شيخه شيخ الاسلام وليالدين المشار اليه ويقول: لا شك ان ذلك المحل من المسجد ،فإن كان وجود النجاسة فيه مقتضياً لتعطيله وصيانته بالغلق فليغلقالمسجد[١٦]بأجمعه ، فإن الحكم في كله واحد من حيث وجوب صونهعن النجاسة ، وأما الموضع الذي يقرب من المحل الشريف فعلى تقدير اختصاصه بمزيد فقد حصل صيانته بما بناه عمر بن عبد العزيز من الحايز ، مع أن السنة أن يقف الزائر على نحو أربعة أذرع من المحلّ الشريف، وقد قالوا: ان بين الحايز المذكور وبين الحجرة الشريفة فضاء وللحايز المذكور عرض أيضاً ، وربما قيل ان بينهما جدار آخر .

قلت : ووقوع النجاسة هناك في غاية الندور فانا بحمد الله تعالى عدة سنين بالمسجد الشريف فلم نرَ فيه شيئاً من ذلك لا في الموسم ولا في غيره ، بل هو معظم مصان غاية الصيانة ، مع انه قد ورد ان الكلاب كانت تقبل وتدبر في مسجده ﷺ ولم يقتض ذلك تعطيله بالغلق في شيء من الأوقات ، فالواجب فتح هذه الأبواب أو بعضها وتمكين الزائرين والمصلين من تلك البقعة ، وهذا ظاهر متعين والله أعلم [١] .

اعلم وفقني الله وإياك انه لما وقفتعلى ما تضمنه كلامهم السابقفي أمرحريق المسجد وترك ما سقط من الهدم على ذلك المحل المنيف وبقائه إلى يومنا هذا

(١) هنا بياض بمقدار نصف سطر .

كاد أن ينفطر قلبي ويطير لبي لما وقع من التقصير الجسيم، بعدم تنظيف ذلك المحل العظيم، الذي أوجب الله تعالى تعظيمه ، وتوقيره وتكريمـــه ، وجعله أشرف الأماكن [١٧] كما ان ساكنه أشرف ساكن، باجماع هذه الأمة، كما نقله الأئمة ، كالقاضي عياض وابن عساكر ، وحققه السبكي وغـيره كما ذكرناه في الأصل وستأتي الإشارة اليــــه ، حتى صرح ابن عساكر وغيره بتفضيله على الكعبة الشريفة .

وعبارة العلامة تاج الدين الفاكهاني في كتابه «البدر المنير» قالوا: لا خلاف ان البقعة التي ضمت أعضاء النبي ﷺ أفضل بقاع الأرض على الاطلاق حتى موضع الكعبة المعظمة . ثم قال : وأقول أنا ، وأفضل بقاع السموات أيضاً ولم أرَ من تعرض لذلك ، والذي أعتقده ان ذلك لو عرض على علماء الأمــة لم يختلفوا فيه ، وقد جاء ان السموات تشرفت بمواطيء قدميه ، صلى الله عليه وسلم ، بل لو قــال قائل ان جميع بقاع الأرض أفضل من بقاع السماء لشرفها بكون النبي ﷺ حالاً فيها لم يبعد ، بل هو عندي الظاهر المتعين ، انتهى. قلت : وما بحثه في تفضيل الأرض على السماء مصرح به .

قال العلامة ابن العماد في كتابه «كشف الأسرار» : وأما تفضيل السماء على الأرض فقد اختلفوا فيه . قال الشيخ جلال الدين إمام الفاضلية : والأكثرون على تفضيل الأرض لأن الأنبياء خُلِقوا منها وعبدوا الله فيها ودُفِنوا فيها . وقد روى أبو هريرة مرفوعاً: ان غلظ كل أرض سبعماية [١٨] سنة وان غلظ كل سماء خمسماية سنة ، رواه أحمد في المسند ، انتهى .

فمن فضّل الأرض على السماء لا يشك في تفضيل تلك البقعــة الشريفة على السماء ، ومن خالف في ذلك فالظاهر انه يستثني تلك البقعة سيما إذا قلنا بمــا قاله ابن عبد السلام من ان الأمــاكن والأزمان متساوية من حيث ذاتهــا وإنما يفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما . قال : ويرجع التفضيل إلى ما ينيل الله العباد منهما من كرمه ، انتهى .

فقبر رسول الله ﷺ ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله تعالى من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه ، وليس ذلك لمكان غيره كما قال السبكي ، قال : وكيف لا يكون أفضل وان لم يكن محل عمل لنا لأنه ليس مسجداً لإله حكم المسجد بل هو مستحق للنبي ﷺ ، وأيضاً فالأعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي ﷺ حيّ وأعماله مضاعفة أكثر من كل أحد قال السبكي : ومن فهم هذا الشرح لما ذكره القاضي من التفصيل باعتبارين ، أحدهما : ما قيل ان كل أحد يدفن بالموضع الذي خلق منه . والثاني : تنزل الرحمة والبركات عليه وإقبال الله ، ولو سلم ان الفضل ليس المكان ذاته ولكن لأجل ما حل فيه ﷺ ، انتهى .

قلت : ولك أن تستدل على ذلك أيضاً بأن القبر الشريف أفضل من رياض الجنة كما أتى [١٩] وقد قال ﷺ : « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها » . والله أعلم .

وبالجملة فأنا لا أشك في وجوب إزالة ما أصاب ذلك المحلّ الشريف من الهدم ، ولعمري اني أودّ لو أزلته بجفوني ، ونظفته بماء عيوني ، بل بسويداء قلبي العليل ، ولكن ليس إلى ذلك سبيل ، وكيف وقد أوجب الله تعالى علينا المبالغة في تعظيمه ﷺ وتوقيره ، كما جاءت به الآيات الناصّة ، العامّة والخاصّة ، قال الله تعالى : (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه) ، قال أئمة المفسرين : تعزّروه : بجّلوه وبالغوا في تعظيمه وانصروه واعينوه . وقال تعالى : (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له) ، وقال تعالى : (ومن يعظّم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ، والنبي ﷺ أعظم شعائر الله ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) الآية . وقال تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) الآية . وقد صرحت الآيات أيضاً بإلزام الأنبياء قاطبة التعظيم له ﷺ جملة وتفصيلاً .

وجاء في حديث ذكر الشيخ مجد الدين الشيرازي ان إسناده على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما : أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم: يا عيسى بن مريم آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن[٢٠]يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقتُ آدم ولولا محمد ما خلقتُ الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماءفاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول اللهفسكن[1]. ووجوب المبالغة في تعظيمه ﷺ وتوقيره غني عن البيـان ، لم يختلف فيه قط اثنان ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم أعظم الناس في هذا الباب والفائزين بقصب السبق فيه من بين سائر ذوي الألباب . وفي الحديث الصحيح ان عروة بن مسعود لما رجع في عام القضية إلى قريش وقد رأى حال الصحابـة في تعظيم رسول الله ﷺ قال : يا معشر قريش ، اني قـد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه . والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصَر ، وأشهر من أن تذكر ، وما أشرت اليه لا ينكر ، وقد ذكر ان أبا أيوب الأنصاري أنزل النبي ﷺ في سفـل داره أولاً ثم سأله في الصعود استعظاماً له ، فقال ﷺ : « في السفل أرفق بنا وبمن يغشانا » ، فقال : لا والله لا أمشي فوقك أبداً ، قيل : إنما سأله ذلك لما انكسر الحُب فتقاطر الماء عليه ، فسأله فصعد حينئذ ؛ والحُـب ، بضم الحاء المهملة : الخابية .

وعبارة الحافظ ابن النجار: كان ﷺ قد نزل في سفل بيت أبي أيوب وذكر ابو أيوب انه أمسى بعمد (؟)فوق رأس النبي [٢١] ﷺ فلم يزل ساهراً حتى أصبح فأتاه فقال : يا رسول الله اني أخشى أن أكون ظلمت نفسي إن أمسيت فوق رأسك ، فقال ﷺ : « السفل أرفق بنا وبمن يغشانا » ، فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه حتى انتقل الى العلوّ ، انتهى .

وقد درج السلف والخلف على ذلك فأوجبوا للنبي ﷺ التعظيم البالغ الذي لا مرمى وراءه ولا غاية بعده حتى قال بعض العلماء : من قال ان زمن رسول

---

(١) هذا الحديث لا يصح عند محققي العلماء .

الله ﷺ وسخ وأراد به عيبه قتل من غير استتابة . وقد أفتى علماء الأندلس بقتل من سمّاه في مناظرته يتيما وختن حيدرة،وقال العلماء انه يجب من الأدب معه ﷺ بعد وفاته كل ما يجب معه قبلها.وقال أبو ابراهيم اسحاق التجيبى: واجب على كل مؤمن ذكر النبي ﷺ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه . قال القاضي عياض عقب ذلك : وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين . وذكر ابن بشكوال ان مالكاً كان لا يستعمل مستملياً ،فلما كثر الناس عليه قيل له : لو جعلت مستملياً يسمع الناس فقـــال : قال الله تعالى (يا أيها الناس الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فـوق صوت النبي) والنبي ﷺحرمته واحدة حياً أو ميتاً،أي فترك رفع الصوت[٢٢]بالحديث لكونه كان بحضرته ﷺ .

قال القاضي عياض : كان مالـــك إذا ذكر عنده النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى ذلك(؟)على جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون ، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراءلا يكاد تسأله عن حديث أبداً الابكى حتى ترحمه ولقدكنت أرى جعفر ابن محمد وكان كثير الدعابة والتبسّم فاذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر ولقد كان عبدالرحمن لما يذكر النبي ﷺ عنده انسان فينظر إلى لونه كأنه ينزف منه الدم وقد جف هيبة لرسول الله ﷺ ولقد كنت آتي صفوان وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي ﷺ فلا يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه ويتركونه وفي «شعب الإيمان» للبيهقي عن مالك، وكنا ندخل على أيوب السختياني فاذا ذكر له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه فهذا حال العلماء رحمهم الله تعالى في الادب والتعظيم لرسول الله ﷺ قالوا ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته ومعاهده وما لمسه ﷺ بشيء منجسده وقد افتى الامام مالك رحمه الله فيمن قال: تربة المدينة

ردية[٢٣] بان يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر، وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه، تربة دفن فيها ﷺ يزعم انها غير طيبة ؟!.

وروى القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ﷺ ان أمير المؤمنين ابا جعفر المنصور ناظر مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله أدب قوماً فقال :

(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية ومدح قوماً فقال (ان الذين يغضون أصواتهم) الآية وذم قوماً فقال (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية وان حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال :

يا أبا عبدالله استقبل القبلة وادعو ؟! ام استقبل رسول الله ﷺ فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك تعالى قال الله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) الآية انتهى. واظن العلامة مجد الدين الشيرازي اخذ من هذا قوله: ولانه رأى من كان بالمسجد الشريف القبر المقدس في صلاة ولا في غيرها من الاحوال ويلتهم الادب شريعة وحقيقة [٢٤] في الاقوال والافعال وقد ذكر ابن السبكي في ترجمة الامام الخبوشاني ان القاضي الفاضل وزير السلطان دخل يوماً لزيارة الشافعي رضي الله عنه فوجد الشيخ يعني الخبوشاني يلقي الدرس على شيء ضيق فجلس على طرف وجنبه إلى القبر فصاح الشيخ قم، قم ظهرك إلى الامام!! فقال الفاضل: ان كنت مستدبره بقالبي فانا مستقبله بقلبي فصاح فيه اخرى وقال ما تعبد(؟) يا هذا فخرج الفاضل مدهوشاً. فاذا كان ذلك فعله بالنسبة إلى قبر الشافعي فما ذاك لقبر سيد المرسلين ولهذا أجد في قلبي حرارة عظيمة من الصلاة على بعض الأموات بالروضة الشريفة مع جعل رجلي الميت في تلك الجهة المنيفة وقد بسطت القول في ذلك في الاصل وسنشير إليه في الخاتمة وبالجملة فتعظيمه ﷺ وتعظيم قبره الشريف

من الامور المعلومة في الدين بالضرورة لكن قد يضن من لا تحقق عنده ان دخول ذلك المحل الشريف لازالة ما قدمناه ليس من الادب وذلك خطأ لأن المبادرة لإزالة ذلك من تمام الادب والاحترام الواجب له ﷺ علينا وهو لا يتأتى الا بالدخول فالدخول المذكور واجب اذ ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب.

ومن خالف في وجوب إزالة ذلك يخشى عليه الوقوع في الكفر[٢٥] لاخلاله بتعظيمه ﷺ ولعمري لو تهدم جدار على قبر صديق لانسان لرأى ان من الوفاء بحقه اماطة ذلك من على قبره وهذا لا يرتاب فيه أحد فكيف بقبر سيد الخلايق الذي هو مقدم في الحب على النفيس والوالد والولد والمال، ولولاه ما برحنا في ظلمات الضلال ، بل لم يكن لنا وجود بحال ، ثم لو كان الدخول سوء أدب لما طلب أبو بكر الصدّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهما وهما أفضل هذه الأمة فيها، عند رسول الله ﷺ ولما مكنهما من ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وهم الهداة المهديون لقوله ﷺ : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » [1] هذا مع انه ليس في الدفن هناك مصلحة تعود على المحل الشريف بل في ذلك إزعاج له بحفر التراب بالمساحي وإهالته بها ثانياً ، وأيضاً فلو كان الدخول لإزالة ما ذكر سوء أدب لما فعله عمر بن عبد العزيز مع جلالة قدره ولم ينكره عليه أحد ، ثم تلاه في ذلك غيره من السلف ولم ينكر ذلك عليهم في زمن من الأزمان بل مدحوا به ؛ فأما واقعة عمر بن عبد العزيز فهي ما ذكره العلامة ابن زبالة في تاريخه وهو من أقدم التواريخ ، لأنه ذكر فيه انه وضع في سنة تسع وتسعين[٢٦] ومائة من الهجرة ، وتبعه ابن النجار في «الدرة الثمينة» وابن عساكر في «التحفة» ونقل ذلك ان جدار الحجرة الشريفة التي تلي موضع الجنائز– يعني جهة المشرق – سقط في زمن عمر بن عبد العزيز، وظهرت القبور المقدسة . قالوا : فما رؤي بكاء أكثر من ذلك اليوم ، فأمر بقباطي فخيطت ثم ستر بها ، وأمر ابن وَرْدان أنْ يكشف عن الأساس ، فبينما هو يكشف إذ رفع يده وتنحّى واجماً ، فقام عمر بن عبد العزيز فزعاً ، فرأى

(١) الحديث ضعيف عند المحدثين .

قدمين ورأى الأساس وعليها الشعر ، فقال له عبد الله بن عبيد الله بن عمر وكان حاضراً: لا يرعك فيها قدما جدك- أي لأمّ-عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضاق البيت عنه فحفروا له في الأساس ، فقال عمر : يا ابن وردان غَطّ ما رأيت ، ففعل ، وأمر أبا حفصة مولى عائشة وناساً معه فبنوا الجدار ثم لما فرغوا من الجدار ورفعوه ودخل مزاحم مولى عمر من كوة جعلت فيه فقمّ ما سقط على القبر من الطين والتراب ونزع القباطي ، فكان عمر يتمنى أن لو كان تولى ذلك. وفي رواية انه قال:لأن أكون وليت ما ولي مزاحم من قمّ القبور أحب إلي من ان يكون لي من الدنيا كذا وكذا ، وذكر مرغوباً من الدنيا .

وذكر ابن عساكر بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما سقط عنهم [٢٧] الحائط في زمان الوليد أخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي ﷺ ، فما وجدوا أحدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : والله ما هي قدم النبي ﷺ ما هي إلا قدم عمر .

قلت : وهذه رواية البخاري في صحيحه . وذكر القصة أيضاً الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه كما في «العتبية» مستدلاً بها على وجوب تعظيم النبي ﷺ وحفظه ، ولفظ «العتبية»:قال مالك : انهدم حائط بيت رسول الله ﷺ الذي فيه قبره ، فخرج عمر بن عبد العزيز واجتمعت رجالات قريش فأمر عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم أمر مزاحماً أن يدخل ليخرج ما كان فيه ، فدخل فقمّ ما فيه من لبن أو طين وأصلح في القبر شيئاً كان أصابه حين انهدم الحائط ثم خرج وستر القبر ثم بنى ، انتهى كلام مالك رحمه الله .

قلت : وقد استفدنا من كلامه ان إزالة ما انهدم كان قبل البناء وهو الظاهر لما فيه من الوفاء لما يجب البدار له من إزالة ذلك من المحل المقدس وما قدمناه من كلام ابن زبالة يقتضي انه بعد البناء ، ويجمع بينهما بأن ذلك فعل مرتين،فالأولى هي إزالة ما أصاب ذلك المحل الشريف بسبب انهدام الجدار وهي التي اقتصر على ذكرها مالك رحمه الله ، والثانية هي [٢٨] إزالة ما نشأ عن

البناء من تراب وغيره ليقع الاحتياط في تنظيف المحل الشريف وهي التي اقتصر عليها ابن زبالة .

وقال العلامة ابن رشد في «جامع بيانه» في الكلام على عبارة الإمام مالك السابقة : إنما ستر عمر القبر إكراماً له وخشي لما رأى الناس قد اجتمعوا أن يدخلوا البيت فيتزاحموا على القبر فيؤذوه بالوطء لتزاحمهم عليه رغبة في التبرك به ، فأمر مزاحماً مولاه بالانفراد بالدخول فيه وقمّه وإصلاح ما انثلم فيه بانهدام الحائط عليه ، وإنما ستر القبر عن الناس وبنى عليه صيانة له مخافة أن ينقل ترابه ليستشفى به ، أو يتخذ مسجداً يصلى فيه ، انتهى .

وأما ما وقع من ذلك بعد عمر بن عبد العزيز فهو ما ذكره الحافظ ابن النجار ونقله عنه من بعده من المؤرخين من ان في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمع من داخل الحجرة المشرفة هدّة ، فكان الوالي يومئذ بالمدينة المشرفة قاسم ابن مهنا الحسيني ، قال : وكان يفهم العلم فذكر له ذلك فقال : ينزل شخص من أهل الدين والصلاح فلم يجدوا يومئذ أمثل حالاً من الشيخ عمر النشتي[1] شيخ شيوخ الصوفية بالموصل ، وكان مجاوراً بالمدينة الشريفة فكلموه في ذلك عن الأمير ، فاعتذر بمرض كان يحتاج معه الى الوضوء في غالب الوقت فألزمه الأمير قاسم بالدخول فقال : أمهلوني حتى أروّض نفسي [٢٩] فيقال انه امتنع عن الأكل والشرب مدة وسأل الله تعالى إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر ويخرج ، فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المتقدم وصفه في الباب الأول فنزل بين حائط بيت النبي ﷺ وبين الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز ومعه شمعة ليستضيء بها ، ومشى إلى باب البيت ودخل من الباب إلى القبور المقدسة ،فرأى شيئاً من الردم إمّا من السقف أو من الحيطان فأزاله وكسح ما عليها بلحيته ، وكان مليح الشيبة ، وأمسك الله عنه المرض بقدر ما دخل وخرج وعاد اليه وجعه . انتهى .

قلت : هذه عبارة الناقلين عن الحافظ ابن النجار كالعلامة زين الدين

---

(١) كذا وفي « وفاء » :النساني وفي « الدرة »لابن النجار : النساي

المراغي ، والذي رأيته أنا في نسخ ابن النجار من تاريخه المذكور ما لفظه : ثم انهم أنزلوه بالحبال من الخوخة التي بسقف المسجد الى الحضير الذي بناه عمر ودخل منه الى الحجرة ومعه شمعة يستضيء بها، فرأى شيئاً من طين السقف قد وقع على القبور فأزاله وكنس التراب بلحيته، وقيل انه كان مليح الشيبة فأمسك عنه الداء بقدر ما خرج من الموضع وعاد اليه ، وهذا ما سمعتـــه من أفواه جماعة والله أعلم بحقيقة الحال ، انتهى لفظه بحروفه ، ولم يذكر : مشياً إلى باب البيت، فكلامه محتمل لأن يكون النزول من أعلى الحايز إلى وسط الحجرة [٣٠] ومنه إلى جوفها فيندفع الإشكال الآتي عن العلامة زين الدين المذكور ولا شك ان سقوط هدم السقف المتولد من الحريق ليس مثل سماع تلك الهدة بل أعظم وأفظع ، ومع ذلك لم يتركوا الأمر فيها هملا مــــع نسبة الأمر بالكشف عن أمرها إلى فهم العلم، ولعمري لولا ذلك لما تيقظ لذلك ، والموجب للاهمال في هذه القضية العظيمة إنما هو تقدم أهل الجهل من الروافض كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في الباب الثالث والله أعلم .

وذكر الحافظ ابن النجار أيضاً انه في سنة اربع وخمسين وخمسمائة في أيام الأمير قاسم المذكور وجد من داخل الحجرة الشريفة رائحة متغيرة فذكروا ذلك للأمير فأمرهم بالنزول وتعيين من يصلح ، فأنزل الطـــواشي بيان أحد خدّام الحجرة الشريفة ونزل معه الصفي الموصلي متولي عمـارة المسجد ونزل معهما هرون الشادي الصوفي بعد أن سأل الأمير في ذلك وراجعه وبذل له جملة من المال، فوجدوا هرّاً قد سقط من الشباك الذي في أعلى الحايز ووقـــع بين الحايز وبين بيت النبي ﷺ وجيف ، فأخرجوه وطيّبوا مكانه ، وكان نزولهم يوم السبت حادي ربيع الآخر ، ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هـــذا لم ينزل أحد هناك . هذا ما نقله المؤرخون عن ابن النجار ؛ والذي رأيته في نسخته : فلما نزلوا وجدوا هرّاً قد هبط [٣١] ومات وجاف فـــأخرجوه وكان في الحايز بين الحجرة والمسجد ، أي الفضاء الذي أدخل من بين الحجرة والحايز،

ثم قال : ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحد إلى هنالك ، فاعلم ذلك ، انتهى كلام ابن النجار . وذلك كله قبل حرق المسجد لما تقدم من ان الحريق كان في سنة أربع وخمسين وستمائة ولم يدرك ذلك ابن النجار لأن وفاته كانت قبل ذلك في شهر شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، فلذلك لم يتعرض له في تاريخه .

ووكّد الاقشهري في كتابه « الروضة الفردوسية » ومن خطه نقلت ما لفظه : أخبرنا الشيخ الراوية أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الشاطبي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله القضاعي الحافظ قال : حدثنا صاحبنا الرحالة أبو عمر أحمد بن محمد هرون بن عاث النفري قال : حدثت بالمدينة المشرفة أو قال: بمدينة السلام بأنهم سمعوا منذ سنين قريباً من الأربعين هدّة في الروضة الشريفة فكتب في ذلك الى الخليفة فاستشار الفقهاء فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد ، فاختاروا لذلك بدر الضعيف وهو شيخ فاضل يقوم الليل ويصوم النهار وهو من فتيان بني العباس فدلي حتى دخل الروضة أي الحجرة الشريفة، فوجد الحائط الغربي قد سقط،وهو حائط دون الحائط الظاهر [٣٢] فصنع له لبن من تراب المسجد فبناه وأعاده على هيئته كما كان، ووجد هناك قعباً من خشب قد أصابه وقوع الحائط فكسره فحمل الى بغداد مع شيء من تراب الحائط ، وكان يوم وصوله ذلك بغداد يوماً مشهوداً تجمع لاستقباله الناس وازدحموا على رؤيته وعطلت الصناعات والبيع وكان رحلة ابن عاث(؟) سنة ثلاث عشرة وستماية وقد قال: قريباً من أربعين سنة ، فيكون ذلك سنة سبع وخمسمائة أو ما دون ذلك ، هكذا ذكره في رحلته ومنها نقلته ، انتهى كلام الاقشهري ، وهو كالنص الصريح فيما نحن بصدده غير اني لم أجده في كلام غيره وهو يقتضي وقوع النزول للحجرة الشريفة بعد ما ذكره ابن النجار الى زمنهم .

وقال العلامة زين الدين المراغي وغيره من متأخري مؤرخي المدينة: انه لم يقع نزول أحد هناك بعد ما ذكره ابن النجار .

قلت : وقد أدركنا من أدركهم فذكروا لنا انه لم يتفق نزول أحد هناك بعد ذلك إلى يومنا هذا والله أعلم .

وقد نظر العلامة زين الدين المذكور فيما نقل من الدخـــول الى الحجرة المقدسة والوصول إلى القبور الشريفة بأن عائشة رضي الله عنها كانت قد بنت حائطاً بينها وبين القبور المقدسة بعد دفن عمر رضي الله عنه ، وقالت : إنما كان أبي وزوجي . وتحفظت [٣٣] في لباسها الى أن بنت الحائط المذكور ، وبقيت في بقية البيت من جهة الشام وفيها باب البيت كما نقله أهل السير ،فإن كان الحائط المذكور باقياً تعذر الاستطراق إلى القبور المقدسة إلا أن يجيء نقل بإزالته وبإمكان الاستطراق معه من باب أو نحوه .

قلت : وجواب هذا النظر التزام إمكان الاستطراق معما ذكر من موضع آخر وهو الخوخة التي كانت في غربي بيت عائشة رضي الله عنها ، وقد ورد انه ﷺ كان يخرج منها إلى الصلاة ، انتهى .

فما أحق بعناية التعظيم والتكريم ما احتوى على جسده العظيم الكريم صلى الله وسلم عليه وزاده فضلاً وشرفاً لديه ،وقد كنت أسمع شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر شرف الدين المناوي قدّس الله روحه يقول: ان بعض الفقهاء ذكر له ان القطب هو المتولي لقمّ الحجرة الشريفة ، وقد وجدت عند تذكر هذا القول انطفاء بعض من ذكر ذلك لعيب نسيت هذا الأمر ، لكن الذي أعتقده انه يجب على وليّ الأمر أيده الله تعالى وهداه لذلك أن يـــدع بعض من يتحقق خيريته يكشف عن هذا الأمر ، فإن ما قدمنا عن حكاية شيخ الاسلام رحمه الله تعالى لا يسقط هذا الأمر المتيقن لعدم تحقيقه ، وبالكشف يتحقق الحال وتظهر الوقائع ، وذلك كان فيه إظهار معجزة [٣٤] للنبي ﷺ ، فإن وجد شيئاً من ذلك فإنّ ولي الأمر أولى بالقيام بهذا الأمر العظيم ، وكان له بذلك اليد البيضاء عند سيد المرسلين ﷺ ، وذلك يعلم بمجرد الوصول من الطـابق المتقدم وصفه الى ما بين الحجرة الشريفة وحائط عمر بن عبد العزيز انشقاق

فإن كان ضروري الإصلاح كما ذكره بعض أهل الخبرة لما يخشى منه فقد سهلت الطريق في إزالة ذلك وإخراجه ، وإن لم يكن ذلك ضروريا فإن سهل إخراج ذلك من الطابق المتقدم وصفه أخرج منه ، وإلا فليوضع ذلك في الموضع الذي كانت عائشة رضي الله عنها جعلته لنفسها من الحجرة الشريفة وابتنته ، فأحالت بينها وبين القبور الشريفة بعد دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك فيما بين الحجرة الشريفة وحايز عمر بن عبد العزيز من جهة الشام ، فإن بينهما فضاء كما ذكره المؤرخون .

وذكر ابن زبالة ان بين بناء عمر بن عبد العزيز وبين بيت النبي ﷺ مما يلي الشرق ذراعان ، ومما يي الغرب ذراع ، ومما يلي القبلة شبر ، ومما يلي الشام فضاء كله ، وقال : وفي الفضاء الذي يلي الشام مركن مكسور ومكتل أيضاً يقال ان البنائين نسوه ، انتهى .

وإنما قلنا بوضع ذلك بالموضع المذكور حيث لم يسهل إخراجه من الطابق المتقدم وصفه حرصاً على [٣٥] عدم الهدم للجدار الدائر على الحجرة الشريفة احتراماً لتلك الحضرة المنيفة حيث لم تدع الضرورة إلى هدمه فمتى تأتى إزالة ذلك بدون هدم فلا يجوز العدول اليه وقد اتضح بما قدمناه تأتي ذلك بدونه وقد روى بعضهم انه يتنزّل على ذلك المحل كعب الأحبار قال ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون الفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقّت الأرض خرج في سبعين الفاً من الملائكة حوله ﷺ ذكر ذلك ابن النجار وغيره وفي صحيح الدارمي نحوه من رواية عائشة رضي الله عنها. فلا يبعد تأذى الملائكة ببقاء ذلك الهدم فقد ثبت في الصحيح تأذيهم بما يأكله بنو آدم بل الظاهر ان الميت نفسه يتأذى بذلك وقد ورد أن النبي ﷺ قال: «لا تؤذ صاحبك» . قال الحكيم الترمذي عقيب قوله ﷺ لا تؤذ صاحبك أي ان الارواح تعلم بترك الأذى لها وبالاستهانة فتتأذى بذلك

انتهى . ومعلوم ان الميت إذا مات يؤلمه في قبره ما يؤلم الحيّ في بيته وقد ذكر لي جماعة [٣٦] منهم أخي السيد الشريف الإمـام العلامة عبد الرحمن أعزه الله تعالى انه اخبره بعض جماعة من المشايخ من اشياخ بلدنا ان الشيخ الإمام العارف بالله الولى ابو القاسم محمد السمهودي نفعنا الله به آمينْ مدفوناً جامع سمهود الغربية وامام الميضأه حـــائط مبني مطموماً بالاتربة وكذا موضع الميضاه فرأى جدي اقضى القضاة ابو العباس احمد في منامه السيد أبا القاسم المذكور وهو يقول: أمط عني هذا الأذى!. ويشير الى تلك الاتربة المطموم بها ذلك المحل وكان الجد قد عزم في تلك الليـــلة على التوجه إلى مدينة قوص فأنه كان ينوب في وظيفته القضاء بها فلما استيقظ من منامه عزم على فعل ذلك بعد رجوعه من مدينة قوص ثم نام فرأى ثانياً وهو يأمره بالمبادرة إلى ذلك وأخـــافه بشيء كان في خاطره بسبب تأخير ذلك فاستيقظ فزعاً واخذ في الاصلاح حتى اماط تلك الاتربة وأظهر قبره المشهور الذي عليه الضريح الموجود اليوم الى والمظهرة الذي يشتغل بهـا ولم يكن احد يعلم بالمحل قبل ذلك ميضأة والغالب على ظني اني سمعتُ السيد الشريف والدي ايضاً يرويها عن بعض مشايخ سمهود رحمه الله تعالى وروى بعض [1] [٣٧] رضى الله عنهم لما قتل فرأه بعض أهله في منامه انه يأمرهم بخروجه من ذلك المحل ثلاث مرات فنبشوه من قبره الذي دفن به وكان له دار فدفنوه بها وقبره اليوم بها معروف .

وروى صاحب « الدرة الفاخرة » عن بعضهم قال : اتخذ ابو قال : فجلسنا على قبره بعد ايام فمرّ علينا بطبق تين فاشتريناه فأكلنـــاه وطرحنا الاذناب على القبر فلما كان الليل رأه والدنا في النوم فقال كيف حالك قال : بخير غير ان بنيك اتخذوا قبري مزبلة واذا كان هـــذا حال اموات المؤمنين فكيف بإمام النبيين وقائدهم ورئيس[2] [٣٨].

وبه صرح العلامة السبـكي في كتابه «شفاء السقام» . ومن ذلك ما روي عن

(١) بياض بمقدار كلمة (٢) بياض بمقدار صفحتين

سعيد بن المسيّب انه قال : لقد رأيتني ليالي الحرة وما في المسجد أحد من خلق الله غيري وان اهل الشام ليدخلون زمراً زمراً يقولون انظروا إلى هذا الشيخ المجنون . قال : فلايأتي وقت صلاة الا سمعت اذاناً في القبر ثم تقدمت فاقمت وصليت وما في المسجد أحد غيري .

وقال ابن زبالة وابن النجار وغيرهما ان الاذان في المسجد الشريف ترك في ايام الحرة [٣٩] ثلاثة ايام وخرج الريّس وقال سعيد بن المسيّب فاستوحشت فدنوت الى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث الليالي ورجع الناس وعاد المؤذنون فسمعت أذانهم فلماسمعت الأذان في قبر النبي ﷺ فرجعت الى مجلسي الذي كنت فيه أكون.

ومن ذلك ما روى عن سليمان بن سحيم قال : رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتوك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ذكره البازري في « توثيق عرى الإيمان» ومن ذلك ما رويناه في التحفة لابن عساكر وفي كتاب اخبار المدينة لشيخه ابن النجار مسنداً عن ابراهيم بن بشار قال : حججت في بعض السنين فجيت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله ﷺ فسلمت عليه فسمعت من داخـل الحجرة وعليك السلام وقد روى مثل ذلك جماعة كثيرة ومن ذلك ما ذكره سيدي تاج الدين بن عطاءالله قال : ولقد اخبرني الشيخ مكين الدين قال : دخلنـــا مسجد النبي ﷺ بالاسكندرية بالدلماس فوجدت النبي المذكور هناك قائماً يصلي عليه عباءة مخططة فقال لي تقدم فصل قلت له تقدم انت فصل قال تقدم انت فصل فأنكم من امة نبي [٤٠] لا ينبغي لنا التقدم عليه ،قال : فقلت له : بحق هذا النبي ألا ما تقدّمت فصليت ،فلما قلت له : بحق هذا النبي ،إلا وطبع فمه على فمي إجلالاً للفظة النبي كيلا تبرز في الهواء ، فتقدّمت فصليت . وأخبرني الشيخ مكين الدين أيضاً : بتُّ ليلة جمعة بالقرافة فقمت مع الزوار وهم يتلون الى أن

انتهوا إلى قوله تعالى من سورة يوسف : (وجاء اخوة يوسف) وانتهى في الزيارة إلى قبر أخيه يوسف » ، فرأيت القبر قد انشقّ فطلع منه انسان طوال خفيف شعر اللحية صغير الرأس آدم اللون وهو يقول : من أخبركم بقصتنا ؟ هكذا كانت قصتنا .

ومن ذلك ما ذكره الإمام البازري في كتابه « توثيق عرى الإيمان » من انه قد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله انهم رأوا النبي ﷺ في اليقظة حياً . والحكايات التي يستأنس بها في هذا الباب كثيرة شهيرة ومن ذلك ما ورد : فرش قطيفته ﷺ في قبره الشريف ، ففي الدارقطني و « طبقات ابن سعد » قال وكيع : وهذا خاص بالنبي ﷺ . وعن الحسن انه ﷺ قال: « افرشوا لي قطيفتي في لحدي فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء ». ومن ذلك الحكايات المشهورة الدالة على حياة الشهداء فإنه ﷺ سيّدهم . وقد نقل السبكي في « شفاء السقام » ان معاوية رضي الله عنه لما أجرى العين التي استنطها بالمدينة وذلك بعد أُحد بنحو من [٤١] خمسين سنة وأمر بنقل الموتى أصابت المساحي قدم حمزة رضي الله عنه فسال منه الدم ، ذكره مستدلاً به على حياة الشهداء ؛ ولعلّ هذه العين هي المعروفة بعين الشهداء لا بالعين المعروفة بعين الأزرق وهو مروان بن الحكم أجراها بأمر معاوية أيضاً لأن أصلها بقبا معروف ولا يمرّ لها بالشهداء ، فإن قيل قوله ﷺ : « ما من مسلم يسلم عليّ إلا ردّ الله على روحي حتى أرد عليه » دالّ على عدم استمرار الحياة ، قلنا : بل هو دالّ عليها ، كما استدل به البيهقي وقال : معنى إلا وقد رد الله على روحي : توجيهه كما قال بعضهم انه دل على الرد عند سلام أول مسلم . وكونها تقبض بعد ذلك لم يرد ولم يقل به أحد ولا يجوز اعتقاده فإنه يفضي إلى موتات لا تحصر بل لا تخلو ساعة من الساعات من سلام عليه ، فالحياة دائمة الثبوت رد السلام دائماً . وقال بعضهم : هذا الرد عبارة عن إيثار خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية الى عالم الدنيا وتنزل

إلى دوائر البشرية من الاستغراق في الحضرة العلية حتى يحصل عنه ذلك برد السلام وشهود عرض أعمال الأمة وغير ذلك ، أو يقال : ان هذا خطاب على مقدار فهم المخاطبين من أهل الدنيا على ما يفهمون من شأن الخارج من الدنيا لا بد من عود روحه اليه حتى يسمع ويجيب فكأنه قال: أنا أجيب تمام الإجابة وأسمع ذلك تمام السماع ،فلا ترتابوا فيه ، أو يقال: اتيانه بحرف الاستعلاء [٤٢] في قوله عليّ روحي دليل على ان الانانية ثابتة والروح ترد عليها فكان ذلك عبارة عن تجدد وصف مع ثبوت أصل الوجود والحياة وانما يتوهم خلاف ذلك لو قال رد روحي في أوفي جسدي ، ذكر ذلك الشيرازي .

وقد قال الاستاذ ابو منصور البغدادي في اجوبة مسائل الجاجرميين: قال المتكلمون المحققون من اصحابنا ان نبينا محمداً ﷺ حيّ بعد وفاته وانه يسر بطاعات امته وان الانبياء لا يبلون وقد أخبر نبينا ﷺ انه رأى موسى عليه السلام في قبره مصلياً .

وقال البيهقي في كتابه « الاعتقاد » الانبياء عليهم السلام بعدما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم احياء عند ربهم كالشهداء . وقد رأى نبينا ﷺ ليلة المعراج جماعة منهم وقد افردنا لأثبات حياتهم كتاباً .

وقال صاحب « التلخيص » من أصحابنا : ان ماله عليه الصلاة والسلام الذي خلفه قائم على ملكه فينفق منه على أهله وعده من خصائصه ، وصحح ذلك إمام الحرمين وقال : انه الموافق لسيرة الصدّيق فيما خلّفه ﷺ انتهى. وهذا يقتضي إثبات الحياة في أحكام الدنيا أيضاً ، وقد نازعه ابن أبي الدم في ذلك وقال : إن أراد الله ما أراد به في حق الشهيد بقوله : (بل هم أحياء عند ربهم يرزقون) فصحيح ولكن لا خلاف ان الشهيد إذا قتـل تترتب أحكام الموت عليه ومن جملتها [٤٣] انقطاع ملكه عن موجوده .

قال : والعجب ان الإمام يقول : ان رسول الله ﷺ حي ، ثم يقول في

مواضع : مات رسول الله ﷺ عن سبع نسوة ، ومـــات وهو راض عن العشرة .

قال الزركشي : ولا عجب لأنه يقول : مات ثم أحياه الله بعد موته . وهذا حكاه الشهرستاني في « غاية المرام » عن إمام الحرمين فقـــال : قال الإمام : وهو حي يسمع الصلاة والسلام ممن يصلي عليـه . واختار هذا أبو منصور البغدادي في كتاب « جوابات أهل جاجرم » ، وصنف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، لما وقعت الواقعة بذلك في بغداد الحنابلة ، انتهى .

وقال السبكي في كتابه «شفاء السقام»: إن ذلك الموت غير مستمر بل أحيى ﷺ بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطاً بالموت المستمر وهذه الحياة حياة أخروية ولا شك انها اعلا وأكمل من حياة المستشهد وهي مماسة للروح بلا اشكال. وأما الجسد فقد ثبت ان أجساد الأنبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلاً عن الشهداء ، فضلاً عن الأنبياء وانما النظر في استمرارها في البدن يصير حياً بها كحالته في الدنيا أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان [٤٤] صح به سمع اتبع وقـــد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسداً حياً وكذلك الصفات المذكورة في الانبيـاء ليلة الاسراء اجلها صفات الاجسام قال : ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نجدها بل يكون لها حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بـــل لسائر الموتى انتهى .

قلت : ولا شك ان الادراكات المذكورة من الاعراض المشروطة بالحياة

وكذا ادراك النعيم والعذاب الثابتين لسائر الموتى لكن انما يقتضي حياة جزء يقع به الادراك فلا يتوقف على البنية كما زعمه المعتزلة .

قال العلامة ابن الهمام في « المسايرة » وبعد اتفاق اهل الحق على اعادة قدر ما يدركه به من الحيـــاة تردد كثير من الاشاعرة والحنفية في اعادة الروح فمنعوا تلازم الروح والحياة إلا في المعاد، ومن الحنفيّة القائلين بالمعاد الجسماني من قال بانه يوضع فيه الرّوح وقول من قال إذا صار تراباً تكون روحه متصلاً بترابه فيتألم الروح والتراب جميعاً محتملاً قوله فتجرد الروح وجسمانيتها وقد ذكرنا ان منهم كالماتريدي واتباعه من يقول بتجردها انتهى .

وإذا كان هذا حال عالم الاموات [د ٤] فما ذاك بخاصتهم الذين ثبت لهم بقاء الابدان وقد حققنا حكم ما خلفه ﷺ في الاصل عند الكلام على ادخال الحجرة ﷺ في المسجد الشريف فليراجع . وقال الشيخ علاء الدين القونوي الذي يظهر ان يقال اعتقاد حياة الانبياء في قبورهم بان يكونوا فيها كما كانوا قبل وفاتهم وهم مستمرون على الاقامة فيها بمثل حياتهم الاولى ليس من مسائل الفروع التي تكفي في الاستدلال عليها بالظنون وقد ثبت ان الله تعالى توفاهم قطعاً وزالت عنهم تلك الحياة التي كانت لهم قبل وفاتهم فمن ادعى عودها اليهم يحتاج إلى دليل قاطع وما ذكره البيهقي وغيره لا ينهض دليلاً على ذلك انه يعتقد أنهم احياء عند ربهم حياة اشرف واكمل واعلا من هـــذه الحياة المعهودة وان ﷺ عند الله مع الرفيق الاعلى في السموات العلى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وهذا افضل من ان يكون في قبره مقيما فيه وان يقول بانه يفسح للمؤمن في قبره كمد البصر فكيف النبي ﷺ لكن كونه في الجنة التي عرضها السموات والارض واعلا واكمل على انه قد ورد ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور ، رواه البيهقي .

وروي انه ﷺ قال أنا أكرم على كل كريم يتركني في قبري بعد ثلاث فطهر

بذلك [٤٦] وأمثاله تعذر القطع باقامتهم في قبورهم أحيـــاء واستمرارهم فيها كما كانوا قبل وفاتهم.

والجواب عن الأحاديث المتقدمة ان يقال: أما حديث رد الروح فيتعذر اجراؤه على ظاهره لما يلزم عليه من المحذور وحينئذ فلا يتعين ما تقدم من التأويل، يجوز أن يكون المراد الارد الله على اذ ذاك روحي للتسليم، وأما حديث صلاة موسى عليه الصلاة والسلام في قبره فـــلا يدل على استمرار اقامته فيه كيف وقد صح في الحديث انه ﷺ رآه ليـــلة المعراج في السماء السادسة وكذا غيره من الأنبياء فتمين التوفيق فيجوز أن يقال: انهم صلاة الله عليهم مع كونهم في السماء قد ينتقلون إلى غيرها ولا يمكن في ذلك استمرارهم في القبور أحياء.

قلت: مقتضى قوله على ان نعتقد انهم أحياء عند ربهم إلى آخره، أن يسلم الحياة المذكورة وقد قال بعد ذلك: وأمـــا اثبات حياة مغايرة لهذه الحياة المعهودة التي لا بد لصاحبها في مطرد العادة البشرية من التعدي ولوازمه فليس محل النزاع.فهو انما يخالف في القول باستمرارهم أحياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا ويعتقد انهم ليسوا في قبورهم فيقال: لقد ذكرت ان هذه المسألة لا يكتفي فيها بالظنيات. وقد سلمت لهم القطع بحياة وذلك كاف في اثباتها مع ما انضم اليه من اخباره ﷺ بما يقتضي انها حياة مع الاحيـــاء [٤٧] كما تقدم وقد تحققنا وضع أجسادهم في قبورهم والاصل بقاؤها فلا يعتقـــد خلاف ذلك الا بقاطع وما ذكره ليس بقاطع مع انه معارض بالحديث المتقدم الأنبياء أحياء في قبورهم بعد أربعين ليلة على الهيئة التي دفنوا عليها من الموت وترك العمل ونحوه بل يحيون ويعبدون الله ويدل عليه قوله: لكنهم يصلون بين يدي الله والمصلين في قبره بين يدي الله وكذا يقال في حديث انا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث ان صحّ أي على تلك الحالة واختص ﷺ بذلك من بين الأنبياء لمزيد شرفه وفضله عليـــهم هو هكذا ظهر لي في

الجواب عن ذلك ثم رأيت السبكي ذكر في كتابه «شفاء السقام» ان عبدالرازق روي عن سعيد بن المسيّب انه رأى قوماً يسلمون على النبي ﷺ فقال ما مكث نبي في الأرض اكثر من اربعين يوماً ثم روى عبد الرازق حديث : مرت بموسى ليلة اسري بي وهو قائم يصلي في قبره. قال السبكي وكأنه قصد بذلك رد ما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه لما حصر اشار بعض الصحابة عليه ان يلحق بالشام فقال: لن افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ فيها وهو مخالف لما نقل عن ابن عمر ثم قال وما ورد عن ابن المسيب ورد فيه حديث سنذكره ثم أورد الحديث[٤٨] المتقدم . ثم قال :

قال البيهقي: وهذا ان صح بهذا اللفظ فالمراد به والله اعلم ولا يتركون ولا يصلون الى هذا المقدار ثم يكون مصلين فيما بين يدي الله تعالى وهو قريب مما قدمناه بل هو اولى ولم يورد حديث انا اكرم على ربي من ان يتركني في قبري الحديث كأنه لعدم صحته بل روى بعضهم من فضائله ﷺ انه قال ما من نبي إلا وقد رفع بعد ثلاث غيري فأني سألت الله عز وجل أن اكون فيما بينكم الى يوم القيمة وذلك قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) انتهى.

فيبقى الاحتياج الى التأويل انما هو في حق غيره ﷺ ان صح ذلك وقد أورد شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر حديث البيهقي ان الأنبياء لا يتركون الى آخره وذكر انه من رواية محمد ابن عبد الرحمن ابن ابي ليلى أحد فقهاء الكوفة قال ومحمد سيء الحفظ ثم قال: ودس الغزالي ثم الرافعي حديثا لا أصل له الا أنه أخذ يعني أصله من رواية ابن أبي ليلى هذه وليس الاخذ بجيد لان رواية بن أبي ليلى قابلة للتأويل ثم ذكر تأويل البيهقي المتقدم وقد قدمنا تأويله بنحوه غير ان رواية ابن أبي ليلى أقرب الى التأويل وقد قال العلامة عبدالله بن عبد الملك المرجاني في تاريخ المدينة «صاحب الدر المنظم» ان النبي ﷺ لما مات ترك في امته رحمة لهم، وروى عنه عليه السلام[٤٩] انه قال ما من نبي دفن إلا وقد رفع بعد ثلاث غيري فاني سألت الله عز وجل أن أن أكون بينكم الى يوم القيمة انتهى .

وقال القرطبي في « شرح مسلم» في الرد على من زعم ان من رآه ﷺ في النوم فقد رآه حقيقة كما هو في اليقظة ما لفظه: هـذا القول يدرك فساده تأويل العقول فانه يلزم عليه ان لا يره رائيان في وقت واحد في مكانين وان يجيء الآن ويخرج من قبره ويمشي كحالته التي كان عليها عنه فيرد ويسلم عليه وهو غايب وهذه جهالات لا ينوء بالتزام شيء منها من له أدنى مسكة انتهى.

وهذه المسألة قد حققناها في كتابنا الموسوم بـ « نصيحة اللبيب في مرأى الحبيب» ﷺ وأما تفضيل كونه ﷺ في الجنة على كونه في قبره فقد يجاب عنه بأنه اذا كان قبر آحاد المؤمنين روضة من رياض الجنة فما ذاك بقبر سيد المرسلين وافضلهم فقبره بلا شك أفضل رياض الجنة وقد يكون له فيه من النفوذ ما لا يحجبه معه السماء والأرض بل يجاوزهما إلى أعلا السموات فما فوقها من الجنان لان أحوال الآخرة لا تقاس على الدنيا ولما نقله ﷺ من أحوال الأنبياء ليلة الإسراء فيكون اتساعه له ﷺ كالاتساع لو كان في الجنة وأما ما ذكره من [٥٠] التوفيق بين صلاة موسى صلوات الله وسلامه عليه في قبره مع رؤيته ﷺ له ولغيره من الأنبياء ليلة المعراج بالسموات فقد يعكس فيقال انهم صلوات الله وسلامه عليهم مع كونهم في قبورهم قد ينتقلون إلى غيرها كالسموات لما أعطوه من قوة النفوذ في العالم وذلك في بعض الأحيان أو يقال: المراد انه ﷺ رأى موسى وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في قبورهم في مروره ﷺ بالسموات على الترتيب الذي ذكره. وقد صرح بذلك العلامة ابن أبي حمزة فقال في « بهجته » : رؤيته — يعني النبي ﷺ — لهؤلاء الأنبياء ، يعني ليلة الإسراء احتمل وجوهاً :

الأول : أن يكون عاين كل واحد منهم في قبره في الأرض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه ، فيكون الله قد أعطاه من القوة من البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك يشهد لهذا الوجه قوله : «رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط » ، وهو محتمل لوجهين ، أحدهما : أن

يكون رآهما من ذلك الموضع ، كما يقال : رأيتُ الهلال من منزلي من الطاق ، والمراد موضع الطاق . ثانيهما : أن يكون مُمثّلَ له صورتها في عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما .

الثاني من الوجوه : أن يكون عاين أرواحهم هناك في صورهم .

الثالث : أن يكون الله تعالى لما أراد إسراء [٥١] نبيّه رفعهم من قبورهم لتلك المواضع إكراماً لنبيه وتعظيما حتى يحصل له من قبلهم ما قد أشرنا اليه من الأنس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وإظهاراً للقدرة التي لا يغلبها شيء ولا تعجز عن شيء ، وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح لأحدهما على الآخر ، إذ ان القدرة صالحة لكلها ، انتهى .

ومما يدل على انه ﷺ في قبره المكرم ، زيادة على ما تقدم ، واقعة السلطان السعيد ، نور الدين الشهيد ، المشهورة ، وقد ذكرها مؤرخو المدينة الشريفة وغيرهم . قال الشيخ مجد الدين الشيرازي في تاريخه : من الحوادث بالمسجد الشريف ما نقله جماعة من مشايخ المدينة وعلمائها ان السلطان الملك السعيد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي لما كان في عام سبع وخمسين وخمسماية رأى النبي ﷺ ثلاث مرات المنام في النوم في ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة : « يا محمود أنقذني من هذين الشخصين أشقيرين تجاهه » ، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك ، فقال له : هذا أمر قد حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل ومعه ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها والوزير معه ، فزار وجلس في المسجد لا يدري ما [٥٢] يصنع فقال له الوزير: اتعرف الشخصين؟قال: نعم وطلب الناس عامة للصدق وفرق عليهم ذهباً كثيراً وفضة وقال: لا يبقين بالمدينة أحد إلا جاء فلم يبق الا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي تلي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تعرف اليوم بدار العشرة فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا: نحن على كفاية مانقبل شيئاً. فجدّ في طلبهما فجيء بهما فلما رآهما قال للوزير: هما هذان. فسألهما وما جاء بهما فقالا لمجاورة النبي ﷺ فقال: اصدقاني وتكرر السؤال حتى افضى الى عقوبتهما فاقرا انهما من النصارى وانهما وصلا لكي ينقلا النبي ﷺ من هذه الحجرة الشريفة المقدسة باتفاق من ملوكهم ووجدهما قد حفرا نفقاً تحت الارض من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان الى جهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه فضرب اعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب متوجهاً إلى الشام انتهى .

وذكر العلامة جمال الدين المطري القصة على نحو ما تقدم والظاهر ان ذلك مستنده الشيرازي فقال: ان وصول السلطان[٥٣] الملك العادل نور الدين الى المدينة المشرفة كان في السنة المتقدم ذكرها بسبب رؤيا رآها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن ابي بكر المحترق ابوه ليلة حريق المسجد عن من حدثه من أكابر من ادرك من اشياخ الحرم وذكر القضية كما تقدم وان السلطان نور الدين لما ركب متوجهاً الى الشام وكان الناس قد كثروا بالمدينة الشريفة خارج السور الذي بناه الجواد الاصفهاني في حول المسجد فصاح بالسلطان من كان نازلا خارج السور واستغاثوا وطلبوا ان يبني عليهم سوراً يحفظ ابناءهم وماشيتهم فأمر ببناء هذا السور المجدد اليوم فبنى سنة ثمان وخمسين وخمسماية وكتب اسمه على باب البقيع وفيه ذكر التاريخ المذكور وقد ذكر القصّة ايضاً العلامة زين الدين بن المراغي في تاريخه نقلاً عن العلامة جمال الدين المطري. وذكر ان وزير السلطان نورالدين الذي استحضره وذكر له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر قال وكان موفقاً واراد بالموفّق موفق الدين ابا البقاء صاحب الخط المنسوب فان الذهبي ذكر انه وزر للسلطان نور الدين المذكور وهو مأخذ العلامة زين الدين في كونه هو كا

اشار اليه في حاشية رأيتها بخطة على هامش تاريخه وقد ذكر القضية ايضاً العلامة جمال الدين عبد الرحيم[٥٤] الاسنوي في تأليف له يشتمل على نصيحة للولاة في استخدام النصارى ، وترجمه بعضهم بـ « الانتصارات الإسلامية لما تعدّت عليه الملة النصرانية » ، ورأيت بظاهر نسخة منه بخط العلامة الشيخ زين الدين أبي بكر المتقدم ذكره مترجماً له بما صورته « نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى كتابا » لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوي ولم يسمّه فسمّيته بحضرته ، فأقرّني عليه رحمه الله وكنيته أبو بكر ، انتهى .

وأنا أروي التأليف المذكور عن ولده الشيخ العلامة ناصر الدين أبي الفرج المراغي عن والده زين الدين المذكور عن مؤلفه ، وقد أورد القصة فيه مبسوطة ، لكن مع مخالفة لبعض ما تقدم ، وذكر ان الوزير المذكور جمال الدين الموصلي فقال : وقد دعتهم أنفسهم في سلطنة الملك العادل نورالدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنوا انه يتم لهم (ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون) ، وذلك ان السلطان المذكور كان له تهجد يأتي به بالليل وأوراد يأتي بها ، فنام عقب تهجده فرأى النبي ﷺ في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول : « أنجدني من هذين » ، فاستيقظ فزعاً ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه ، فاستيقظ ثم توضأ وصلى ونام فرآه أيضاً مرة ثالثة [٥٥] فاستيقظ وقال : لم يبقَ نوم ، وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي ، فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له : وماقعودك اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت ، فتجهّز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً وصحبته الوزير المذكور ومال كثير ، فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فاغتسل خارجها ودخل ، فصلى في الروضة وزار ثم جلس لا يدري ما يصنع ، فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد : ان السلطان قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه مالاً للصدقة فاكتبوا مَنْ عندكم ، فكتبوا أهل المدينة كلهم ، وأمر السلطان بحضورهم ، وكلّ من حضر

ليأخذ تأمله السلطان ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ فـــلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف ، الى أن انقضت الناس فقال السلطان : هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة ؟ قالوا : لا ، قال : فتفكروا وتأملوا ، قالوا : لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان لأحد شيئاً وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج ، فانشرح صدره وقال : عليّ بهما ، فأتي بهما ، فرآهما الرجلين اللذين أشار اليهما النبي ﷺ فقال لهما : من أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب جئنا حاجّين فاخترنا [٥٦] المجاورة في هذا العام ، فقال : اصدقاني ، فصمّما على ذلك ، فقال : أين منزلهما ؟ فأخبر بأنهما في رباط قرب الحجرة الشريفة فأمسكهما وحضر الى منزلهما فرأى فيه مالاً كثيراً وختمتين وكتباً في الرقايق ولم ير فيه شيئاً غير ذلك ، فأثنى أهل المدينة عليهما بخير كثير وقالوا : انهما صائمان الدهر ملازمان الصلاة في الروضة الشريفة وزيارة قبر النبي ﷺ وزيارة البقيع في كل يوم وزيارة قبا في كل سبت ولا يردّان سائلاً قط بحيث سدّا خلة أهل المدينة في هذا العام الجدب ، فقال السلطان: سبحان الله ! ولم يظهر شيئاً مما رآه ، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه فرفع حصيراً في البيت فرآى تحته لوحاً من الخشب أو نحوه ، فرفـــع ذلك فرأى سرداباً محفوراً ينتهي الى صوب الحجرة الشريفة ، فارتاعت الناس لذلك فقال السلطان عند ذلك : أصدقاني حالكما ، وضربهما ضرباً شديداً فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيّل في شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم وتوهموا أن يمكنهم الله وهو الوصول الى الجناب الشريف ويفعلون به ما زينه لهم إبليس من النقلة وما يترتب عليها ففعلا ما تقدّم وصارا يحفران ليلاً ولكل واحد محفظة جلد على زيّ المغاربة ، والذي يجمّع من التراب يجعله كل منهما في محفظته [٥٧] ويخرج لإظهار زيارة البقيع فيلقيه بين القبور إذا خلا ، وأقاما على ذلك مدة ، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم بحيث

خيل اليهم ابتلاع تلك الجبال ، فقــدم السلطان صبيحة تلك الليلة واتفق مسكها واعترافهما ، فلما ظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك بكى بكاءً شديداً وأمر بضرب رقابهما ، فقتلا تحت الشبّاك الذي يلي الحجرة الشريفة ثم أمر بإحضار رصاص وملأ به الخندق فصار حول الحجرة سوراً رصاصاً خاصاً إلى الماء ثم عاد وأمر بإضعاف النصارى وأن لا يستعمل كاتب في عمل من الأعمال ، وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها ، انتهى .

وهذه تشهد بما ذكره اليافعي في ترجمة السلطان المذكور ان بعض العارفين من الشيوخ ذكر ان السلطان نور الدين كان في الأولياء معدوداً من الأربعين ، وصلاح الدين نائبه من الثلاثمائة ، انتهى .

قال ابن الأثير : طالعت تواريخ الملوك المتقــدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا فلم أرَ بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، انتهى .

والعجب اني لم أقف في كلام من ترجمه على القصة المقدمة ، وقد اتفق بعد الأربعمائة من الهجرة ما يقرب منها وهو ما حـــكاه ابن النجار في تاريخ بغداد بسنده المتصل ان بعض الزنادقـة أشار على الحاكم [٥٨] العبيدي صاحب مصر بنقـل النبي ﷺ وصاحبيه من المدينة إلى مصر وزين له ذلك وقال: متى تم ذلك شد النـــاس رحالهم من اقطار الأرض إلى مصر وكانت منقبة لساكنها فاجتهد الحاكم في مده وبنى بمصر حايراً وانفق عليه مالاً جزيلاً وبعث ابا الفتوح لنبش الموضع الشريف فلما وصل المدينة الشريفة وجلس بها حضر جماعة المدينتين وقد علموا ما جاء فيه وحضر معهم قاري يعرف بالزلباني فقرأ في المجلس: (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمّة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه إن كنتم مؤمنين) .فهاج الناس وكادوا يقتلون ابا الفتوح ومن معه من

الجند وما منعهم من السرعة الى ذلك ان البلاد كانت لهم ولما رأى ابو الفتوح ذلك قال لهم : الله احق ان نخشى والله لو كان عليٌّ من الحاكم فوات الروح ما تعرضت للموضع وحصل له من ضيق الصدر ما ازعجه كيف نهض في مثل هذه المخزية فلما انصرف نهار ذلك اليوم حتى ارسل الله ريحاً كادت الارض تزلزل من قوتها حتى دحرجت الأبل باقتابها والخيل بسروجها كما تدحرج الكرة على وجه الأرض وهلك اكثرها وخلق من الناس فانشرح صدر ابي الفتوح وذهب روعه من الحاكم لقيام عذره .

وقد [٥٩] قال العلامة القونوي بعد ما قدمناه عنه: ولا ينبغي ان يظن انقطاع التفاتهم الى قبورهم بالكلية ولا انقطاع التعلق بينها وبينهم بدليل استحباب زيارتها في عامة الاوقات وما ذاك الا ان بينها وبينهم علاقة مستمرة غير منقطعة فلها بهم اختصاص خاص الله اعلم بكيفيته وكذلك قبور سائر المؤمنين بينها وبين ارواحهم نسبة خاصة مستمرة فعرفوا بها في نزول قبورهم ويردون السلام على من سلم عليهم ثم اورد احاديثاً كثيرة في الدلالة على ذلك ثم قال: وكل ذلك يدل على ان الأموات يسمعون والسمع من الاعراض المشروطة بالحياة فهم احياء إلا ان حياتهم دون حياة الشهداء انتهى .

والتحقيق في هذه المسألة ما قدمناه عن السبكي وقد اوردوا على صلاة موسى عليه السلام في قبره سؤالاً هو : أن الصلاة من اعمال الدنيا وقد فارقها فاجاب بعضهم بأن الصلاة هنا بمعنى الدعاء والذكر وهو من اعمال الآخرة وطرد هذا الاشكال ايضاً في صلاته ﷺ بهم في حديث الاسراء وفي قوله ﷺ: «كأني انظر الى موسى هابطاً من الثنية له جوار الى الله بالتلبية» وفي قوله في يونس «رأيته وهو يلبي» قال القاضي عياض فان قيل كيف يحجون ويلبون وهم في الدار الآخرة وليست دار عمل فاعلم ان للمشايخ [٦٠] فيما ظهر عن هذا اجوبة احدها انهم افضل من الشهداء والشهداء احياء عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما ورد في الحديث الآخر وان يتقربوا إلى الله ما استطاعوا

لأنهم وان كانوا توفوا في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل. الثاني : ان عمل الآخرة ذكر ودعاء . قال تعالى : (دعواهم فيها سبحانك اللهم) الثالث : ان يكون هذا رؤية منام كما قال في رواية ابن عمر: « بينما انا نائم رأيتني اطوف بالكعبة » الرابع انه رأى حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا في حياتهم وكيف كان حجهم وتلبيتهم يدل عليه قوله: كأني انظر الى موسى كأني انظر إلى يونس كأني انظر إلى عيسى الخامس ان يكون اخبر عما اوحى اليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم وان لم يرهم رؤية عين إلا انه تحقق ذلك حتى صار يتقنه له كالمشاهدة بدليل قوله كأني انظر انتهى .

وقال السبكي: الوجه الاول والثاني يلزم منهما الحياة والثالث لا يأتي فيه ليلة الاسراء والرابع والخامس انما يأتيان في الحج والتلبية ونحوهما احد جوابين اما ان نقول البرزخ ينسحب عليه احكام الدنيا في الاستكثار من الاعمال وزيادة الاجور وهذا الجواب الاول الذي ذكر القاضي واما ان نقول ان المنقطع في الآخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير [٦١] تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى فانظر الى سجود رسول الله ﷺ وقت الشفاعة اليس في ذلك عبادة وعملاً ولا يمتنع حصول هذه الأعمال في مدة البرزخ ويكفي رؤية النبي ﷺ لموسى يصلي في قبره انتهى .

قال الشيخ علاء الدين القونوي : لا يبعد ان يقال ارواح الانبياء عليهم السلام بعد المفارقة بمنزلة الملائكة وافضل منهم وكما ان الملك يتمثل في صور مختلفة يجوز ان تكون ارواحهم كذلك وقد كان جبرائيل عليه السلام يتمثل للنبي ﷺ في صورة دحية ويتمثل لمريم بشراً سوياً ومن الممكن ان يخص الله تعالى بعض عباده في الحياة ايضاً بهذه الخاصة فيرزقه قوة يقدرها على التصرف في بدن آخر غير بدنها المعهود مع إستمرار تصرفها في الاول وقد قيل في الابدال انهم انما سموا ابدالاً لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الأول

شيخـــا آخر شبيهاً بشيخهم الاصلي بدلاً عنه هذا أحد ما ذكروه في سبب التسمية وقيل سموا بذلك لتبدل اخلاقهم وقيل : لأنه اذا مات واحد منهم أقام الله تعالى بدلاً منه إلى ان يريد خلاف ذلك واذا جاز في الجن ان يتشكلوا بصور مختلفة فالانبياء والاولياء والملائكة اولى بذلك وقد اثبت الصوفية عالماًمتوسطاًبين عالمي الاجسادوأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك ظهور الارواح[٦٢]في صور مختلفة من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى (فتمثّل لها بشراً سويّا)، فكون الروح الواحدة كروح مثلاً في وقت واحد مدبرا بشبحه الأصلي ولهذا الشبح المثالي،وتحل بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة انه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل عليه السلام : أين كان جسده الأول الذي سدّ الأفق بأجنحته لما تراءى للنبي ﷺ في صورة دحية ، وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال : كان يندمج بعضه في بعض إلى أن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ، ثم يعود ينبسط الى أن يصير كهيئته الأولى بناء على جواز التخلخل والتكاثف في الأجسام . ومما ذكره الصوفية أحسن وهو أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير وقد أقام الله له شبحاً آخر ، وروحه متصرفة فيهما جميعاً في وقت واحد ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام ولا بُعْدَ أن يعطوا التصرف في بدنين أو أكثر ، فيجوز أن يكون موسى عليه السلام مع كونه في السماء السادسة تمثل بشبح آخر مثالي في قبره فرآه النبي ﷺ يصلي فيه ثم رآه بعد ذلك أو قبله في السماء السادسة وتمثله على الوجه المذكور لا يستلزم عوده حياً كما كان ، وبهذا يظهر وجه حج الأنبياء عليهم السلام بعد موتهم ، انتهى .

قلت : قد يمكس [٦٣] ذلك فيقال : بل جسده الأصلي في قبره حيّ والشبح المثالي هو الذي في السماء ، وما ذكره في جواز تدبير الروح لأجساد متعددة كلام ظاهر إذ هو ممكن ، وكل ممكن فالقدرة صالحة لا سيما إذا قلنا بما ذكره بعض الصوفية من ان الروح مجرد ليس بجسم ولا جسماني يدبر البدن

مع عدم حلوله فيه كما يدبر ملك المدينة ، وهو ما اختاره الغزالي كما نقله عنه البيضاوي في طوالعه ، والفخر الرازي في أربعينه ، وهو مذهب الحكماء ، ونسبه الأصفهاني في « شرح الطوالع » المحققين منهم وعليه أكثر أرباب المكاشفات في الصوفية . وعبارة السبكي : وهو مذهب حذاق الفلاسفة ، والذي يظهر انه مذهب الغزالي أيضاً ، وهكذا هو في «المظنون به على غير أهله» الكبير ، و«المظنون به على غير أهله» الصغير ، ولكن نقل الآمدي عنه انه يقول : الروح فرد جوهر متحيز ، والمظنون الكبير فيه أشياء من اعتقاد الفلاسفة خارجة عن اعتقاد المسلمين ، ولذلك كان بعض الفضلاء ينكر نسبته الى الغزالي وهو في «الاحياء» في شرح عجائب القلب لم يفصح بذلك ، انتهى.

وقد نقل العلامة ابن الهمام في « مسايرته » القول بأن الروح جسم لطيف سار في البدن كماء الورد عن أكثر المتكلمين ، ثم قال : والثاني انها جوهر مجرد . ومن أهل السنّة جماعة على الثاني كالغزالي والماتريدي وغيرهما [٦٤] ولكل منهما ظواهر انتهى .

وعلى هذا المذهب فلا بعد في تدبير الروح لاجساد متعددة ويتضح بذلك قصة جبريل صلوات الله عليه وغيرها وضوحاً تاماً وقد ذكر السؤال عن قصة جبريل عليه السلام الشيخ عزالدين بن عبد السلام فقال إذا القى النبي ﷺ جبريل في صورة دحية فاين تكون روح جبريل فان كان في الجسد الذي له ستماية جناح فالذي اتى لا تكون روح جبريل ولا جسده وان كان في الجسد الذي في صورة دحية يلزم أحد أمرين اما ان يموت الجسد العظيم أو يبقى خالياً من الروح المنتقلة عنه إلى الجسد الشبيه بجسده ولا سبيل إلى شيء منهما اما الأول فلان الميت لا يحشر قبل القيامة وقد بقي جبريل حياً إلى هذا الوقت واما الثاني فلان الجسد لا يبقى اذا كان خالياً عن الروح ثم أجاب بانه لا يلزم ان يكون انتقالها في الجسد العظيم موجباً لموته فيبقى الجسد المنقول عنه حياً لا ينتقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء إلى اجواف طير خضر انتهى .

ولهذا السؤال مبني على حلول الروح في البدن وهو مذهب المتكلمين. قيل: وفي جوابه نظر. لأن بقاء الجسد العظيم بعد انتقال الروح منه حياً لا ينتقص من معارفه شيء غير معقول لأن الروح ان [٦٥] انتقلت كلها لزم موت الجسد وأن انتقل بعضها لزم تجزي الروح فالأولى ان يقال لا نسلم ان الجسد لا يبقى إذا كان خالياً عن الروح فان كان الجسد العظيم باقياً بعد موته بانتقال الروح منه إلى الثاني يعيد الله الروح اليه بعد ذلك ولا يلزم الحشر قبل القيامة لأن الحشر هو اعادة بعد الفناء ، وهنا لم يفن الجسد انتهى .

قلت: وجواب هذا النظر ما تقدم عن السبكي من ان توقف الحياة على حلول الروح في البدن انما هو من الأمور العادية وقال في «المسايرة» : والحياة عرض ملازم وجوده في البدن يعلو عادة انتهى .

لكن قوله: ان الجسد المنقول عنه يبقى حياً لا ينتقص معارفه منظور فيه لأن المعارف انما هي للروح والظاهر ان مراده أن روح الجسد العظيم لم تنتقص معارفها بمفارقته الى أصغر منه على ان في كلا الجوابين نظراً من جهة أن خروج الروح من بدن ودخولها في آخر ثم عودها إلى الأول نوع من التناسخ فالأولى في الجواب ما تقدم من جواز تدبير الروح لأجساد متعددة أو ما نقله امام الحرمين عن العلماء في ذلك فقال في قصة تمثيل جبريل عليه السلام قالوا وهذا التمثيل يحتمل وجهين أحدهما ان الله كان يفني الزايد من خلقة جبريل عليه السلام ثم يعيده اليه ثانيها يحتمل ان يزيله عنه ثم يعيده اليه بعد التبليغ ، [٦٦] انتهى .

وما تقدم أولى لعدم الاحتياج فيه الى ما ذكره ولأنه ينجلي به بعد إشكالات كثيرة.

قال الشيخ علاء الدين القونوي : قالت الصوفية وعلى الأصل المتقدم وهو إثبات علم المثال تخرج مسائل كثيرة وتنحل به إشكالات غير يسيرة كقولهم: جنة عرضها السموات والأرض ، وهي فوق السموات وسقفها عرش الرحمن ،

كيف رآها النبي ﷺ في عرض الحائط حتى تقدم اليها في صلاته ليقطف منها عنقوداً ؟! ، فجوابه بطريق التمثيل الى غير ذلك .

يحكى عن قضيب البان الموصلي وكان من الأبدال انه اتهمه بعض من لم يره يصلي بترك الصلاة وشدد النكير عليه في ذلك ، فمثل له على الفور في صور مختلفة ثم قال : في أي هذه الصورة رأيتني ما أصلي ؟ ولهم حكايات كثيرة مبنية على غير هذه القاعدة وهي من أمهات القواعد عندهم ، والله أعلم.

تكميل لما نحن بصدده من ايجاب إزالة ما أصاب ذلك المحل الشريف

اعلم ان قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما في صفة بيت عائشة رضي الله عنها . قال أهل السير : وفي البيت موضع في السهوة الشرقية، قال سعيد بن المسيب : فيه يدفن عيسى بن مريم عليه السلام .

وروى محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه [٦٧] عن جده قال : يدفن عيسى بن مريم عليه السلام مع النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما ويكون قبره الرابع ، نقل ذلك ابن النجار وغيره من أهل السير .

وفي « المنتظم » لابن الجوزي عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض ويتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر»، وهذا ما يؤكد ما قررناه من ان الدخول لذلك المحل الشريف صيرورته محجراً على هذا الوجه لمصلحة من المصالح ليس فيه نقص من الأدب، ولئن تأخر إزالة ما أصاب ذلك المحلّ الشريف الى ذلك الحين فلا شك ان أهل ذلك العصر ممن يتولى دفن عيسى صلوات الله وسلامه عليه يتولى أيضاً إزالة ذلك ، ويكثر تعجبهم من تقصير من كان قبلهم في إزالة ذلك . والسهوة : قيل بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه المخدع والخزانة ، وقيل : هو كالصفة

يكون بين يدي البيت ، وقيل غير ذلك . قال الشيخ عبد العظيم المنذري : واسم السهوة يصدق على كل هذه الأمور .

قلت : والمناسب لما نحن فيه القول لثاني . ثم لا يتوهم أحد ان ذلك الحايز المجعول على ذلك المحل الشريف من السلف رحمهم الله تعالى دليل على المنع من الدخول لذلك[٦٨] المحل الشريف مطلقاً لما قدمناه ولما نقلوه من طلب الحسن رضي الله عنه الدخول بجنازته إلى ذلك المحل للدفن مطلقاً ووافقه على ذلك عائشة رضي الله عنها وغيرها ممن يحتج به .

قال الأقشهري في «روضته» قال ابن عبد البرّ ان عائشة رضي الله عنهـا كانت قد اباحت للحسن رضي الله عنه ان يدفن مع رسول الله ﷺ في بيتها وكان سألها ذلك في مرضه فلما مات منع من ذلك مروان وبنو امية في خبر يطول ذكره . وقال الامام رشيد الدين ابو المظفر احمـــد الكارموني شارح مصابيح الإمام البغوي : سألت جمعاً من العلماء عن سبب ستر القبور عن أعين الناس فذكر بعضهم انه لما مات الحسن بن علي رضي الله عنهما اوصى ان تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي ﷺ ثم ترفع ويدفن في البقيع فلما أراد الحسين ان يجيز وصية اخيه ظن طائفة انه يدفن في الحضرة فمنعوه وقاتلوه وكان على المدينة من اولاد مروان واحد هو عبد الملك أو غيره فعند ذلك سدوا وستروا وذكر غيره ان بني امية لما منعوا من ذلك قالوا: والله لا يدفن ابن علي مـع رسول الله ﷺ ويدفن عثمان في حش كوكب انتهى .

وقد ورد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ[٦٩] في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً وايضاً فعمل الطابق المتقدم وصفه في الباب الأول [دليل] على جواز الدخول عند الحاجة مع ان ابن النجار روى عن ابي علقمة ان الناس كانوا قبل ان يدخلوا البيت يسلمون ولم يكن عليه غلق حتى توفيت عائشة رضي الله عنها .

ونقل اهل السير انهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبي ﷺ فأمرت عائشة رضي الله عنها بجدار فضرب عليهم وكان في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت وقد روي أبو داود في سننه عن القاسم قال : دخلت على عائشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء وروى الدخول اليها غير القاسم ايضاً فان قيل ازالة ذلك يستدعي حركات كثيرة وقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسمع الوتد والمسمار يضرب في الدور المطيفة بمسجد النبي ﷺ فترسل اليهم ان لا تؤذوا رسول الله ﷺ وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما عمل مصراعي داره إلا [٧٠] بالمناصع توقيراً لذلك وان بعض نساء النبي ﷺ دعت نجاراً يعلق ضبّة لها وان النجار ضرب مسماراً في الصفة ضرباً شديداً وان عائشة رضي الله عنها صاحت بالنجار وكلمته كلاماً شديداً وقالت ألم تعلم ان حرمة رسول الله ﷺ ميتاً كحرمته اذا كان حيـــاً فقالت الاخرىٰ وماذا اسمع من هذا قالت عائشة رضي الله عنها انه ليؤذى رسول الله ﷺ صوت هذا الضرب كما يؤذيه لو كان حياً . قالت انما نهت عائشة رضي الله عنها عن ذلك طلباً منها للاقتصار على قدر الحاجة من ذلك لأن فعل ما زاد عليه في تلك الحضرة الشريفة ليس من الأدب وهو ﷺ يتأذى ممن لا يراعي كمال الأدب معه لانه حي الدارين ولما تقدم عن الترمذي الحكيم من تأذي روح الميت بالجلوس على قبر مكنثا لمها بترك اقامة الحرمة لها .

وقد روى عن ابي الجوزاء قال قحط اهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضي الله عنها فقالت فانظروا قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الأبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق .

قال الشيخ زين الدين المراغي وفتح الكوة عند [٧١] الجدب سنة اهـــل

المدينة حتى الآن يفتحون كوة في سفل قبة الحجرة المقدسة من جهة القبلة وان كان السقف حايلاً بين القبر الشريف وبين السماء كما سبق في صفة الحجرة انتهى

والذي عليه اهل المدينة الشريفة الآن اجتماع عند الجدب تجاه الوجـــه الشريف وفتح الباب المواجه له من ابواب الداربزين المتقدم وصفها وذكر من رأيناه من اشياخنا ان ذلك هو الذي ادركوه وانما أوردنا ذلك للاستشهاد بفعل عائشة رضي الله عنها حيث أمرت بفتح الكوة في سقف الحجرة الشريفة لما في ذلك من المصلحة فظهر انها تنهى عن ما لا مصلحة ولا حاجة فيه ومما يؤيد ذلك بل هو نص فيما نحن بصدده تصريح الفقهاء بصحة الوصية لعمارة قبور الانبيـــاء كما قدمناه وحينئذ فما لا بد منه من الحركات في ازالة ذلك يتعين الاقتصار عليه ، وهو محمود لا مذموم ، لأن إزالة ذلك محمودة مطلوبة ووسيلة المحمودة محمودة وايضاً فهو ﷺ لا يعجبه ابقاء ما أصاب ذلك المحل الشريف لما تقدم فالحركات التي لا بد منها في ازالة ذلك مرضية له ﷺ فليس فيها نقص من الأدب بل هي من تمام الآدب كما قال بعضهم مراعاة حقوق الشريعة وهو لغة الطرق وحسن فتتناول الأمور كلها ولا شك ان تتحقق انه ﷺ [٧٢] لو كان في بيت بين أظهرنا فوقع بالقرب من مجلسه ﷺ هدم لكان يعدّ المبادر إلى إزالة ذلك من مجلسه الشريف أكمل الناس أدباً ، ويُعَدّ المهمل لذلك المقصر فيه ناقص الأدب ، فإن قيل ما ذكره المؤرخون من قبيل الآحاد فينبغي أن لا يعول عليه سداً للذريعة ، ألا ترى ان الإمام مالك رحمه الله تعالى عليه لما أراد الخليفة الرشيد وقيل المهدي وقيل جده المنصور أن يغيّر ما صنعه الحجاج في الكعبة ويردّها إلى ما صنع ابن الزبير نهاه عن ذلك وقال : نشدتك الله لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم أن يغيّره إلا غيّر .

قلنا : أما كون الخبر المذكور من قبيل الآحاد فمحل نظر وعلى تسليمه فخبر الواحد إذا احتفت به القرائن أفاد العلم ، إذ لو كان الأمر بخـلاف ما نقلته الطبقة الأولى في مثل هذا الأمر العظيم لما خفي ولا اشتدت العناية فيه

لما فيه من تنزيه الحضرة الشريفة عن ذلك وكل مسلم يحرص عليه ، فجزم جهابذة الأخيار من العلماء بما قدمناه في مثل هذا المقام يجعل الاحتمال خلافه كالعدم ، على ان من وجوب إزالة ذلك من قبيل العمليات بها بالظنيات والواجب لا يترك بالأمر الموهوم بل لا يسلم احتماله في هذا المقام ، ونهي مالك لمن أراد إعادة الكعبة ليس من هذا القبيل لا إعادتها [٧٣] على تلك الهيئة ليس من الواجب بل من الكمال لهم النبي ﷺ بذلك على ما ورد ولم ينقل عنه ﷺ انه أوجب ذلك ولا أمر به ، فالضرورة لا تدعو اليه ، ولو وقع هدم في الكعبة لما قال عاقل : دعوه سداً للذريعة . على ان ما علل به مالك رحمه الله تعالى نهيه المتقدم لا يتأتى فيما نحن بصدده ان الكعبة الشريفة بقعة من المساجد المنيفة ، فلو رخص في هدمها وإعادتها لرغب كل ملك في ذلك ، ولرآه قربة عظيمة بخلاف الحجرة الشريفة ، فإن حلول المصطفى ﷺ بها مع ما جعل الله له في القلوب من المهابة العظيمة مانع من التهجم على ذلك إذ كل مسلم يجد من نفسه انه لو بذل له ملء الأرض ذهباً على أن يتهجم على تلك الحضرة الشريفة ويدخلها من غير ضرورة تدعوه لما فعل ذلك ، ومما يدل على ذلك ان الضرورة قد دعت الى ذلك ولم يتجاسر أحد عليه كما قدمناه عن المؤرخين مع ان الدخول لأجل الحاجة قد وجّه ولم يتخذ ذلك ذريعة لغيره والله تعالى أعلم .

قصة من ولي الخطابة من غير أهل السنة والجماعة[1]

إعلم وفقني الله وإياك أني قد تأملت في إهمال من كان في زمن حريق المسجد لإزالة ما أصاب ذلك المحل الشريف فوجدت السبب في ذلك تقدُّم الجهلة وأهل البدع [٧٤] في ذلك الزمان وتأخر أهل العلم والسنّة فإنه لم يكن لهم إذ ذاك بالمدينة الشريفة كلمة وما كان الأمر في ذلك الزمان وقبله وبعده بكثير الا للروافض فكان القضاة والخطابة لسنان الحسيني الرافضي وأهل بيته توارثوا ذلك في زمن الخوارج البعيدين لكن كان لأهل السنة إمام يصلي

(١) هذا العنوان من الهامش .

الصلوات الخمس فقط وكانت الخطبة في المدينة الشريفة باسم المتولى من العبيديين بمصر فلما كان عام سبع وستين وخمسمائة قطع صلاح الدين بن أيوب الخطبة لهم واقامها للخليفة العباسي بعد ان تغلب على اقليم مصر من قبل نور الدين الملك العادل وتمكن منه وفي هذه السنة انقرضت دولة العبيديين وكانت خطبة بني العباس قد قطعت من تلك الاقطار مائتي سنة عام تسع وتسعين بخطبة بني عبيد ثم أقيمت للعباسيين من ذلك العهد الى يومنا وانقطعت تلك الشجرة الخبيثة التي لو لم يكن فيها الا الحاكم أحد خلفائهم الذي حار في أمر نفسه فادعى مرة الإلهية وساوى بين الأديان وأراد مرة إخراج المصطفى ﷺ من حجرته الشريفة ونقله الى مصر كما تقدم وفعل ما هو مشهور وكان القضا في زمن العبيديين بمصر وولي قاضيـــاً من الشافعية وبنى لهم مدرسته المعروفة وأظهر [٧٥] السنة بمصر وأعزها بعد ذلها وأما أرض الحجاز فلم يتيسر له ذلك فيها لاشتغاله بامر الجهاد وغير ذلك من الاسباب التي ذكرها أهل التاريخ فاستمر الأمر بيد الشيعة وأهل السنة في ضعف عظيم لا يقدرون على الاقامة بين اظهرهم إلا مع تحمل مشاق عظيمة تفوق الحد والوصف فان ارباب التواريخ ذكروا انه كان يصدر من الرافضة عظائم في الدين تنقطع عند سماعها قلوب المسلمين سيأتي ذكر طرف منها . قال ابن فرحون وكان الأئمة من أهل السنة ذرية المجد أمام الحرم الشريف قال : وأدركت بعضهم وذكروا لنا انهم أقاموا في منصبهم مستضعفين يؤذون فارتحلوا بأولادهم وتركوا املاكهم قال : وكنت اسمع من كبار أهل المدينة أن الشرفاء بعثوا إليهم وأمنوهم أن يرجعوا إلى المدينة فلم يفعلوا حتى أخذت أملاكهم وتملكت انتهى .

ثم استمر تغلبهم على أهل السنة إلى ما بعد السبعمائة حتى قال العلامة ابن فرحون: ولقد أدركت جماعة المجاورين والخدام لا يقرؤن كتبهم ولا يسمعون حديث نبيهم ﷺ إلا خفية حتى قدم الصاحب ابن حنا رحمه الله وأقام بالمدينة

في سنة إحدى وسبعمائة قال: فكثر من قراء المواعد وقام على آل سنان السنان والقاشين فهابوا [٧٦] مكانه من السلطان واستعملوا التقية حتى زعموا انهم رجعوا كلهم سنية وكان يأتيه من البقيع قوافل بالقمح والدقيق والارز وانواع الحبوب فيعطي منه الخدام والمجاورين ويمدّ رؤساء الاماميين وكبار الشرفاء المقيمين حتى شهدوا على انفسهم انهم سنية ولا يحكمون باحكام البدعة ولم يزالوا كذلك حتى سافر الصاحب ابن حنا فرجعوا الى حالهم ولكن بعد هضم جانبهم وكسر شوكتهم فاستمرت المواعيد والقرات والاستماع والسماعات وذهبت ببركة اقامته كثير من البـــدع المؤسسة في المسجد الشريف . انتهى كلام ابن فرحون وذكر جبير في رحلته انه شاهد عند دخوله المدينة الشريفة بعـــد رجوعه من مكة صحبة الحاج العراقي في يوم الجمعة السابع من المحرم عام ثمانين وخمسمائة أمراً يندى له الاسلام يا لله يا للمسلمين ، قال وذلك ان الخطيب وصل للخطبة فصعد منبر النبي ﷺ وهو على ما يذكر على مذهب غير مرضي فلما فرغ من الخطبة الاولى جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء المضروب بها المثل في السرعة وابتدر الجمع مردة من الخدام يخترقون الصفوف ويتخطون الرقاب كدية على الاعاجم والحاضرين [٧٧] لهذا الخطيب القليل التوفيق فمنهم من يطرح له الثوب النفيس ومنهم من يخرج له الشقة الغالية من الحرير ليعطيها وقد اعدها لذلك ومنهم من يخلع عمامته فينبذها ومنهم من يتجرد من برده فيلقي به ومنهم من يدفع القراضة من الذهب ومنهم من يمد يده بالدينارين الى غير ذلك ومن النساء من تطرح خلخالها او تخرج خاتمهـا فتلقيه الى ما يطول وصفه والخطيب في اثناء هذه الحال كلها جالس على المنبر يلحظ هؤلاء المستجدين المستسعين على الناس بلحظات يكرها الطمع والحرص ويعيدها الرغبة والاستزادة الى ان كاد الوقت ينقضي والصلاة تفوت وقد ضج من له دين واخلاص من الناس واعلن بالصياح وهو قاعد ينتظر اشتفاف صبابة الكدية وقد اراق عن وجهه ماء الحياء حتى اجتمع له من ذلك السحت المؤلف

كوم عظيم امامه فلما ارضاه قام واكمل خطبته وصلى بالناس وانصرف اهل التحصيل باكين على الدين يائسين من فلاح الدنيا متحققين اشراط القيمة ولله الامر من قبل ومن بعد انتهى كلام ابن جبير من رحلته نقلته ملخصاً وذكر غيره ان ذلك كان دأبهم في كل موسم واذا كان هذا فعلهم في الموسم مع حضور الحج من اقطار [٧٨] الأرض لزيارة النبي ﷺ في خطبة صلاة الجمعة فما ذاك وان كان هـــذا فمل خطيبهم فما ذاك بغيره فلقد طهر الله تعالى حجرة رسوله ﷺ من دخول هؤلاء القوم وحرمهم الفوز بازالة ما أصاب ذلك المحل الشريف بل لم يصب المسجد الشريف بذلك إلا لعظيم جرمهم كما أشار إليه بعضهم ولهذا أنشد بعضهم شعراً ذلك الزمان :

قل للروافض بالمدينة ما بكم   لقيادكم للـــذم كل سفيه
ما أصبح الحرم الشريف محرقاً   إلا لسبّكم الصحابة فيـــه

وأنشد بعضهم أيضاً :

لم يحترق حرم النبي لحادث   يخشى عليه وما به من عار
لكنما أيدي الروافض لامست   تلك الرسوم فطهرت بالنار

وقد انذرهم الله تعالى في ذلك العام الذي احترق فيه المسجد الشريف بظهور النار العظيمة المشهورة وهي حادثة مهولة عظيمة لم يسمع بمثلها وذلك انه لما كان ليلة الأربعاء ثالث شهر جمادى الآخرة في عام أربع وخمسين وستمائة حدث بالمدينة الشريفة في الثلث الأخير من الليلة زلزلة عظيمة ورجفة قوية أشفق الناس منها ووجلت القلوب من صدمتها وانزعجت الخلائق لهيبتهـــا وبقيت [٧٩] الليل واستمرت إلى يوم الجمعة ولها دوي مثل دوي الرعـــد القاصف،ثم ظهرت نار عظيمة مثل المدينة العظيمة من در وادي يقال لهوادي الاحيلين وسارت هذه النار من مظهرها الى جهة الشمال فخاف عند ذلك أهل المدينة واستولى عليهم الوجل والاشفاق وايقنوا ان العذاب قد أحاط بهم

فاظهر أميرهم الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والانابة واعتق جميع مماليكه وشرع في رد المظالم الى أربابها وهبط من القلعة مع قاضيهم سنان وأعيان البلد والتجأوا الى الحجرة الشريفة وباتوا بالمسجد الشريف باجمعهم حتى النساء والاولاد ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب سنان قاضي المدينة ان هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ورآها أهل ينبع قال الشيخ مجدالدين الشيرازي وغيره : ثم سال من هذه النار نهر من نار وأخذ في وادي أحيلين المتقدم ذكره وأهل المدينة يبصرونها من دورهم كأنها عندهم نور، سارت من مخرجها الى جهة الشمال وهذه ثلاثة أشهر تدب في الوادي دبيب النمل وتأكل كلما مرت عليه من جبل أو حجر ولاتأكل الحشيش والشجر، والشمس والقمر في تلك المدة التي ظهرت فيها النار ما يطلعان الا كاسفين قال أبو شامة : وظهر عند باب دمشق أثر ذلك[٨٠]الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من سبب ذلك إلى ان بلغنا الخبر عن هذه النار وكل من ذكر هذه النار يقول في آخر كلامه :وعجايب هذه النار وعظمها يكل عن وصفها البنان والاقلام ويجل ان يحيط بشرحها البيان والكلام وفي هذا المعنى يقول قائلهم :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا	لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو اليك خطوباً لا نطيق لها	حملا ونحن بهـــا حقاً احقاء
زلازلاً تخشع الصم الصلاب لهـــا	وكيف يقوى على الزلزال شماء
أقام سبعاً يرج الأرض فانصدعت	عن منظرمنه عين الشمس عشواء
بحر من النـــار تجري فوق سفن	من الهضاب لها في الأرض ارساء
ترمي لها شرراً كالقصر طائشة	كانهـــا ديـــة تنصب هطلاء
تنشق منهابيوت الصخر إن زفرت	رعباً وترعد مثل الشعف اضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلى	ان عادت الشمس منه وهي دهماء
قد اثرت سفعة في البدر لفحتها	فليلة التم بعـــد النور ليلاء

تحدث النيرات السبع السنها يما يلاقي بهـــا تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاهـــا بالبروج الى ان صار يلحقها بالأرض اهواء

في ابيات اخرى واستمرت هذه النار تأكل الحجارة والجبال وتسيل سيلاً ذريعاً في واد يكون طوله اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال وعمقه قامـــة ونصف وهي تجري على وجه [٨١] الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك فاذا جمد صار اسود بعد ان كان احمر ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة المذابة في آخر الوادي حتى منتهى الحرة من جهة الشمال حتى قطعت في وادي الشظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار كسد ذي القرنين يعجز عن وصفه الواصف ولا مسلك لانسان فيه ولا دابة فانقطع وادي الشظاة بسببه وصار السيل اذا سال ينحبس خلف السد حتى يصير بحراً مدالبصر عرضاً وطولاً كأنه أرض مصر عند زيادة النيل فانخرق هذا السد من تحته في سنة تسعين وستمائة لتكاثر المـــاء من خلفه فجرى في الوادي المذكور سنتين كاملتين اما السنة الاولى فكان ملء ما بين جانبي الوادي واما الثانية فدون ذلك ثم انخرق مرة اخرى في سنة اربع وثلاثين وسبعمائة وكان ذلك بعد تواتر الأمطار العظيمة في الحجاز فكثر الماء وعلا في جانب السد ومن دونه مما يلي جبل وعيرة وتلك النواحي فجاء سيل طام لا يوصف وبجراه على مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه وحفر وادياً آخر قبلي الوادي والمشهد المذكور قبلي جبل عينين وبقي المشهد وجبل عينين في [٨٢] وسط السيل نحو اربعة اشهر لا يقدر أحد على الوصول اليها إلا بمشقة وكان أهـــل المدينة يقفون خارج باب البقيع على التل الذي هناك فيشاهدونه ويسمعون خريراً توجل القلوب دونه ثم استقر في الواديين القبلي والشمالي قريباً من سنة وكشف عن عين قديمة قبلي الوادي جددها الامير وُدَيّ وهي الآن دامرة ولو وجدت تحصل لأهل المدينة الشريفة بها غاية النفع. ومن العجائب ان السنة التي ظهرت فيها هذه النار واحترق المسجد زادت دجلة زيادة عظيمة فغرق اكثر اهل

بغداد وتهدمت دار الوزير وكان ذلك انذاراً له ايضاً لما سيأتي من عظيم جرمه وتهدمت ايضاً دور كثيرة واشرف الناس على الهلاك وسارت السفن في ازقة بغداد وقد نظم ذلك بعضهم واصلحه ابو شامة منبهاً على ان الأمرين في سنة بقوله :

سبحان من اصبحت مشيئته جارية في الورى بمقدار
في سنة أغرق العراق وقد احرق ارض الحجاز بالنار

ثم في اول السنة التي تلي هذه السنة وقعت الطامة الكبرى وهي اخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة المستعصم على ما سيأتي بيانه فسبحان الملك المظيم الفعال لما يريد المبدع في عجائب مخلوقاته ومن عجائب هذه النار ما ذكره [٨٣] الشيخ جمال الدين المطري قال اخبرني علم الدين سنجر العزّي من عتقاء الأمير عزالدين منيف بن شيحة صاحب المدينة قال ارسلني الامير عزالدين بعد ظهور هذه النار بايام ومعي شخص من العرب وقال لنا ونحن فارسان اقربا من هذه النار وانظرا هل يقدر احد على القرب منها فان الناس هابوها لعظمها فخرجت انا وصاحبي الى ان قربنا منها فلم نجدها فنزلت عن فرسي ومررت الى ان وصلت اليها وهي تأكل الصخر والحجر فاخذت سهماً من كنانتي ومددت يدي الى ان وصل النصل اليها فلم اجد لذلك الماً ولا حراً فعرق النصل ولم يحترق العود فادرت السهم وادخلت فيها الريش ولم يؤثر في العود .

قال : واخبرني بعض من ادركها وقال ابو شامة اخبرني بعض من اثق به ممن شاهدها بالمدينة انه بلغه انه كتب بتيماء على ضوئها الكتب فظهرت بظهورها معجزة من معجزات رسول الله ﷺ فقد صح انه قال: «لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى» فكانت هذه، إذ لم يظهر قبلها من ايامه ﷺ ولا بعدها نار مثلها هكذا ذكره مؤرخو المدينة قلت : وصرح الشيخ عماد الدين ابن كثير [٨٤] بما يقتضي أنه قد أصاب من هذه

النار أعناق الابل ببصرى، فقال أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي قال أخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرّس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبح الليلة التي ظهرت فيها هذه النار ممن كان بحاضرة بلد بصري انهم رأوا صفحات اعناق ابلهم في ضوء تلك النار فقد تحقق بذلك انها للوعود بها في الحديث الصحيح والله اعلم : ورأيت بعضهم أورد اخبار هذه النار مفصلة معزوة للقاضي سنان وغيره من الروافض لأنهم كانوا هم الأعيان بالمدينة الشريفة في ذلك الزمان وكان آية اخذ الخطابة منهم وعودها لأهل السّنّة على ما ذكره المؤرخون سنة اثنين وثمانين وستمائة في دولة المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي فولي الشيخ الأمام العلامة سراج الدين عمر بن احمد بن الخضر الأنصاري وكان فقيهاً متقنا في علوم جمة تفقه بالامام عزّ الدين بن عبد السلام وأئمة تلك الأيام وكان أول خطيب خطب لأهل السنة وكانت قبله في تلك المدة الطويلة بيد آل سنان كما تقدم فخطب سراج الدين المذكور قليلاً ثم لم يقدر على الإقامة فسافر لكثرة ما ناله من الأذى منهم حتى كانوا يحصبونه بالحصى إذا صعد المنبر[٨٥]ثم صار السلطان في كل سنة يرسل مع الحاج شخصاً يقيم لأهل السنة الخطابة والأمامــة الى نصف السنة ، ثم يأتي غيره مع الرجبيّة الى ينبع ثم الى المدينة الشريفة وكل من جاء لا يقدر على الأقامــة نصف سنة إلا بمشقة عظيمة لتسلط الروافض عليه وايذائهم له ثم ان العلامة سراج الدين المذكور وطن نفسه على احتمال الأذى وعاد الى منصب الخطابة ولم يزل مباشراً لذلك اربعين سنة وآذوه أذى شديداً فصبر على ذلـك قال العلامة مجد الدين وغيره : حتى انه كان يصبح وقد اغلق عليــه باب الدار من خارج ويلطخون الباب بالعذرات والأقذار وهو لذلك محتمل صبار وربما بسط عنهم الاعذار ويذكر ان احتراقهم على مفارقة المنصب يحملهم على هذا المقدار فانهم توارثوا الخطابة من زمن الفاطمية فشق عليهم الفطام وصعب انقطاع ما كان يجتمع لهم بها من الحطام فانه كان من عادتهم أن يجمع للخطيب في الموسم

مال جزيل ولا يكمل خطبته حتى يحصل ما علق به نفسه من التأميل انتهى.

وقال العلامة ابن فرحون. أدركت من اذا هم له انهم كانوا يرجمونه بالحصى وهو يخطب على المنبر فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين أيديهم [٨٦] امام المنبر فذلك هو السبب في إقامة صف الخدام يوم الجمعة قبالة الخطيب وخلفهم غلمانهم وعبيدهم قلتُ: واقامة صفهم هناك مستمر الى اليوم وهذا مما بقي بعد زوال سببه ولله الحمد قال ابن فرحون: ثم ان السراج تزوج بنت القيشاني وكان رئيس الأمامية وفقيهها حتى ان المدينة لم يكن لها من يعرف مذهب الامامية حتى جاءها القيشانيون من العراق وذلك انهم كانوا أهل مال عظيم فصاروا يؤلفون ضعفة الناس بالمال ويعلمونهم قواعد مذهبهم ولم يزالوا على ذلك حتى ظهر مذهبهم وكثر المشتغلون به ولم يكن ضد ولا في مصر والشام من يلتفت اليهم لأن الملك العادل نور الدين وصلاح الدين بن أيوب كان همهما الجهاد لا يستقر لهما قرار وكان صاحب المدينة قاسم بن مهنا يحضر مع الملك الناصر صلاح الدين لما استقل بأمر حصر الفتوحات ويلازمه في الغزوات فلم يتجاسر أحد على الكلام في الامامية في ذلك الزمان فلما صاهر القياشين السراج انكفّ عنه الأذى قليلاً وصار يخطب ويصلي من غير حكم ولا امر ولا نهي وكان إذا عقد في البلد عقد نكاح بغير إذن علي بن سنان وأمره طلب الفاعلين من ذلك [٨٧] وعزرهم وسلط عليهم الشرفاء قال: وكان المجاورون وأهل السنة إذا أرادوا عقد نكاح أو فصل حكومة على مذهبهم يأتون والدي ليعقد لهم أو يصلح بينهم فيقول لا أفعل حتى يأتيني كتاب ابن سنان فينهون ويعطونه ما جرت به عادته فيكتب لهم إلى والدي ما صورته يا أبا عبدالله إعقد نكاح فلانة على فلان أو أصلح بين فلان وفلان ولم يزل الامر كذلك حتى كانت أيام شيخ الخدام الحريري فكثر المجاورون وسألوا الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يكون لأهل السنة حاكم يحكم بينهم ويحملهم على مذهبهم فجاء بذلك تقليد للقاضي سراج الدين وجاء على ذلك خلعة والفا

درهم وكان عنده معرفة ومدارة فقال: أنا لا أتولى حتى يحضر الأمير منصور ابن جمّاز فقال له السراج: قد جاءني من السلطان مرسوم بكذا وأنا لا أقبل حتى تكون أنت المولى لي ان لم تكن معي ما يتم امري ولم ينفذ حكمي فقال له: قد رضيت وأذنت فاحكم ولا تغيّر شيئاً من احكامنا ولا حكامنا فاستمر الحال على ذلك فصار السراج بين المجاورين وأهل السنة فلا يقدر احد على الكلام في الأمور هو وامر الخبس راجع اليهم والأعوان تختص بهم والاسجالات تثبت عليهم والسراج يستمين [٨٨] باعوانهم واستمر ذلك مدة السراج وكان عنده صبر عظيم واحتمال كثير ثم صار بعده القضاء يأتي من مصر على هذه الحالة من مشاركة آل سنان لهم في الأمر الى ان كتب القاضي بدر الدين القيسي في الشكاية على طفيل امير المدينة الى السلطان الملك الناصر وكان القاضي شرف الدين الاميوطي سبقه لذلك. انهي ايام ولايته فعزله السلطان وولي سعيد بن ثابت فلما استقر بالمدينة بدأ يمنع آل سنان وغيرهم من التعرض للاحكام وعقد الانكحة ورد الأمر جميعه لأهل السنة تقرباً الى قلوب السلطنة باظهار السنة واهلها واخماد البدعة واهلها وامر بالبدء بذلك في المدينة الشريفة في الثامن والعشرين من ذي الحجة احد شهور سنة خمسين وسبعمائة فمن يومئذ انقطع امرهم وبهيمهم بالكلية وظهر السنة واجتمعت الكلمة.

انتهى ما ذكره ابن فرحون وفي كلام غيره نحو ذلك ايضاً وانما ذكرنا هذه الامور كلها ليظهر لك حال من كان له الأمر بالمدينة الشريفة في ذلك الزمان فلا يخطر ببالك انه لو كان الأدب في ازالة ما اصاب ذلك المحل الشريف لما تقاصرت عنه همم اهل المدينة الشريفة في ذلك الزمان ولو لم يكن إلا اتصافهم بالبدعة لكان كافياً لأن البدعة نظر انقلب فلا يميز صاحبها بين الخطأ والصواب نسأل الله السلامة والعافية فان قيل: فهل لا اريل ذلك بعد [٩٠] رجوع شيء من الأمر لأهل السنة بالمدينة الشريفة ولم أخر ذلك الى يومنا هذا وهلا بادر أهل بغداد لنظر في هذا الأمر؟ قلنا: الشيء إذا كان حكمه معلوماً

من جهة الشرع يتعين فعله ولا ينظر الى كون من تقدم لم يفعله والاستدلال بفعل من تقدم إنما يكون في شيء لا يعلم حكمه من جهة الشرع ، ألا ترى ان كثيراً من البدع فعلت في الزمن المتقدم واستمرت الى يومنا هذا فهل يجوز أن يقال حكمها تغيّر بسبب ذلك؟نعم لا بأس بسلوك المحامل الحسنة والتأويلات لمن تقدم فنقول: قد تقرر أن الأمر لم يرجع إلى أهل السنة الا بعد مدة متطاولة بحيث نسي هذا الأمر الا ترى انه لا يطلع عليه الآن إلا الأفراد من الناس وقد تكلمت في هذه المسألة مع قاضي القضاة جمال الدين الباعوني لما ورد المدينة الشريفة حاجاً فأورد عليّ السؤال المتقدم فأجبته بما تقدم ثم قلت له: كم سنّ مولانا فقال نحو السبعين والثمانين الشك مني فقلت له : فهل اطلعت على هذا الأمر؟ فقال: لم اسمعه إلا منك الآن فقلت الاستدلال بترك من تقدم لذلك على تقدير صحته إنما يكون بعد العلم باطلاعهم عليه باجمعهم ولم يثبت ثم من اطلع عليه قد يكون تكلم فلم يسمع منه وربما غلب عليه التقليد لمن مضى فإن الطباع قد جبلت على ذلك فلم يتجاسر على التكلم في ذلك ولأن المقام عظيم فربما يحجم ببادي الرأي عن ذلك ولهذا قال المطري [٩٠] كما قدمناه في الباب الأول انهم قصدوا عند عمارة السقف إزالة ذلك فلم يجسر احد على النزول هناك وقال العلامة مجدالدين فيما قدمنا عنه: انه لا يتأتى من كل احد بادي بدئه الدخول في ذلك والاقدام ويحتمل أن أهل السنة في ابتداء رجوع الأمر اليهم لم يفعلوا ذلك خشية من استطراق الروافض للتوصل الى الحجرة الشريفة فربما يتجاسرون على اخراج الشيخين رضي‌الله عنهما من هنالك فقد ذكر العلامة الشيخ محب الدين الطبري في كتابه «الرياض النظرة» مايقتضي همهم بذلك فمنعهم الله تعالى وخذلهم ولفظه: اخبرني هارون ابن الشيخ عمر وهو ثقة صدوق مشهور بالخير والصلاح والعبادة عن ابيه وكان من الأكابر قال : كنت مجاوراً وشيخ خدام سيدنا رسول الله ﷺ إذ ذلك شمس الدين صواب اللمطي وكان رجلاً صالحاً كثير البرّ بالفقراء والشفقة عليهم وكان بيني وبينه أنس فقال لي ذات يوم: اخبرك

بعجيبة كان لي صاحب يجلس عند الأمير ويأتيني من خبره بما تمس حاجتي اليه فبينما أنا ذات يوم إذ جاءني فقال : أمر عظيم حدث اليوم قلت: وما هو؟ قال جاء قوم من أهل حلب وبذلوا للامير مالاً كثيراً وسألوه ان يمكنهم من فتح الحجرة واخراج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما منها فاجابهما الى ذلك قال صواب : فاهتممت لذلك هماً عظيماً فلم انشب ان جاء رسول الأمير المدينة يدعوني فأجبته فقال لي : يا صواب يدق عليك الليلة اقوام المسجد فافتح لهم ومكنهم مما أرادوا ولا [٩١] تعارضهم ولا تعترض عليهم. فقلت له : سمعاً وطاعة وخرجت فلم أزل يومي اجمع خلف الحجرة أبكي لا ترقأ لي دمعة ولا يشعر احد بما بي حتى إذ كان الليل وصلينا العشاء الآخرة وخرج الناس من المسجد وغلقنا الأبواب فلم نلبث ان دق الباب الذي حذاء باب الأمير ففتحت الباب فدخل اربعون رجلا اعدهم واحداً بعد واحد ومعهم المساحي والمكاتل والشموع وآلات الهدم والحفر فقصدوا الحجرة الشريفة ووالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم بجميع ما كان معهم من الآلات والشموع وغير ذلك ولم يبق لهم أثر فاستبطأ الامير خبرهم فدعاني وقال: يا صواب ألم يأتك القوم؟ قلت بلى ولكن اتفق لهم ما هو كيت وكيت فقال: انظر ما تقول فقلت هو ذلك. فقال: انظر هل ترى لهم من باقية او ترى لهم أثراً فقال لي هذا موضع هذا الحديث وان ظهر عنك يقطع رأسك ثم خرجت عنه فلما وعيت هذه الحكاية عن هارون حكيتها لجماعة من الأصحاب ومنهم من اثق بحديثه فقال وأنا كنت حاضراً في بعض الأيام عند الشيخ ابي عبدالله القرطبي والشيخ صواب يحكي له هذه الحكاية فسمعتها بأذني من فيه .

انتهى كلام الطبري وقد حكى هذه الحكاية ملخصة العلامة عبد الله المرجاني في كتابه « أخبار المدينة » وقال سمعتها من والدي يعني الوالد الكبير أبا عبدالله المرجاني وقال سمعتها من والدي أبي محمد المرجاني سمعها من خادم الحجرة .

[٩٢]وقال أبو عبدالله المرجاني ثم سمعتها انا من خادم الحجرة الشريفة وذكرها بنحوه إلا انه قال فدخل خمسة عشر أو قال عشرين رجلاً بالمساحي والقفاف فما مشوا غير خطوة أو خطوتين فابتلعتهم الأرض ولم يسم الخادم. وأما اهل بغداد فقد تقدم في الباب الأول الاعتذار عنهم بانهم كانوا مشغولين بما داهمهم من أمر التتار فلذلك لم يرد جوابهم عن هذا الأمر وقصتهم مع التتار عجيبة مهوله ولم يتفق مثلها من قبل ولا من بعد وتلخيصها على ما ذكره المؤرخون ان وزير الخليفة المعتصم بالله مؤيد الدين بل هو خاذل الدين ابن العلقمي الرافضي كان بينه وبين ابي بكر ابن المستعصم والدوادار عداوة عظيمة لأذيتها لاخوانه الرافضة ونهب محلتهم المسماة بالكرخ فانه كان قد وقع في سنة خمس وخمسين وستمائة فتنة بين أهل السنة والرافضة ببغداد فادت إلى نهب وقتل جماعة وذلت الرافضة اخوانه وأوذوا فكاتب التتار وحرضهم على أخذ بغداد لاجل ما جرى على الرافضة من النهب والخزي وظن المخذول أن الأمر يتم له وان يقيم خليفة علويا فارسل اخاه ومملوكه الى هلاكو اخزاه الله يسهل عليه أخذ بغداد وطلب ان يكون نائباً لهم عليها فوعدوه بذلك ثم ساروا ونزلوا على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة وفي كلام بعضهم انه حلق رأس انسان[٩٣] وكتب الرسالة على رأسه بالوشم وفي آخرها: اذا قرأتم الرقعة قطعوها. وتركه الى ان ينبت شعره واستتر ذلك بالشعر بعث به اليهم وقال له مُرهُم يحلقوا رأسك ويقرأوا مـــا عليها ففعلوا ذلك ثم قتلوه امتثالاً لأمره فلما نزلوا على بغداد اشار ابن العلقمي على المعتصم بالله ان يرسله اليهم في تقرير الصلح فخرج الخبيث وتوثق لنفسه ورجع فقال للمستعصم ان الملك هلاكو قد رغب في ان يزوج بنته بابنك الامير ابي بكر وان يكون الطاعة له كما كان اجدادك مع الملوك السلجوقية ثم يرتحل عنك فاجابه الخليفة الى ذلك وخرج اليه الخليفـة في اعيان الدولة ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا لعقد ابن عمه فخرجوا اليه فضربت رقابهم وصار يبعث الى طائفته فتضرب اعناقهم حتى

بقيت الرعية بلا راع ثم أمر هلاكو بالمستعصم وولده ابي بكر فرفسا حتى ماتا ثم دخلت التتار بغداد وبدلوا السيف في اهلها واستمر القتل والسبي نيفاً وثلاثون يوماً فقل من نجا وعبارة ابن السبكي في الطبقات الوسطى وقتل امير المؤمنين وبعده ساير المسلمين ورفع الصليب على جدران دور بني العباس وسمع الناقوس من بيوت الخلفاء بني عم نبي الله محمد المصطفى ﷺ وانتهكت المحارم وخربت الجوامع وعطلت المساجد وصارت بلاقع .

وقال النجم سعيد الذهلي في مقدمة [٩٤] تاريخه ان عسكر بغداد كان قد خرج اليهم اولاً فهربوا وتبعهم عسكر بغداد وقتل البغداديون منهم خلقاً وابعدت لاويهم الى بغداد فلما تعدوا نهر نشيرين من دجيل فتح عسكر هلاكو من نهرا نشير المذكور فحال بين عسكر بغداد والرجوع اليها وحكي لي بعض الأعيان أن ابن العلقمي انفذ احد اصحابه وفتح ذلك النهر على جيش المسلمين والله أعلم فدهمهم عسكر هلاكو ليس لهم منجى فلم ينج منهم إلا من نجت به دابته من المياه والاوحال والقي عالم عظيم انفسهم في دجلة طلباً للسلامة فهلكوا لما نقل اللامة وغلقت أبواب سور بغداد ونصب عليـــه المناجيق وصعد من تخلف ببغداد من الرمي ويقولون : الحال ينصلح انشاء الله فلا تظهرون حرباً فبقي أياماً كذلك ثم عاد الى بغداد وعسكر هلاكو يبالغون ويرمون المناجيق حتى صعدوا على السور وتمكنوا من البلد ثم ذكر خروج ابن العلقمي اليهم ثم رجوعه وخروج الخليفة وابنه اليهم ثم قتل الخليفة ووقوع السيف في بغداد قال: وعمل السيف في بغداد مدة شهر وعشرة أيام ولم ينج إلا الطفيف من أهل بغداد والا اهل الحلة والكوفة فإن أكابرهم توصلوا الى هلاكو في الطاعـــة والانقياد وقضى الله سلامة أهل البصرة [٩٥] لعدم تمكن العسكر من العبور اليهم بطريق المد والجزر ومسح السيف من عداهم من أهل الضياع وغيرهم سوى النصارى وخلت بغداد من أهلها واستولى عليها الحريق فحرقت المحال والأسواق واحترقت دار الخليفة والجامع الكبير بها حتى وصلت النــــار الى

خزائن الكتب الخاصة وعم الحريق اكثر الأماكن حتى القصور البرانية مثل الحلة وترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة وشوهد بحت مدفن الأمام المستنصر بالله عظام الخلفاء ورؤسهم وآثار الحريق وشوهد على بعض حيطانها مكتوب :

ان ترد عبرة فهــذي بنو العبــاس دارت عليهم الدايرات
استبيح الحريم إذ قتل الأحيا ء منهــم واحرق الأموات

ولم يسلم من الحريق الا ما سكنه عسكر هلاكو في الوقعة ، وقد جافت القتل وامتزجت بالاوحال حتى لم يبق للمار في الأسواق موضع قدم الا على قتيل ووجد في كثير من المواضع جثث القتلى كالتلول الكبار وشاهد من سلم من الأهوال ما لا يعبر عنه ثم عم الوباء وكثرة الموت والفنا ، وثار الذباب على الناس حتى غطى الجدران ووصلت قوافل الحلة بأنواع المأكول وكانوا يتعرضون للكتب المجلدة النفيسة كل مجلد بفلس ، فإن خزاين الوقوف نهبت واحترقت الكتب[٩٦] وألقيت تحت أرجل الدواب ، وشوهد بالمدرسة المستنصرية معالف للدواب مبنية بالكتب موضع اللبن ، وكذا كان بباب سوق النظامية ، قال : وبالجملة فلم يسمع في قديم الزمان بأعظم من هذه الحادثة ، انتهى ملخصاً .

ويقال ان هلاكو أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر ، فعند ذلك نودي بالأمان ، ثم هلك ابن العلقمي في السنة المذكورة قبل شهر رجب ، وخيّب الله أمله ، وانعكست عليه آراؤه وأكل يده ندماً ، فإنه بعد تلك الرتبة الرفيعة ووزارة العراق منفرداً أربع عشرة سنة منفرداً ولي وزارة التتار مشاركا لغيره وانحطت رتبته ، حتى كان يركب كديشاً فصاحت عليه امرأة : يا ابن العلقمي ، هكذا كنت تركب في أيام أمير المؤمنين ؟ ! وكان ذا حقد وغلّ لأهل السنة . وكان المستعصم آخر الخلفاء العراقيين ، وكانت دولتهم خمسمائة سنة وأربعاً وعشرين سنة ، وكان هذا الخليفة حليماً كريماً سليم الباطن لكنه كان لا يخرج عن رأي ابن العلقمي ، فدبّر هذه المكيدة التي أهلكت المسلمين .

وكانت بغداد في ذلك الزمان فسطاط الإسلام ومحط رجال العلماء وأهل الصلاح فهلك غالبهم ، وبقي الوقت بلا خليفة ثلاث سنين ، ومن أحسن ما أنشد في ذلك قول ابن التعاويذي [٩٧] :

بادتْ وأهلوها معاً فبيوتهم ... ببقاء مولانا الوزير خراب

ولا يسع مختصرنا هذا من الكلام على هذه القصة أكثر من هذه النبذة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

الخاتمة الموعود بها في أمور ينبغي إزالتها من الحضرة الشريفة

فمن ذلك ما قدمناه في الباب الأول من حدوث غلق الأبواب والدرابزين الدائر على الحجرة الشريفة ، وتعطيل بعض الروضة المنيفة ، من الصلاة فيها ومنع الزائرين من الوقوف في موضع السلف رضوان الله عليهم ، فيجب فتح تلك الأبواب وتمكين الزائرين والمصلين من ذلك المحل الشريف على ما قدّمناه في الباب الأول ، فإن قيل : يلزم من تمكين الزائرين من الدخول الى هناك ان الجهلة منهم يتعاطون بدعاً أمام تلك الحضرة الشريفة من استلام الجدار الدائر على الحجرة الشريفة والتمسح به والتزامه ونحو ذلك ، وقد نهى الغزالي عن ذلك وقال : انه من فعل النصارى ، وقال في شرح « المهذب » : يكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر الشريف . قال أبو عبد الله الحليمي وغيره قالوا : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، انتهى .

وقال ابن جُملة : ان مالكاً رحمه الله نص على ان من أدب الزائر أن لا يمسّ القبر بيده ، وكذا غير مالك .

قلنا : هذه أمور بعينها تفعل الآن في الدرابزين المذكور فلم يحصل [٩٨] تنزيه الحضرة من ذلك مع ما ذكره على ان الشيخ محب الدين الطبري قال : يجوز التقبيل والمس وعليه عمل العلماء الصالحين ، وأنشد :

لو رأينـــا لسليمى أثراً ... لسجدنا ألفَ ألفٍ لــلأثر

وقال الآخر :

أَمُرُّ على الديار ديار ليلى أُقَبِّلُ ذا الجدار وذا الجدار

وقال السبكي في رده على من سأله في مسألة الزيارة : ان عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه ، فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله الحسيني في كتاب « أخبار المدينة » قال : حدثني عمر بن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبدالله بن حنطب قال : أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال : أتدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم اني لم آتِ الحجر ولم آت اللبن إنما جئت رسول الله ﷺ ، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله ، قال المطلب : وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري .

قال السبكي وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوقه ثقات وعمر بن خالد لم أعرفه ، فإن صح هذا الإسناد لم [٩٩] يكره مس جدار القبر ، وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهية ذلك ، انتهى .

قلت : وقد روى ذلك الإمام أحمد في مسنده فقال : حدثنا عبد الملك ابن عمرو قال : حدثنا كثير بن زيد عن داود بن أبي صالح قال : أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال : أتدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال : نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تبكوا على الدين » ـ الحديث المتقدم ـ ولم يتحرر لي حال بعض رجال إسناده ، غير اني رأيت بخط الحافظ العلامة الشيخ أبي الفتح ابن الحافظ أبي بكر بن الحسين المراغي ما صورته : عن داود ابن أبي صالح قال : أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر ، إلى قوله : ولم آت الحجر ، رواه الإمـام أحمد بسند حسن ، انتهى . وهو ثبت لا يكتب مثل ذلك إلا عن مستند . ثم رأيت ما يؤيـد ذلك ، فإني رأيت الهيتمي في « مجمع الزوائد » أورده في باب ولاية المناصب غير أهلها ،

ثم قـــال : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » وفيه كثير بن زيـــد ، وثقه أحمد وغيره ، وضعفـــه النسائي وغيره ، وأورده أيضاً في باب : وضع الوجـــه على قبر رسول الله [١٠٠] ﷺ ولم يذكر تضعيف كثير بن زيد وقد اقتضى قول السبكي المتقدم وابو نباتة ومن فوقه ثقات توثيق كثير بن زيد وذكر الخطيب بن حملة ان بلالاً رضي الله عنه وضع خديه على القبر وان ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف.

قال : وقد رأيت في كتاب « السؤالات » لعبدالله بن الامام أحمد فيما سأله لابيه قال : وسأله يعني اباه عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك او نحو هذا يريد بذلك التقرب الى الله عزوجل فقال لا بأس بذلك. ولا شك ان الاستغراق في المحبة يحمل على الأدب في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته فاناس حين يرونه لا يملكون انفسهم بل يبادرون اليه وأناس فيهم اناة يتأخرون والكل محل خير انتهى .

ولا شك ان اثار المحبة تتعدى الى كل ما يتعلق بالمحبوب وينسب اليـــه ويقرب منه على ما لا يخفى . وقال الحـــافظ بن حجر : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر تقبيل كل من يستحق التعظيم من ادمي وغيره فاما تقبيل يد الآدمي فتكلمنا عليه في كتاب الادب واما غـــيره فنقل [١٠١] عن الإمام احمد انه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم ير به بأساً واستبعد بعض اتباعه صحة ذلك ونقل عن ابن ابي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف واجزاء الحديث وقبور الصالحين انتهى والله اعلم ومن ذلك الطابق الذي كان طريق آل عمر رضي الله عنه بالرواق الثاني من القبلة من تجاه جهة الوجه الشريف وله شباك في اعلا قمة من جهة القبلة واصل هذا الطابق ان بيت حفصة رضي الله عنها ملاصقاً لبيت عائشة

رضي الله عنها من جهة القبلة. قال ابن زبالة: وكان بينه وبين منزل عائشة رضي الله عنها طريق وكانا يتهاديان الكلام وهما في منزلهما من قرب ما بينهما فادخل بعض ما يحاذي المسجد منه من جهة القبلة في زيارة عمر رضي الله عنه ثم بعضه ايضاً في زيادة عثمان رضي الله عنه لما زاد في المسجد من جهة القبلة فلما احتيج في الزيارة الى بيتها قالت: فكيف بطريقي الى المسجد فقيل لها نعطيك اوسع من بيتك ونجعل لك طريقاً مثل طريقك فاعطوها دار عبدالله بن عمر، وكانت مربداً وجعلوا لها طريقاً الى المسجد فلما كتب الوليد بن عبدالملك لعمر بن عبدالعزيز وهو عامله على المدينة الشريفة يأمره ان يزيد في المسجد وان يدخل حجر [١٠٢] ازواج النبي ﷺ في المسجد ومن أبى هدم عليه ووضع له الثمن فلما صار الى القبلة وأراد ادخال ما بقي من دار حفصة رضي الله عنها وهو موقف الزائرين اليوم تجاه الوجه الشريف داخل الدرابزين وخارجه دعا آل عمر وقال لهم ان امير المؤمنين قد أمرني ان ابتاع المنزل وادخله في المسجد فقال له عبيدالله ابن عبد الله بن عمر لسنا نبيع هـــــذا هو حق حفصة وكان النبي ﷺ يسكنها فقال له عمر ما أنا بتارككم فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر اجعل لكم في المسجد باباً تدخلون منه واعطيكم دار الدقيق مكان هذا وما بقي من الدار فهو لكم قالوا: انت وذاك فاما طريقنا فانا لا نقطعها فهدم البيت واعطاهم الطريق ووسعها لهم وكان قبل ضيقه قدر ما يمر الرجل منحرفاً فلما حج الوليد ودخل المدينة وطاف في المسجد رأى الباب فذكر له ما جرى بينه وبين آل عمر في بيت حفصة فقال له الوليد اتراك قد صانعت اخوالك؟ واستمر ذلك الباب طريقهم الى المسجد حتى عمل المهدي مقصورة على الرواق القبلي وقد احرق في حريق المسجد الشريف فمنعوهم الدخول من بابهم فجرى في ذلك ايضاً كلام كثير فاصطلحوا على ان يسدوا الباب المذكور ويجعل شباك حديد ويحفر لهم من تحت الأرض طريق يخرج [١٠٣] الى خارج المقصورة في الرواق الثاني في هذا الطابق الموجود اليوم وبابه مقفل يفتح ايام الاحواج(؟) هذا حاصل

ما ذكره المؤرخون في امر هذا الطابق قالوا: هذه الدار التي يتوصل اليها من هذا الطابق تسمى اليوم دار العشرة وليست بدار العشرة وإنما هي دار آل عبدالله بن عمر انتهى .

ولم يزل هـــذا الطابق الى اليوم لكن إنما يتوصل منه الى شارع فيه دور كثيرة وعليه قفل حديد يتعثر به المار في المسجد إذا غفـــل عنه وليس في وجوده اليوم الا مجرد مفسدة [1] وذلك اني قـــد شاهدت بعض الناس يتعثر به وهو مقفل دائمـــاً وأما فتحه في أيام قدوم الحاج فالاكاذيب تقررت واشتهرت عند أهل المدينة الشريفة يتوصل بها بعضهم الى أخذ شيء شبيه بالمكس يأخذونه ممن ينزل هذا الطابق من الحاج وذلك أن البيوت التي يتوصل منه اليها في جهة القبلة سموها اولا دور العشرة كما ذكره المؤرخون ثم زادوا على ذلك فسموا بعضها دار عائشة رضي الله عنها وبعضها دار فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ الى غير ذلك من الأكاذيب فإذا فتح هذا الطابق عند قدوم الحاج وقف عنده جماعة يزوّرون من يقـــدم من الحجيج ولا يمكنون أحداً من الدخول منه حتى يبذل لهم ما [١٠٤] يرضيهم فيدخلون بهم من هذا الطابق بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ ويذهبون بهم الى تلك البيوت التي اختلقوا لها تلك الاسماء ويقولون : هذا بيت بنت رسول الله ﷺ وهذا بيت زوجته عائشة رضي الله عنها الى غير ذلك من الاكاذيب ليبذلوا لهم شيئاً يسيراً من الحطام .

واخبرني بعض من اثق به ممن ليسوا على هذا الأمر فدخل معهم انه شاهد من اختلاط النساء بالرجال في اسفل الطابق والازدحام ما لا يرضى الله ولا رسوله ﷺ مضافاً الى تلك الاكاذيب التي قدمنا وذكرها بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ ليمنعوا بذلك الزائرين على الذهاب معهم مع ان زيارة تلك البيوت يتأتى لمن ارادها بدون فتح هذا الطابق وذلك بان يخرج اليهـــا من ابواب المسجد التسعة ويذهب اليها ويزور ذلك المحل الشريف النبوي من

(١) ازاله الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨ هـ بسعي المؤلف .

فينبغي سد هذا الطابق أصلاً ورأساً ، فإن الطريق إلى قطع الشر قطع أصوله ولو لم يكن في ذلك إلا تخلص المار للزيارة من التمثر به وقد كان للمسجد عشرون باباً جعلها عمر بن عبدالعزيز لما زاد في المسجد سُدَّ منها بعده ستة عشر باباً لعدم الحاجة اليها مع عدم اشتمالها على مثل هذه المفسدة والله تعالى أعلم ومن ذلك [١٠٥] ان العادة جرت بفتح باب الحرم الشريف عند الأذان الأول لصلاة الصبح وفي شهر رمضان قبل السلام لصلاة بقية التراويح اهل المدينة الشريفة فيجتمع الناس على باب الحرم ويكثرون في شهر رمضان ويتأذون بطول الوقوف فإذا فتح الباب تجاروا الى حيازة الصف الأول والروضة الشريفة وتسابقوا سباق الفرس في حلبة الرهان حتى تتزلزل الأرض زلزالها وكأنهم لم يسمعوا قط حديث: « إذا أتى أحدكم الصلاة فليأتها وعليه السكينة والوقار » مع اشتمال ذلك على امتهان المسجد الشريف بشدة العدو فيه في ذلك الوقت المنيف واشتغال قلب من يكون بالمسجد وتفريق قلبه بسماع وقع ارجلهم وقلة آدبهم بارتكاب ذلك في حضرته ﷺ مع نهيه عن ذلك وايذائه ﷺ ما يحدث بسبب شدة عدوهم وهم منهى عنه في اضطراب الأرض وتزلزلها، وقد قدمنا أن عائشة (ض) كانت تسمع صوت الوتد يدق، والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم ان لا تؤذوا رسول الله ﷺ وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه انه قال لرجلين من أهل الطائف [١٠٦] لو كنتما من أهل البلد لاوجعتكما ضرباً ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ولا شك ان ذلك الجري عظيم ابلغ مما ذكرت بمرات كثيرة والذي يظهر لي ان فاعل ذلك اذا حاز به ذلك الاول في الروضة الشريفة لا تحصل له فضيلتها لأن القربة إذا جعلت على وجه منهي عنه لا ثواب فيها وان صحت كما يتبين في موضعه بل يأثم فاعل ذلك لما قدمناه وما أقبح خاسراً يظن انه رابح وهالكاً يظن انه ناجح ، ويجب على ولي الأمر أيده الله تعالى ازالة هذا الأمر والمنع منه ومعاقبة من تمادى عليه ولقد كنت انكر هذا الأمر وأظنه

انما حدث في هذه الازمان حتى رأيت العلامة ابن فرحون وغيره ذكر ذلك ونبه على انه شاهد شروراً وأموراً عصيبة اتفقت من المتسابقين بسبب ذلك قال : ولو فتح صاحب النوبة الاول فالاول منهم لأزال هذه المفسدة العظيمة عنهم وهو بامتناعه من ذلك مدخل نفسه في عموم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) والمسؤول من الله تعالى الهداية والتوفيق فهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. ومن ذلك ان في ليالي الزيارات المشهورة كاول جمعة في رجب وليلة السابع والعشرين منه وليلة النصف من شعبان والسابع والعشرين [١٠٧] من رمضان بل في غالب ليالي الجمعات يكثر اجتماع النساء فيما بين المغرب والعشاء تجاه الوجه الشريف وهن على هيئة منهي عنها في خروجهن من التزين والتطييب بانواع الروائح العطرة ثم يجتمع معهن ويخاطبهن في ذلك الوقت جمع كثير من الرجال ممن يريد الفساد واما أهـــل الخير ومن عنده حياء فيتجنب الزيارة في ذلك الوقت ويستمر ذلك مفسدة عظيمة . ذكر لي بعض من اثق به بانه شاهد اشياء استقبح ذكرهـــا بتلك الحضرة الشريفة والطريق في ازالة هذه المفسدة ان يجعل هذا الوقت وهو مـــا بين المغرب والعشاء في تلك الليالي واقبل (؟) بالنساء ويمنع الرجال والاختلاط بهن في ذلك الوقت وتكون زيارتهم بعد صلاة العشاء او قبل صلاة المغرب وقـــد حاول خدام الحرم ذلك عند قيام بعض اهل الخير فيه فـــلم يتم لهم لشدة شكيمة المفسدين والطريق في ازالة ذلك ان يأمر صاحب المدينة الشريفة ويباشره بنفسه مدة حتى تستمر العادة به ويبلغ اهل الفساد وفعل ذلك من المهمات العظيمة ولو فتح بعض أبواب الدرابزين المتقدم ذكرها ، وجعل للنساء هذا الوقت دائما وتقف جماعة من الخدام على الباب لمنع من يخالطهن لكان من اعظم الحسنات والله تعالى اعلم .

ومن ذلك ما يقع في صلاة التراويح في شهر رمضان بسبب تعدد [١٠٨] الجماعة وفعلها معاً من الاشتباه على المأمومين بحيث لا يعرف بعضهم حركات امامه من حركات الإمام الآخر وتشتت بالقلب بسماع كل واحد صوت مبلغ

الامام الآخر وما أقبح الابتداع بتلك الحضرة الشريفة وإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جمع الناس فيها على امام واحد مع كثرتهم وضيق المسجد واجمع على ذلك من بعده فكيف نفرقهم نحن في زماننا مع سعة المسجد وقلتهم وقد تكلمنا في الأصل على هذا المحدث وابتداء حدوثه وكيفيته وانه جرى الى تلك الحضرة الشريفة من مكة المشرفة اما ما يفعل بمكة من التعداد وفعل بعض الصلوات جماعات معاً واكثار التعدد في صلاة التراويح فمن المنكرات المشتملة عليها بيناها في الأصل والله أعلم .

ومن ذلك ما عمت به البلوى من تأخير السجاجيد في الصليات بالروضة الشريفة لاسيما في شهر رمضان ويستمرون ذلك فيما بين الصلوات ويضعونها الى جوارهم فيأتي من يرغب في الصف الأول فيجده خالياً من الناس مشغولاً بالصليات وربما حضرت الصلاة ولم يأت بعضهم ووقع بمكة المشرفة نحو ذلك وهو من المنكرات كما نبه عليه جماعة من المتكلمين على المسجد الشريف وقد جوزنا حكم السبق الى المسجد وبسط المصلي في الأصل وحاصله ان الحق في السبق [١٠٩] لبعض بقاع المسجد انما يثبت لمن حضر اليه وجلس فيه فإذا جلس لانتظار صلاة لم يصر أحق به في غيرها ومتى فارق بغير حاجة بطل اختصاصه سواء خرج بنية العود أولاً وسواء ترك زاده في هذه الحالة كان متحجراً لما لا يستحقه ويجوز لغيره تنحيته والجلوس مكانه قالوا : فمن بعث الى المسجد ففرش له قال في «الروضة» : ويجوز أن يبعث من يأخذ له موضعاً فاذا جاء تنحى المبعوث ولو فرش لرجل ثوب فجاء آخر لم يجز أن يجلس عليه وله أن ينحيه ويجلس مكانه . قال في «البيان» : ولا يرفعه لئلا يدخل في ضمانه انتهى .

لكن قد رأينا فاعل التنحية يحصل له تأذٍ من أرباب تلك الصليات فالواجب في ذلك أن يقوم ناظر المسجد ومن له شوكة بتنحية تلك الصليات لجهة امام الصف وخلفه لتندفع المفسدة والظاهر ان ذلك كان يفعل فيما تقدم قال ابن فرحون : وكنت أعرف خداماً موكلين بالسجاجيد كريحان الموصلي

اذا وضع أحد سجادته وما كان أهلاً لذلك أخذوهـــا ومتى غلبوا عليهم وكثروا جمعوا السجاجيد وأخفوها حتى يحترق عليها صاحبها فيردونهـــا اليه ويستتيبونه انتهى . لكن تفرقته بـــين الأهل وغيره ليس بصواب لأن من انصرف عن سجادته لغير حاجة جاز تنحيتها مطلقـــاً [١١٠] شريفـــاً كان أو خسيساً ومن انصرف لحاجة بعد ان جلس لانتظار صلاة فحقه باق سواء ترك فيه سجادة أم لا وقيل انما يكون حقه باق في هـــذه الحالة اذا بسط فيه سجادة او رداء، وعمل الناس في هذه الازمان على هذا فحينئذ لا يجوز لغيره تنحية ما تركه والجلوس في موضعه ومثلوا الحاجـــة بحدث أو بسبق رعاف أو تجديد وضوء أو اجابة داع ونحو ذلك ويدخل في قولهم ونحو ذلك المضي لحاجة الأكل والشرب وقد كنت في شهر رمضان بالمدينة الشريفة أذهب فيما بين المغرب والعشاء إلى خلوة اعتكف بها في اواخر المسجد الشريف للافطار فاترك سجادتي بالموضع الذي سبقت اليــه ثم افطر واجدد الوضوء وارجع اليه وافعل ذلك ايضاً في غير رمضان إذ اذهبت للبيت للعشاء، تمسكا بما قدمته وتأبيد السجادة ليس من هذا القبيل وهل فاعل ذلك تفوته فضيلة الصف الأول المرغب فيـــه هو من يأتي المسجد اولا ؟ والقربات لا تنال بارتكاب المنهيات. وقد حكي ابن فرحون وغيره عن سيدي ابي عبدالله القصري انه قال رأيت في النوم كأن ناراً استعرت في الروضة وهي تعمل في السجاجيد وأنا اصيح والله يا رب ما سجادتي من تلك [١١١] السجاجيد قال: وكان يحكي هذه الرؤيا في الميعاد وكان يقول إذا جئت إلى الروضة ولم أجد لي فيها مدخلاً فرحت وسررت لما رأيت من الحرص على الخير انتهى .

وقد رأيت غالب الناس يحرصون على الصف الثاني والثالث مما يعتقدونه الروضة ويتركون بقية الصف الأول مما يلي المنبر من جهة المغرب حرصاً على الكون فيما يعتقدونه الروضة وهذا خطأ فقد صرح العلامة النووي بتفضيل الصلاة في الصف الأول ايام الموسم وهو مما زاده عثمان رضي الله عنه على الصلاة

في الروضة الشريفة مع قوله ان المضاعفة الواردة في مسجده ﷺ خاصة بالموجود في زمنه ﷺ لا يتجاوزه الى ما زيد فيه وعلل ذلك بان الفضيلة المتعلقة بهيئة العبادة افضل من المتعلقة بمحلها وصرح ايضاً بان المنبر ونحوه لا يقطع الصف على ان الخطيب ابن جملة نقل عن الشيخ محب الدين الطبري ان المسجد المشار اليه من حديث المضاعفة هو ما كان في زمنه ﷺ مع ما زيد فيه لأخبار وآثار وردت في ذلك واستحسنه ابن جملة على ما ذهب اليه النووي في كتبه من التخصيص مع ان الشيخ برهان الدين ابن فرحون نقل انه لم يخالف [١١٢] في هذه المسألة غير النووي وان الشيخ محب الدين الطبري نقل في كتاب « الأحكام » ان النووي رجع عن ذلك، قال : ونقل عبد الله بن فرحون في شرح « مختصر الموطأ » انه وقف على كتاب من كتب المالكية فيه ان مالكاً سُئِل عن ذلك فقال ما أراه عليه السلام أشار بقوله: «في مسجدي هذا » إلا لما سيكون من مسجده بعده وان الله تعالى أطلعه على ذلك. انتهى.

قلت : وقد نقل ذلك الاقشهري في روضته عن عبد الله بن نافع الصالح صاحب مالك عن مالك رحمه الله ولفظه في أثناء كلامه ، قيل له - أي مالك -: فحدّ المسجد الذي جاء فيه الخبر هو على ما كان في عهد النبي ﷺ أو هو على ما هو الآن ؟ قال : بل هو على ما هو عليه الآن ، قال : لأن النبي ﷺ قد أخبر بما يكون بعده وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وتحدّث بما يكون بعده فحفظ ذلك من حفظه في ذلك الوقت ونسي ذلك من نسيه ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه شيئاً بحضرة الصحابة ولم ينكر عليهم ذلك منكر ، انتهى .

على انه يوجد مما سيأتي في الكلام على مصلي العيد ان تلك الجهة التي هي غربي المنبر روضة أيضاً لقوله في الحديث الآتي : « منبري والمصلى روضة من رياض [١١٣] الجنة » .

واعلم ان الروضة الشريفة المشار اليها بقوله ﷺ :« ما بين بيتي ومنبري»

– الحديث – يعمُّ جميع مسجده ﷺ الموجود في زمنه كما بسطنا القول في ذلك في الأصل، وهي مسألة مهمة قلّ من تعرّض لها من مؤرخي المدينة وقد صنف فيها بعض علماء اليمن مصنفاً ذهب فيه إلى التعميم، ثم صنف بعض أهل المدينة مصنفاً في الردّ عليه، وقد لخصتها في الأصل سالكاً طريق الإنصاف بينهما في نحو أربعة كراريس منه . وبيّنتُ أن الراجح القول بالتعميم وإن كان خلاف المشهور . وإليه ذهب السمعاني كما نقله عنه الخطيب ابن جملة فقال: قال السمعاني : لما فضل الله سبحانه مسجد رسول الله ﷺ وشرّفه وبارك في العمل فيه وضاعفه وسماه رسول الله ﷺ روضة من رياض الجنة، قال الخطيب ابن جملة : فتراه جعل هذا المسجد كله روضة . ثم أشار الخطيب إلى توجيهه بما حاصله ان قوله ﷺ: « بيتي » من قوله : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » مفرد مضاف فيفيد العموم في سائر بيوته ﷺ وقد كانت مطيفة بالمسجد من الجهات الثلاث: جهة القبلة والمشرق وفيه بيت عائشة الذي دفن فيه ﷺ ، والشام ، كما نقله ابن النجار وغيره من أهل السير ، ولم يكن [١١٤] منها من جهة المغرب شيء فعرف الحد من تلك الجهة بالمنبر الشريف فانه كان في آخر جهـــة المغرب بينه وبين جدار المسجد الغربي شيء يسير لأن آخر مسجده ﷺ من تلك الجهة الأسطوانة التي تلي المنبر منها وقد ورد ان المنبر على ترعة من ترع الجنة فثبت بهذا انه ﷺ حدد الروضة بحدود المسجد كلها لا يقال رواية : «ما بين قبري ومنبري» تدل على أن المراد بقوله بيتي قبره ﷺ لانا نقول الراجح عند الاصوليين عموم اسم الجنس المضاف ورواية قبري من قبيل إفراد فرد من العام وذكر لحكم العام وهو لا يقتضي التخصيص على الأصح بل الاهتمام بشأن ذلك الفرد ولو كان كما ذكر للزم قصر الروضة على ما حاذى عرض القبر ولم يقل أحد بذلك على أن القرطبي قال الرواية الصحيحة بيتي ويروى قبري وكأنه بالمعنى لانه ﷺ دفن في بيت سكناه وأمـا رواية ما بين المنبر وبيت عائشة فهي أيضاً من باب ذكر بعض أفراد العام بحكمه

إذ هو من بيوته ﷺ واضافته لعائشة رضي الله عنها للسكنى على ما حققناه في الأصل ، لا يقال قد قال القرافي : ينبغي حمل اطلاق عموم اسم الجنس على ما يقع منه على القليل والكثير كالماء والمال بخلاف ما لا يصدق الا على الواحد كالعبد [١١٣] والبيت والزوجة فلا يعم ولهذا لو قال عبدي حرٌ أو امرأتي طالق لا يعم سائر عبيده ونسائه قال ولم أره منقولاً لأنا نقول قد قال العلامة تاج الدين السبكي في شرح المختصر قد خالف بعض الائمة في تعميم اسم الجنس المعرف والمضاف والصحيح خلافه وفصل آخرون بين أن يصدق على القليل والكثير فيعم أو لا فلا واختاره ابن دقيق العيد انتهى . فجعل هـذا الوجه مفصلاً في حمل كلام المطلقين عليه وقد ظهر ان ما بحثه القرافي منقول والصحيح خلافه وما استدل به من عدم عموم قول القائل: عبدي حر وامرأتي طالق جوابه من أوجه احدها ان الاسنوي قد نبه في تمهيده على ان عدم العموم في ذلك يخالف ما صححوه من عدم اسم الجنس فانه انما يقع الطلاق والعتق على ذات واحدة ولا تعم ثم أجاب بأن عدم العموم في ذلك لكونه من باب الايمان والايمان يسلك فيها مسلك العرف انتهى ونقل الأزرق في «نفائسه» عن ابن عبدالسلام انه قال لو قال من له زوجات زوجتي طالق والذي يبين لي انهن يطلقن كلهن وقال الروياني وغيره طلقت واحدة منهن انتهى . فقد جرى ابن عبد السلام في ذلك على القاعدة وكذا الحنابلة فان في كتبهم ان الامام احمد نص على انه لو قال من له زوجات وعبيد: زوجتي طالق أو عبدي حر ولم ينو [١١٤] معيناً وقع الطلاق والعتق على الجميع تمسكاً بالقاعدة المذكورة وقد ذكرنا بقية الأجوبة في الاصل. وهذه الطريق في الاستدلال على عموم الروضة بمسجد رسول الله ﷺ من اولى الادلة وما اوردناه فيها بصيغة لا يقال فإنه من كلام المزني وما أوردناه بصيغة لأنا نقول فهو مما فتح الله به في الرد عليه وذكر اليماني طريقاً اخرى غير هذه الطريق اليه ذكرناها بما فيها في الاصل واوضح من هذه الطريق وغيرها ما من الله تعالى علي بالوقوف عليه وهو ما

رواه الامام احمد في زوائد مسنده منمسند عبد الله بن زيد الانصاري وليس رائي الاذان بل عبدالله بنزيد بن عاصم الانصاري المازني المكي قال الامام احمد حدثنا فليح بن عبدالله بن ابي بكر بن عباد بن تميم عن عبدالله بن زيد انصاري ان رسول الله ﷺ قال ما بين هذه البيوت يعني بيوته ومنبري روضة من من رياض الجنة والمنبر على ترعة من ترع الجنة هذا لفظ المسند بحروفه وقد اتفقوا على توثيق رجال هذا الاسناد ما عدا فليح فانه اختلف فيه قال الدارقطني فليح يختلفون فيه وليس وقال الحاكم اتفاق الشيخين عليه يقوى أمره وقال الساجي ان ابن حبان ذكره في الثقات والعجب في اني لم ار أحداً ممن اعتنى بالكلام [١١٥] على الروضة الشريفة ذكر هذا الحديث بل كلامهم يدل على عدم استحضاره وهو حجة ظاهرة في التعميم فهو المعتمد ان كان المشهور الذي عليه غلبة الظن ان عرض الروضة من مصلاة ﷺ الى آخر الزقاق الثاني الذيبآخره الاسطوانة المعروفة بامير المؤمنين علي رضي الله عنه لانها كانت تقابل الخوخة التي كان يخرج منها ﷺ الى الصلاة اذا كان في بيت عائشة رضي الله عنها فان الظاهر انها كانت قريباً من خوخة البيت من ذلك الجهة ولهذا مزيد تحقيق في الاصل، واعلم ان ظاهر ما تقدم عن السمعاني ان تسمية الموضع المذكور روضة على سبيل المجاز لا الحقيقة وهو ما ذهب اليه الخطابي حيث قال : المعني من لزم طاعة الله هناك الزمه الحال إلى روضة في الجنة . وقال ابن النجار : الذي عندي في ذلك ان هذا الموضع يكون بعينه روضة من رياض الجنة يوم القيامة. قال ابن عبد البر: معناه ان الصحابة كانوا يقتبسون العلم من النبي ﷺ هناك فهو مثل الروضة. وقال الحافظ ابن حجر: محصل ما اول به العلماء هذا الحديث ان تلك البقعة كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة [١١٦] بما يحصل فيها من ملازمة حلق الذكر لا سيا في عهده ﷺ ، فيكون مجازاً ، أو المعنى ان العبادة فيها تؤدي إلى الجنة فيكون مجازاً أيضاً، أو هو على ظاهره ان المراد انها روضة حقيقية بأن ينقل ذلك الموضع بعينه الى الجنة .

ثم قال : وهذه الأقوال على ترتيبها هذا في القوة وهو محتمل لتقوية الأول والأخير هو الظاهر لأنه لا مقتضى لصرف اللفظ عن ظاهره لأن العلماء فهموا في ذلك مزية عظيمة لتلك البقعة على ما حققناه في الأصل وذلك هو الذي صححه ابن الحاج في مدخله والله أعلم .

ومن ذلك أمر انخفاض مصلى الإمام وهو مصلى سيدنا رسول الله ﷺ وارتفاع مصلى المأمومين عنه في هذه الأعصر الأخيرة بسبب تكاثر الرمل المفروش به الروضة الشريفة وترخيم المصلى المذكور وجعله شبه حوض أو حصير مدرج .

قال ابن فرحون والمجد الشيرازي : وما زال العلماء والأئمة يخرجون من ذلك من أيام القاضي السراج فمن بعده ، كانت ترفع تلك الحضرة حتى تزول الكراهة الى أيام الشرف الأميوطي فأراد إزالة الخشب المنقوش امام المصلى لما فيه من الزخرفة الملهية للمصلي ، وطمس الحفرة أو رفعها ،فقام عليه الناس من الخدام واستعانوا [١١٧] عليه بالأشراف فكف وانتقل إلى المحراب وصار يصلي الى الأسطوانة التي تقابل أسطوانة الوفود أي من مقدم الروضة الى جانب درابزين الحجرة الى أن مات ، وصار من الفقهاء من يدفع الكراهة بما يحصل من القرب إلى مقامه ﷺ وموضع قدمه ويقول: في هذا من الفضل ما يوازي ما في ذلك من النقص وهذه والله أعلم نزعة صوفية لا علمية ولا عملية ، وما أقرب هذا القول الى قلوب العامة وضعفة الفقهاء ، والخير كله في اتباعه ﷺ ، وقد كان هو وأصحابه في المواقف سواء ، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى بل التمادي على المكروهات والبدع والموضوعات يعظمها ويصيِّرها كبائر ، فمن قدر على التغيير والإزالة ولم يفعل يخاف عليه ان عمله لا يقبل ، وان الله تعالى عن ذلك منه يسأل ، انتهى . وهذا حسن يتعين العمل به .

والظاهر ان ابتداء هذا كان في زمن الروافض وليس هذا المحل نفسه هو

المحل الذي كان يقف عليه ﷺ بأقدامه الشريفة حتى يحرص على بقائـــه بل ذلك أسفل منه بكثير ، لأن العلامة ابن فرحون ذكر انه لما أنشئت المنارة التي بباب السلام على يد شيخ الحرم الحريري حفروا [١١٨] لها فوجدوا باب مروان بن الحكم الذي كان يخرج منه إلى المسجد اسفل من أرض المسجد بقدر قامة ووجدوا تحصيبا في أيام مروان بالرمـــل الأسود يشبه أن يكون من جبل سلع قال : وذلك التحصيب عام في المسجد القديم لأنهم لما اسسوا الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر شمالي الروضـــة المقدسة وجدوا ذلك التحصيب قال ابن فرحون: فوقفت عليه فوجدته يشبه ما وجدوه في أساس المئذنة وسمكه نحو ذراعين بالعمل أو أكثر لأنهم نزلوا في الأساس حتى بلغوا الماء انتهى . وقد وقفت على شيء من كلام بعض الفقهاء المشار اليه في كلام ابن فرحون ولتحقيقه محل غير هـــذا والله أعلم ومن ذلك أمر الزيادة في النخل المغروس برحبة المسجد فينبغي المنع منه ولتحقيق ذلك أيضاً محل غير هذا والله أعلم ومن ذلك ما أشرنا اليه في الباب الثاني من الصلاة على بعض الموتى بمقدم الروضة المنيفة مع جعل رجليه الى الجهة الشريفة فالمتعين صرفها إلى جهة المنبر الشريف ان لم يكن بد من الصلاة بهذا المحل على مـــا حققناه في الأصل ومن ذلك أمر الموضع الذي يقوم عليه الخطيب بمصلى العيد لأهل المدينة الغربي موضع محل الحاج وهو آخر الاماكن [١١٩] التي صلى فيها رسول الله ﷺ صلاة العيد ولا يعرف اليوم من ذلك الموضع غيره على ما ذكره المؤرخون وهو محوط عليه ببناء في جانبه القبلي محراب الظاهر انه في موضع مصلاه ﷺ لأنه كان معلوماً معلماً بعلم عند دار كثير بن الصلت كما سيأتي وباب هذا المصلى في حائطه الشامي مما يقابل المحراب وخارج بابه درج يصعد منها الى موضع لطيف على وجه الباب وميمنته وأحدث الأمير برد بك المعمار في داخله ايضاً درجاً بالحائط الشامي يتوصل منها الى ذلك الموضع وجعل أمامه من خارج المسجد مسقفاً ليجلس عليه المبلغون أمام الخطيب

وذلك في دولة السلطان الملك الأشرف اينال واتخذ له شراريف ، وزاد في الدرج التي يقوم عليها الخطيب لجهة داخل المسجد أيضاً وكحل ما بين أحجاره من الخلل بالنورة وذلك سنة إحدى وستين وثمانمائة فاجتمع أعيان المدينة الشريفة وجميع أهل السنة في يوم العيد بالمصلي المذكور بحيث لا يبقى خارجه إلا القليل منهم وجماعة الخدام لان المادة استمرت بان صفهم يكون أمام الموضع الذي يقوم عليه الخطيب وبين يديه لما قدمناه في الباب الثالث ويجتمع هناك أيضاً بعض الشيعة [١٢٠] ثم يحضر الإمام وقت الصلاة فيصلي بهم العيد بالمحراب الذي هو داخل المصلى المذكور ، ثم يخرج منه ويتخطى رقاب الناس ويخترق صفوفهم الى أن يأتي شامي المسجد فيصعد على تلك الدرج التي قدمناه من خارج المسجد الى ان يصل الى أعلاها فيستدبر القبلة ويستقبل جهة الشام على عادة الخطباء ثم يخطب قائماً هناك فيصير جميع من في المسجد خلف ظهره ثم انهم يستدبرون القبلة ويستقبلون ظهره ومن يصلي خارج المسجد لا يشاهده ايضاً لحيلولة السقف المحدث الذي قدمنا وصفه بينهم وبينه وهذا كله خلاف السنة على ما صرح به الأئمة وخلاف ما ثبت من فعله ﷺ في هذا الموضع بخصوصه فأما مخالفته لتصريح الأئمة فقد قالوا: السنة كون المنبر الذي يقوم عليه الخطيب على يسار المحراب تلقاء يمين المصلي إذا استقبل المحراب وهذا مرادقول النووي في كتبه: ويسن كون المنبر على يمين المحراب أي يمين مستقبله كما قرره شيخنا المحلي إذ المحراب في الحقيقة إنما يعتبر له اليمين واليسار بحسب مستقبله واستدلوا على ذلك بكون منبره ﷺ كان كذلك كما هو المشاهد في مسجده ﷺ الى اليوم فان المنبر والمحراب لم يغيرا عن موضعها بالاجماع كما ذكره المؤرخون وذكر الأصحاب [١٢١] توجيه ذلك ان به يتأتى ما قالوا من أن السنة للخطيب إذا صعد المنبر يستدبر القبلة ويقبل على القوم وهم امامه لأنه لو استقبل القبلة فإن كان المنبر في صدر المسجد كما هو السنة كان خارجاً عن مقاصد الخطاب

وإذا كان في آخره فان استقبل هو القبلة فان استدبروه واستقبلوا ايضاً لزم ما تقدم كونه خارجاً عن مقاصد الخطاب وان استقبلوه والحال ما ذكر لزم ترك الاستقبال بخلق كثير وتركه لواحد اسهل قال الاسنوي: وقيل ان استقبال الخطيب القوم شرط في الصحة وهو جار في استدبارهم له وفيما إذا خالف هو اهم الهيئة المشروعة أي كقعودهم على جنب قاله في الاستذكار ونقله عنه في الروضة فحصل من هذا ان الهيئة المتقدمة خلاف السنة كما نقله الأئمة وأمـــا مخالفة ذلك لما ثبت من فعله ﷺ وسيرته كما نقله الثقات انه لم يقم في خطبة العيد على منبر بل كان يستقبل الناس ويخطبهم وهم على صفوفهم قال الإمام البخاري في صحيحه : باب الخروج الى المصلى بغير منبر حدثني محمد بن جعفر قال اخبرني يزيـــد بن عياض بن عبد الله بن ابي سرح عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى [١٢٤] إلى المصلى فاول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف. فقال ابو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة في ضحى أو فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه قبل ان يصلي فجذبته بثوبه فجذبني فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له: غيرتم والله فقال يا ابا سعيد قد ذهب ما تعلم فقلت: ما اعلم والله خير مما لا اعلم فقال ان الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة .

انتهى ما أورده البخاري. قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر في شرحه المراد بقوله الى المصلى الموضع المعروف بالمدينة وبينه وبين باب المسجد الف ذراع. قاله عمر بن شبة في «أخبار المدينة» عن ابي غسان صاحب مالك ورواية ابن حبان من طريق داود بن قيس فينصرف إلى الناس قائماً في مصلاه . قلت وهذا يبين معنى قوله في رواية البخاري ينصرف فيقوم مقابل النـــاس وهو

صريح في مخالفة ما يفعل المصلي في هذه الازمان لفعله ﷺ اذ هو صريح في استقباله ﷺ للناس وهم على صفوفهم [١٢٢] وقد ترجم البخاري له بعدذلك فقال : باب استقبال الإمام الناس في خطبة العيد واورد فيه طرفاً من حديث ابي سعيد المذكور قال الزين بن المنير: وانما اعاد البخاري هذه الترجمة مع انه قدم نظيرها في الجمعة لدفع توهم أن العيد يخالف الجمعة في ذلك ، وأن استقبال الإمام في الجمعة ضرورياً لكونه يخطب على منبر بخلاف العيد فانه يخطب فيـــه على رجليه لحديث ابي سعيد المذكور فاراد ان يبين ان الاستقبال سنة على كل حال انتهى . وفي رواية لابن خزيمة مختصرة خطب يوم عيد على رجليه قال الحافظ شيخ الاسلام: وهذا يقتضي ان لم يكن في المصلي في زمنه ﷺ منبر الى ان اتخذ لمروان ويدل عليه قول ابي سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وقد وقع في المدونة لمالك ورواه عمر بن شبة عن ابي غسان عنـه قال اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت وهذا معضل وما في الصحيحين اصح فقد رواه مسلم عن طريق داود بن قيس عن عياض نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم يطلع على ذلك أبو سعيد قلت لكن روى ابو داود وغيره من حديث ذكر انه غريب وان سنده جيد عن عائشة رضي الله عنها قالت شكى الناس إلى رسول الله [١٢٣] ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى . وفي رواية للترمذي انه ﷺ خرج إلى الاستسقاء حتى أتى الى المصلى فرقى على المنبر ، فهذا يقتضي انه ﷺ خطب في الاستسقاء على منبر . وكان ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر في خطبة العيد قياساً على الاستسقاء، وكأنه ﷺ إنما خصّ خطيب الاستسقاء بالمنبر دون العيد ليتيسرّ رؤيته لعامة الناس بها فيقتدوا به في تحويل الرداء عند تحويله وفي كيفية رفع اليدين في الدعاء ونحو ذلك مما هو من خواص خطبة الاستسقاء على ان في كتب الحنفية في الاستسقاء قال المشايخ : ولا يخرج منبر والله أعلم .

وقال الحافظ شيخ الاسلام : وإنما اختص كثير بن الصلت ببنـــاء المنبر بالمصلى لأن داره كانت بمجاورة المصلى كما في حديث ابن عباس انه ﷺ أتى في يوم العيد إلى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت على سبيل التقريب للسامع وإلا فدار كثير بن الصلت محدثة بعد النبي ﷺ ، وظهر لهذا انهم جعلوا للمصلى شيئاً يعرف به وهو المراد بالعلم بفتحتين وهو الشاخص .

وقال ابن سعد : كانت دار كثير بن الصلت قبلة المصلى في الميدين وهي تطل على بطحان الوادي الذي [١٢٤] في وسط المدينة ، انتهى .

وإنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبي ﷺ بمدة لكنها لما صارت شهيرة في تلك البقعة وصف المصلى بمجاورتها ، وكثير المذكـــور هو ابن الصلت بن معاوية الكندي ، تابعي كبير وُلد في عهد النبي ﷺ وقدم المدينة واخوته بعده فسكنها ،وقول ابي سعيد: فقلت له: غيرتم والله . صريح في أن أبا سعيد هو الذي أنكر ، ووقع عند مسلم من طريق طارق بن شهاب قال : أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة مروان ، فقام اليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال : قد ترك ما هنالك ، فقال ابو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه . وهذا ظاهر في انه غير ابي سعيد، وكذا رواية رجاء عن أبي سعيد ،فيحتمل أن يكون هو أبو مسعود الذي وقع في رواية عبد الرزاق : انه كان معهما ، ويحتمل أن تكون القصة تعددت ، ويدل على ذلك المغايرة بين رواية عياض ان المنبر بني له بالمصلى ، وفي رواية رجاء ان مروان أخرج المنبر معه، فلعل مروان لما أنكروا عليه إخراج المنبر ترك إخراجه بعد وأمر ببنائه من لبن وطين بالمصلى ، ولا يُبعَدَ في أن ينكر عليه تقديم الصلاة مرة بعد أخرى .

ويدل على التغاير أيضا [١٢٥] ان انكار ابي سعيد وقع بينه وبينـــه وإنكار الآخر وقع على رأس الناس وقوله:ان الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها اي الخطبة قبل الصلاةيشعر بان مروان فعل ذلك باجتهاد منه وقد اختلف في أول من غيّر ذلك فرواية طارق بن شهاب عن أبي سعيدعند

مسلم صريحة في انه مروان كما هنا وقيل بل سبقه الى ذلك عثمان فروى ابن المنذر باسناد صحيح الى الحسن البصري قال أول من خطب قبل الصلاة عثمان صلى بالناس ثم خطبهم يعني على العادة فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك أي صار يخطب قبل الصلاة وهذه العلة غير التي اعتل بها مروان لأن عثمان رضي الله عنه رأى مصلحة الجماعة في ادراكهم الصلاة وأما مروان فراعى مصلحتهم في اسماعهم الخطبة لكن قيل : إنهم كانوا في زمن مروان يتعمدون ترك سماع الخطبة لما فيها من سب من لا يستحق السب والافراط في مدح بعض الناس فعلى هذا انما راعى مصلحة نفسه ويحتمل ان يكون عثمان رضي الله عنه فعل ذلك احياناً بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب اليه وقد روي عن عمر رضي الله عنه مثل فعل عثمان قال عياض ومن تبعه : لا يصح عنه وفيما قالوه نظر لأن[١٢٦]عبد الرزاق وابن أبي شيبة روياه جميعاً عن ابن عيينة عن يحي بن سعيد الأنصاري عن يوسف بن عبدالله بن سلام وهذا اسناد صحيح لكن يعارضه ما في الصحيح من حديث ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وكلهم كانوا يصلون العيدين قبل الخطبة وكذا حديث ابن عمر فان جمع بوقوع ذلك منه نادراً والا فما في الصحيحين اصح وقد أخرج الشافعي عن عبدالله بن يزيد نحو حديث ابن عباس وزاد حتى قدم معاوية فقدم الخطبة فهذا يشير إلى أن مروان انما فعل ذلك تبعاً لمعاوية لأنه كان أمير المدينة من جهته وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهري قال أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيدين معاوية وروى ابن المنذر عن ابن سيرين ان أول من فعل ذلك زياد بالبصرة قال عياض ولا مخالفة بين هذين الأمرين واثر مروان لان كلا من مروان وزياد كان عاملاً لمعاوية فيحتمل على انه ابتدأ ذلك وتبعه عامله قلت ويحتمل أن من رأى تقديم الخطبة هنا أخذه مما روى ابو داود وغير من أنه ﷺ يخطب في الاستسقاء ثم صلي فقاس العيد على الاستسقاء لما بينهما [١٢٧]من الاشتراك في غالب الأحكام لكن رواية الامام

احمد في الاستسقاء : فبدا بالصلاة قبل الخطبة وكذا رواه ابن ماجه ورواية الصحيحين قال خرج رسول الله ﷺ يستسقى فتوجـــه إلى القبلة يدعو ثم يصلي ركعتين فيحتمل ان ذلك الدعاء كان هو الخطبة ويحتمل انه غيرها وان بعض من سمعه أطلق عليه اسم الخطبة ويحتمل انه ﷺ قدم الخطبة في الاستسقاء مرة وأخرها أخرى والله أعلم .

وقال الحافظ شيخ الاسلام: وفي حديث الباب من الفوائد الخروج الى المصلى في العيد ولذلك استدل به على استحباب الخروج الى الصحراء لصلاة العيـــد وان ذلك أفضل من صلاتها في المسجد مطلقاً إلا لعذر وقد أشار الشافعي في الام عن الجواب عن ذلك فقال بلغنا ان رسول الله ﷺ كان يخرج في العيدين الى المصلى بالمدينة وكذا من بعده الا من عذر مطر ونحوه وكذا عامة أهل البلد إلا أهل مكة ثم أشار إلى أن سبب ذلك سعة المسجد وضيق أطراف مكة قال فلو عمر بلد وكان مسجد أهل مكة يسعهم في الاعياد لم ار َ أن يخرجوا منه فان كان لا يسعهم كرهت الصلاة فيه ولا اعادة فتنبه على ان العلة [١٢٨] تدور على الضيق والسعة لا لذات الخروج الى الصحراء لأن المطلوب حصول عموم الاجتماع فاذا حصل في المسجد مع أفضليته كان أولى وهذا هو المعتمد في مذهب الشافعي. وفي الحديث أيضاً ان الخطبة على الارض عن قيام أولي من القيام على المنبر والفرق بينه وبين المسجد فانه يكون بمكان فيه فضاء فيتمكن من رؤيته كل من حضر بخلاف المسجد فانه يكون في مكان محصور فقـــد لا يراه بعضهم ذكر ذلك كله الحافظ ابن حجر وحينئذ فلولا اتخاذ البناء الموجود اليوم الدائر على مسجد المصلى لكان الأفضل قيـــام الخطيب في مصلاه على الأرض لكنه مع وجود هذا البناء يحتاج الى القيام على مرتفع لاستماع من يصلي خارج المسجد لحيلولته بينهم وبين الامام ولم أعلم الباني لهذا المسجد أولاً ولم يذكره ابن زبالة وابن النجار ولم يتعرض له أصلاً حيث ذكر المساجد المنسوبة له ﷺ الصلاة فيها فان ما ذكره فيها المتأخرون وبناؤه حادث بلا شك فقد

تقدم ان مصلاه ﷺ كان يعرف بعلم جعل له بل روى ابن زبالة في تاريخه في الكلام على ما جاء في فضل العيد عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المصلى يستسقي [١٢٩] فبدأ بالخطبة ثم صلى ثم كبّر واحدة افتتح بها الصلاة ثم قال : هذا مجتمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا لفطرنا وأضحانا فلايبنين فيه لبنة. ولم يتعرض أحد ممن وقفت على كلامه من المؤرخين لابتداء بناء هذا المسجد غير اني رأيت حجراً على عين باب هذا المسجد فيه بخط قديم قد انمحى بعضه : أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي ﷺ بعد خرابه وذهابه عز الدين شيخ الحرم الشريف وذلك في أيام السلطان الملك الناصر حسن ابن السلطان محمد بن قلاوون الصالحي ، ثم انمحى شيء من الكتابة فيه تاريخ ذلك ومن كانت العمارة على يده ؛ ولم يذكر أحد من المؤرخين ان به منبراً يقوم عليه الخطيب ولم يصف أحد منهم الهيئة التي قدّمناها في أمر ذلك الدرج . ولقد طال تعجبي من ذلك ، ولا نظن ان تلك الدرج في موضع المنبر الذي ابتنى مروان لأن مروان وإن قدّم الخطبة على الصلاة على خلاف ما فعله ﷺ فلما له في ذلك من القصد، وأما جعله المنبر على خلاف السنة الثابتة من فعله ﷺ وجعله القوم أو بعضهم خلف ظهره فلا تظهر له ثمرة، وأيضاً فيبعد إقرار من جاء بعده على مخالفة [١٣٠] السنّة وأيضاً لو كان ذلك من فعله لأنكر عليه كما أنكر عليه اتخاذ المنبر وتقديم الخطبة ولو سلم ان تلك الدرج في موضع منبر مروان فالسنة تغيير ذلك ومخالفته فيه واتباع ما صح من فعله ﷺ كما خولف في أمر الخطبة واتبع بها فعله ﷺ حيث جعلت بعد الصلاة ، وقد ارتسم في خيال بعض الجهلة ان النبي ﷺ صلى في هذا الموضع وخطب على هذه الحالة التي عليها الناس اليوم وإلا لما فعل الناس ذلك وهذا خطأ عظيم اما أولاً فلمباينته ما نقله الأئمة من فعله ﷺ وما ذكروا انه السنة ومن لازم هذا الخيال الفاسد تكذيب الأئمة ، وأما ثانياً فكيف نظن به ﷺ انه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم ويقف عند آخرهم أو يستدبر غالبهم ويخطب لهم في غير

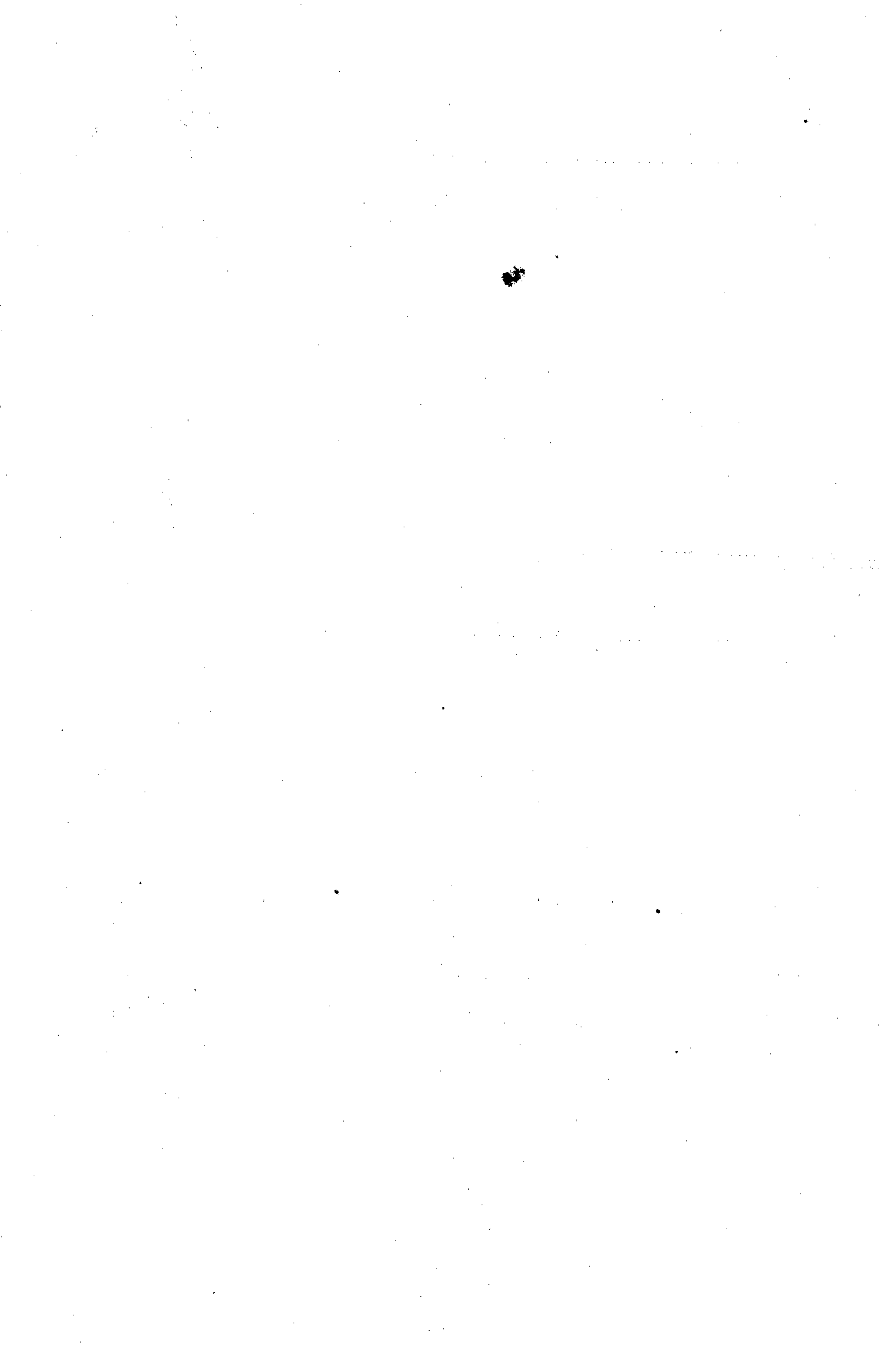
حاجة تدعو لذلك ، وكيف يــترك الصحابة رضي الله عنهم طلعته البهية ويرضون باستدباره ﷺ مع قيامه لمخاطبتهم ووعظهم وهم أعظم الناس أدباً لا يظنه عاقل . وكم من بدعة وجدنا النـــاس يفعلونهـا ولا يعلم ابتداء حدوثها وليس لنا أن نستدل بذلك على تغيير حكمها [١٣١] في الشرع. والتشبث باستمرار افعال الناس انما تكون في مسألة لا يعرف حكمها من جهة الشرع اما مسألة عرف حكمها في الشرع كهذه المسألة فالواجب علينا اتباع الشرع المنقول فيها واعتقاد حدوث ما عليه الناس وتقديره باقرب الازمنة اذا جهلنا ابتداءه وقد ذم الله اقواماً تمسكوا في مجـاحدة الحق بفعل سلفهم فقال تعالى حكاية عنهم (انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون) فينبغي تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى ﷺ من هـــذه البدعة القبيحة ليزول من قلوب العوام والجهال ما قدمناه ولإحياء سنته ﷺ وذلك يحصل ببناء الدرج عن يمين القائم في محراب هذا المسجد المتقدم وصفه كما هو السنة وتكون مرتفعة بحيث يرى القايم عليها من خارج المسجد كالدرج التي بالحائط الشامي ويكون الموضع المتقدم وصفه بالحائط الشامي للمبلغ يقوم عليه امام الخطيب على ان السقف الذي قدمنا وصفه امام هذا الموضع المحدث على يد الامير برد بك صار يحول بين من يصلي خارج المسجد وبين مشاهدتهم الخطيب كما تقدم. وقدهم [١٣٢] بعض الخطباء بهدمه لذلك وهو متمين والذي ظهر لي بعد التأمل ان ذلك الموضع لم يجعل منبراً بل جعل مجلساً للمبلغ لانه ليس على هيئة المنبر وكأنهم ارادوا ان يجعلوا الأمر في ذلك على وفق السنة في زمنه ﷺ من قيـــام الخطيب على الارض ثم ان من حضر بعد ذلك من الخطباء رأى الاحتياج الى القيام على مرتفع لما قدمناه من حيلولة البناء بينه وبين من يكون خارج المسجد فلما لم يجد موضعاً مرتفعاً سوى ذلك قام عليه ثم لم يتيسر بناء منبر على وفق السنة هناك فاستمر ذلك . ومما يرجح الصلاة بهذا المسجد اعني مسجد المصلى ويرغب فيها ما روى عن عائشة بنت سعد بن ابي وقاص عن ابيها رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ما بين مسجدي الى المصلى روضة

من رياض الجنة» قال ابو سليمان : وقال بعض الناس : مصلاه الذي يصلي فيه في المسجد . وقـــال آخرون : مصلاه الذي يصلي فيـــه يوم العيد [١٣٣] رواه الامام أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص في فوائده » انتهى وقوله في الرواية المتقدمة : «ما بين مسجدي الى المصلى» يرجح القول الثاني وظاهر صنيع من أورد الحديث المذكور في الكلام على مسجد المصلى انه المراد وقد فعل ذلك العلامة مجدالدين الشيرازي ثم قال : واذا ثبت بما رويناه ان المصلى الموجود هو مصلى النبي ﷺ في الاعياد فالصلاة فيه تزداد فضلاً ومزية على كل مصلى أي ازدياد، ويختص الفائزون بالصلاة فيه بمزلف باسبغ نعم وأياده ويغنم الحائزون فضل الحضور اليها فواضل قصرت عنها معالي سعد وأيادي اياد. قال انشدني أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم القرشي كتابة عن أبي البركات ايمن بن محمد الغرناطي لنفسه هذه الابيات :

ان عيـــداً بطيبة وصلاة — بمصلى الرسول في يوم عيد
نعم فاق واسع الشكر عنها — فهي بشرى لكل عبد سعيد
كم تمنيتهــا فنلت التمني — آخر العمر من مكان بعيد
واذا كان في البقيع ضريحي — وتوسدت طيب ذاك الصعيد
فاشهدوا لي بكل خير وبشر — عند ربي ومبدئي ومعيدي [١٣٤]

والمسؤول من الله تعالى ان يكمل لأهل هذا المصلى الشريف عظيم منته بجعل منبره على وفق طريقته ﷺ وسنته وان يجعل ذلك سبباً لما يرضي الله ورسوله، وينيل الساعي في اتمام ذلك مأموله كله وسؤاله ، وان يجعلنـــا من المتبعين لسنة سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأدام النفع بعلومه : كان انفراغ من جمعه ليلة الاستهلال شهر ربيع الثاني سنة ست وسبعين وثمانمائة وكان الشروع فيـــه بالمسجد الشريف النبوي ليلة الثالث عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة احسن الله تتضيها بمنه وكرمه،والله أحمده حق حمده،وأصلي على رسوله وعبده سيد المرسلين، وشفيع المذنبين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين آمين اللهم آمين .



٤ ـ كائنة أمير المدينة

حسن بن زبيري من آل نعـــير

التي انتهك بها حرمة المسجد النبوي



[١٣٥] وفي سنة إحدى وتسعمائة أول القرن العاشر وقع فيها حوادث أشنعها كائنة امير المدينة النبوية حسن بن زبيري من آل نمير ، التي انتهك بها حرمة المسجد النبوي ، وهجم على الحضرة النبوية بسبب فقره الثقيل ، وعقله الخفيف ، وحاصلها لما كان يوم الثلاثاء سادس ربيع الأول من السنة المذكورة وقت الضحى أو بعده حين خلا المسجد غالباً جاء الأمير المذكور في كبة كبيرة من أعوانه متسلحين ، فدخل المسجد ، وأمر بإخراج من فيه ، وقفل أبوابه ثم طلب الخازندار ايبدي [١] الرومي فتحدث معه وشكى الضيق الذي هو فيه ، وسأله مفتاح القبة فامتنع ، فأخذ بمجامع اطواقه وسحبه معه لصحن المسجد ، فعضّه الخازندار عضة آلمته فأغرى بعض أعوانه فضرب حتى غمى عليه ، بل [١٣٦] رام قتله فكف عنه شريف من آل طفيل يقال له مشارى بن ذياب ، ثم توجهوا نحو القبلة فسمعوا حركة عند باب النساء ، فظن الأمير اجتماعاً لمعارضته ، فأمر الصواسة ان يصعدوا المنارة الشريفة ناحية الشام ويرمى من يراه هناك بالنّشاب ، ففعلوا إلى ان انتهوا من كسر باب القبة فأخذوا جميع ما فيها من النقد وهو بضع عشرة الآف ديناراً ، وما بها من قناديل وجعلت القناديل في نحو عشر غراير ، والمال في فتق ، وحملت الغراير على ظهور البهايم التي ادخلوها المسجد لذلك ، والمال على الرجال ، ورام مانع بأن يكسر باب الحجرة النبوية لأخذ ما هو معلق فيها من القناديل فكفه اخوه وسيه ، ثم عمدوا إلى خزاين الخدام التي في المسجد فكسروا

---

(١) أيبدى — بدون نقط .

بعضها فأخذوا ما وجد من نفقاتهم ، ثم ركب الأمير فرسه من باب القبة ، وخرج من باب الرحمة وهو شاهر سيفه وكذا اخوه ، ومشاري ، والمال بين أيديهم ، والاعوان حافون بهم ، وزاد تألم النـــاس لذلك ، وعطلت صلاة الظهر يومئذ في المسجد ، بل توقع نهب المدينة بحيث رفع أهل السوق ما به، ولكنه بمجرد جلوس الأمير في حصنه نادى بالامان والبيع والشراء ، وان أهلها في جيرته ووجهه [١٣٧] ومع ذلك لم يطمئن الناس ثم جمع الصوغ والحدادين لسبك القناديل إلى ان افرغوها في نحو يومين ، وذلك بعد أن دفع لمشاري من النقد الفا ، ومن القناديل ما يساوى بعضها ، وبادر الشريف شهوان الحسيني من الظوالم لدراج امير الينبوع فأخبره بمـــا اتفق ، وسأله في المجيء لحفظ البلد ، فان الناس حصل لهم رجف كبير ، وكان بعض الفقهاء كالمالكي والفخر العيني وابن الشيخ عثمان الطرابلسي وكسما (؟) مملوك شيخ الحرم خارج المدينة ، فاحتالوا حتى دخلوها بالتدلي من سورهـــا ، وأخفى جميع الناس مـــا لهم من الحلى والامتعة ، وجلسوا على الحصر ، ثم في عشية الاربعاء حصلت بحارة الخدام ضجة وهجة ، ورجف بمجيء الخيل لباب البقيع ولم يكن لذلك حقيقة ، وارتجت البـــلد وخرج الشافعي والمالكي بعيالهم ، وتبعهم العالم إلى المسجد بحيث غص المسجد بالرجال والنساء، وباتوا تلك الليلة فيه ، ثم استجار الشار(؟) بمشاري فأجاره ولم ينج غيره إلا بجمالة، ولما بلغ ذلك حسن قال : لا حاجة لي إلا مشاري والبـلاد في وجهي حتى يجيء من يستلمها . ثم نادى بالامان، بل صار يرسل للأكابر ويحلف انه لم ينو التعرض لأحد . ولا خطر بباله ، وما غرضه إلا ما اخذه من القبة ، هـــذا مع اخبار الثقة [١٣٨] ان عين له قبل فعله اربعـــة عشر نفسا من مياسير البـــلد للقبض عليهم ، فعزم على ذلك فقالت له زوجته : لا يمكنك القبض عليهم دفعة واحـــدة وان اخذتهم واحداً تحفظ البـــاقون فعدل حينئذ على القبة .

ولما انتهى من السبك اشترى ستة عشر حملا من القمح من قافلة وردت في

هذه الأيام ، سلم ثمنها بعد ظن النـاس نهبها ، وتوجه خارجاً من المدينة هو آخره بعد ظهر الخميس وهو يقول : أيُّ شيء ينقم عليَّ أهل المدينة هل تعرضت لأحد منهم بسوء أو هجمت بيته أو غصبت ماله وإنما أخذت حين الغلبة نذر جدي ؟ وأمر بعض الفقهاء أن يقول: الشريف محمدبن بركات هو الملجي له حيث أخذ من جدة في كل سنة ألف دينار، وشاطره في الميراث .

ويقال : انه في ليلة الخميس خرج هو وأخوه ومعهما وقر حملين مما أخذ ، ومِسحاة وعتل ثم لم يعود (؟) الى صلاةالصبح بعـــد دفنهما لذلك في بعض الصحار (؟) بل قيل : انهما وضعا ما معهما عند من يثقون به ولم يخرجـا من المدينة إلا ببعض النقد خاصة ، ثم بعدانفصاله عن المدينة كرَّ راجعاً فيما قيل اليها تفـاؤلاً بالعود،وقطع الدعاء له في الخطبة من ثَمَّ ، وحينئذ اجتمع القضاة في المسجد للمشورة فيما يفعلون [١٣٩] ولم يكن عندهم أكثر من حفظ أبواب المدينة بالأقفال والسمر ، وحفظ ما انثلم من سورها بالحرس ، وندبوا الشريف سرداح الحميضي في جماعةمن أصحابه لحفظ الحصن ، فانتدب لذلك ، ثم نودي فيشوارعها بالاحتراس والتحفظ،وان أهل كل حارة يحفظون حارتهمويعسّونها بالليل ، فلم تُرَ ليلة أوحش من تلك الليلة لولا انس النبوة ، واستمرت أبواب المسجد مقفولة ثلاثة أيام إلا خوخة باب النساء ، فلم يلبث إذ وقع مطر عظيم بعد انفصال الأمر بالناس خصوصاً أرباب الزروع فانهم كانوا امتنعوا عن الخروج ،وتعطل سبب الضعفاء من المساكين الحطابين والقراشين وغيرهم .

فلما كانت ليلة السبت عـاشره وصل الأمير ضيغم ومعه ولده ثابت وابن أخيه عجلان ولم يدخل المدينة حذراً على نفسه كعادته ، فاجتمع به الأعيان خارج البلد فأخذ يبرأ إلى الله تعالى من فعل حسن ، واستقبح الحال معه، على أنه جار (؟) المدينة بقية ربيع الأول وشهرين آخرين إلى أن يتولاهـــا ، فشكر على ذلك بعد أن جمع له عشرين ديناراً ودفعوها اليه .

ثم في صبيحة ثالث عشره كتب محضراًبصورة الواقعة وضم الى شاهره(؟) بالقاهرة .

ولما كان رابع عشره وصل دراج أمير الينبوع وابنه في تجريدة [١٤٠] خيل نحو خمسة وأربعين فرساً ، وجمـــع من الركاب والمشاة ، يزيدون على ثلثمائة نفر ، ونزلوا في دار آل منصور ، ونزل دراج دار ضيغم ، فاطمأن الناس بوصولهم .

ثم في خامس عشره وصل بقية القواد في بعض خيل ومائة رجل ونادى منادي دراج بالأمن ، فسُرّ الناس .

ثم بعد عشرين يوماً جاءت تجريدة خيل من السيد الشريف محمد بن بركات عشرين فرساً وثلاثين قوساً مضافاً إلى ما كان بالمدينة من خيـــل دراج فتزايد الأمن .

ثم بعد يومين من وصولهم سافر الشريف دراج الى الشريف الكبير لناحية اليمن ، ليفاوضه في ذلك بعد أن التمس من أهل المدينة كتابة محضر يتضمن انهم لا يريدون والياً غير الشريف محمد ، فكتبوا له ذلك .

ثم في منتصف جمادى الأول ورد قاصد السلطان ومعـه مرسوم يتضمن التشويش بسبب حسن ، وانه قد جهزنا للجمال محمد بن بركات مرسومـــاً أن يولي أحد أولاده على المدينة الشريفة أو غيره من جماعته أو غيرهم، وأن يغلظ على حسن ، ولو كان على رؤوس الجبال ، وان وصول قاصد الشريف بالاعلام بالحادثة يوم بروز القاصد منها بالخلع ويقال انه كان كتب مع محمد بن حميضة قاصد حسن قبل العلم بجريمته مع خلعته بأن يوفي [١٤١] دينه من القبة .

ثم ولى الشريف عليها ابن خاله حسن الشريف فارس بن شامـان الحسيني الزياني فوصلها سادس عشري رجب الفرد ودخـــل في عرضة هائلة وتلقاه القضاة عند باب البلد ، فبعد ان استقر قيل له : إن عند أقوام ودايع ممـا أخذ من القبة . فأحضر بعض من اتهم فضرب ضرباً وجيماً حتى أقروا ببعض شيء، ودلهم على قائمة فيها أسماء كثيرين عندهم ودايع حسن،فتتبعهم ولا زال يعاقب بالضرب والحبس حتى استخلص ما بين نقد وسبائك وقناديل يجتمع من مجموع ذلك فيما قيل زيادة على عشرة الاف دينار ومن ذلك القناديل الذي

حصلت لمشاري بكمالها مع يمينه أنه لا مدخل له في القضية أصلاً ، وممن اتهم الشريف سرداح فاحضر أن يكون عنده شيء فأنكر وخرج من عنـــدهم ليسأل أخاه وأولاده فأخذهم وفرّبهم فلقيه عشرة فنهبوه عند جبل أحد ، فرجع هو إلى المدينة وراح من عداه إلى العرب ثم رجعوا وطلعوا بما عندهم من النقد والسبايك وقبل ذلك كله قيل للخازندار : إن جماعة من الصوغ دسوا نحو ثلاثين قنديلاً فاجتهدوا في تحصيلها منهم مع ضرب بعضهم حتى انهم غسلوا تراب الحفر المسبوك فيها . فكان ما [١٤٢] استخلص منهم نحو الفا قفلة، ثم شدد عليهم الأمير فارس المذكور وجعل على كل صايغ مايتي قفلة وصار السودان في غضون ذلك يطالعون حسن بذلك لميلهم إليه ، فلما تحقق الأمير ذلك أمر بأخراج جميعهم حتى النساء واقتصرهم فيا يحملوه فيها على الزاد وان من أودع شيئاً لا يلوم إلا نفسه فكانت ساعة فظيمة فتوجهوا إلى جهة المدرج ، فأرسل من ردهم وأمر ان لا يتوجهوا لغير طريق الشرق فكان ذلك اعظم ذل من الأول ، فوقعت الشفاعة فيهم ثم عادوا بعد الإهانة والتهديد، وتزايدت بهذا كله هيبة الشريف فارس وجلالته عند اهل المدينة مع أدبه مع اهل السنة والجماعة ، وتخلى عن حسن جميع من كان معه ما خـــلا آل نُعَير عربه وجاؤا إلى الأمير معتذرين فاكرمهم وقبل عذرهم بل اعطى فيما قيل مشاري النقد المذكور منه وهو الف ، وصرف بقية النقد على دفع العرب عن المدينة جريا على عوائدهم ، ثم بعد مجيء مشاري دفع له المسبوك من القناديل وتزايد الدعاء له وللسيد الشريف محمد بن بركات تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته آمين انتهى .

إضافة وتكميل :

لإكمال موضوع ما يتعلق بمحتويات الحجرة المطهرة ، يحسن إيراد ما ذكره مؤرخ طيبة السيد السمهودي في كتابه « وفاء الوفاء » [1] ونصه :

الفصل الخامس والعشرون

في قناديل الذهب والفضة التي تعلق حول الحجرة الشريفة ، وغيرها من معاليقها .

اعلم اني لم أر في كلام أحد ذكر ابتداء حدوث ذلك ، إلا ان ابن النجار قال ما لفظه : وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا معلق نيف واربعون قنديلاً كباراً وصغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة ، وفيها اثنان بللور ، وواحد ذهب ، وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب وهذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال، انتهى.

قلت : واستمر عمل الملوك وأرباب الحشمة الى زماننا هذا على الاهداء الى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة .

ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين العثماني أشياء نقلها من خط قاضي طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح يتضمن ما كان يرد كل سنة من ذلك فذكر في سنة ، خمسة عشر قنديلا وفي اخرى ثلاثة عشر وفي اخرى عشرة وفي اخرى احدى وعشرين .

قلت : وفي زماننا هذا يرد في غالب السنين ما يزيد على العشرين ولا ضابط لذلك فإنه يرد من نذور من ناس مختلفين وكأن هذه القناديل كانت إذا كثرت رفعوا بعضها ووضعوه بالحاصل الذي في وسط المسجد فاجتمع فيه شيء كثير فاتفق على ما ذكره الحافظ ابن حجر في سنة احدى عشرة وثمانمائة

(١) من ص ٥٨٤ الى ص ٥٩١ — الطبعة الثانية .

ان فوض السلطان الناصر فرج لحسن بن عجلان سلطنة الحجاز فاتفق موت ثابت بن نعير [1] وقرر حسن مكانه اخاه عجلان بن نعير المنصوري فثـار عليهم جماز بن هبة بن جماز الجمازي الذي كان امير المدينة وارسل الى الخدام بالمدينة يستدعيهم فامتنعوا من الحضور اليـه فدخل المسجـد الشريف واخذ ستارتي باب الحجرة وطلب من الخدام تسعة آلاف درهم على أن لا يتعرض لحاصل الحرم فامتنعوا فضرب شيخهم وكسر قفل الحاصل وهكذا رأيته في « إنباء الغمر » للحافظ ابن حجر .

والذي رأيته في محضر عليه خطوط غالب أعيان المدينة الشريفة ماحاصله: ان جماز بن هبة المذكور كان امير المدينة فبرزت المراسيم الشريفة بتولية ثابت ابن نعير امرة المدينة وان يكون النظر في جميع الحجاز لحسن بن عجلان ولم يصل الخبر بذلك إلا بعد وفاة نعير فأظهر جماز بن [2] هبة الخلاف والعصيان وجمع جموعاً من المفسدين وأباح نهب بعض بيوت المدينة ثم حضر مع جماعة الى المسجد الشريف واهان من حضر معه من القضاة والمشايخ وشيخ الخدام باليد واللسان، وشهر سيفه عليهم وكسر باب القبة قبة حاصل الحرم الشريف وأخذ جميع ما فيها من قناديل الذهب والفضة التي تحمل على تعاقب السنين من سائر الآفاق تقربا الى الله ورسوله، وأشياء نفيسة وختمات شريفة وزيت المصابيـح وشموع التراويح واكفان ودراهم يواري بها الطرحا ، وقطع مكاتيب الأوقاف وغسلها وقصد الحجرة الشريفة واحضر السلم لا نزال كسوة الضريح الشريف والقناديل المعلقة حوله فلم يقدر له ذلك ومنعه الله منه واخـذ ستر أبواب الحجرة الشريفة من خزانة الخدام وتعطل في ذلك اليوم وليلته والذي يليهـا المسجد الشريف من الأذان والاقامة والجماعة وأخذ جماعته وأقاربه في نهب بيوت الناس ومصادرتهم وأخذ جمال السواني وارتحل هارباً عقب ذلك ولما

---

(١) نعير : بضم النون وبالعين المهملة المفتوحة بعدها ياء فراء وانظر ترجمـة الأميرين في التحفة رقم ٧٠٣/٢٩٢٦ .

(٢) مترجم في التحفة اللطيفة للسخاوي برقم / ٩٧٥

اتصل بحسن بن عجلان ما فوض اليه من أمر الحجاز استدعى بعجلان بن نعير واقامه في امرة المدينة وعرفه ما برزت بـــه المراسيم أولا في ولاية أخيه . انتهى .

وذكر الحافظ ابن حجر انه أخذ من الحاصل المذكور احـــدى عشر خوشخانا وصندوقين كبيرين وصندوقاً صغيراً بمـا في ذلك من المال وخمسة آلاف شقة من البطاين، وصادر بعض الخدام، ونزح عنها ، فدخل عجلان بن نعير ومعه آل منصور فنودي بالامان ثم قدم عقبه احمد بن حسن بن عجلان ومعه عسكر ، يعني من مكة .

قلت : ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين المراغي قائمـة ذكر انه نقلها من خط قاضي طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح صورتها : الذي كان في القبة وأخذه جماز بن هبة ، هو من القناديل الفضة ثلاثة وعشرون قنطاراً وثلث قنطار ، غير الذي في الرفوف ، والصندوقين الذهب ، ثم ذكر تفصيل ذلك في ثمان عشرة ورقة ، ثم كتب ما صورته : خوشخانة مختومة لم تفتح ، والظاهر انها ذهب ، وزنة القناديل التي في الرفوف اربع قناطير إلا ثلث ، وتسع قناديل ذهب بالمد في صندوق ، وصندوق صغير مقفول، انتهى .

وبلغنا انه دفن غالب ذلك ، ثم أخذه الله اخذاً وبيلاً فقتل هو ومن اطلع معه على دفن ذلك ، فلم يعلم مكانه إلى اليوم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر قتله في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فقال : وفيها قتل جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني أمير المدينة ، وقد كان أخـذ حاصل المدينة ونزح عنها ، فلم يمهل وقتـــل في حرب جرت بينه وبين اعدائه ، انتهى .

قلت : انما بيته بعض عرب مطير فاغتاله وهو نائم .

ورأيت في القائمة المتقدم ذكرها التي نقلها شيخنا المتقدم ذكره ما صورته : وزن ما في الحجرة من قناديل ذهب تسع قناطير ، وورد بعـــد ذلك من أم

السلطان قنديل زنته الف مثقال ، وورد من أخت السلطان قنديل زنته الف وخمسمائة،وأربع قناديل كبار في الواحد منهم اربعة صفار ، وفي الثاني اثنان صفار وفي الثالث عدة قناديل معفوسة ، وفي الرابع قنديل زنة الجميع ثلاثة الاف وسبعمائة وعشرون مثقالاً وعلى يد الطواشي صندل : قنديلين صغار ، ومعلق بعد ذلك عدة قناديل لم تكتب ، انتهى .

والظاهر انه سقط بعد قوله « من قناديل الذهب » لفظ والفضة وفي هذه القائمة ايضاً أن بالقبة – يعني بعد قصة جماز المتقدمة – من قناديل الفضة مائة رطل وسبعة عشر رطلاً وضعها بيسق بيده ، انتهى .

ثم ان الأمير غرير [١] بن هيازع بن هبة الحسيني الجمازي أخذ جانباً من الحاصل المذكور في سنة اربع وعشرين وثمانمائة ، زاعماً انه على سبيل القرض وامتحن بعض قضاة المدينة بسبب ذلك ثم حمل غرير المذكور إلى القاهرة محتفظاً به ، ومات بها مسجوناً .

ولم تزل هذه القناديل في زيادة حتى عدا عليها في ليلة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ستين وثمانمائة برغوث بن بتير بن جريس الحسيني [٢] فدخل الدار المعروفة بدار الشباك بجانب باب الرحمة ليلاً ولم يكن بها ساكن وتسور جدار المسجد ودخل بين سقفي المسجد الشريف من شباك هناك ومشى حتى بلغ ما يحاذي سقف الحجرة الشريفة فأخذ من تلك القناديل شيئاً كثيراً وكأنه تردد لذلك المرة بعد الأخرى ، ولم يشعر أهل المسجد ونظاره بشيء من ذلك غير ان أمة لبعض جيران الدار المذكورة رأت من سطح دارهم شخصين في أعلى دار الشباك يتعاطيان شيئاً له حجم كبير وصوت صليل ، فلما أصبحت أخبرت بواب المسجد فلم يعبأ بذلك لخلو تلك الدار ، وبعد ذلك

---

(١) مترجم في « التحفة » في القسم المخطوط مات مسجونا بمصر سنة ٨٣٥ هـ .

(٢) « التحفة » – ٦١٦

الأمر عن الافكار ، ولكن الله اراد هتك المذكور وحلول النقمة به فأنهى بعض الناس إلى امير المدينة ان المذكور معه شيء كثير من المال غير معهود ، فأمسكه الأمير وضيق عليه بالسجن فانخلس ليلاً ثم شاع بالمدينة بيع شبابيك من الفضة والذهب،فكثر القال والقيل ثم في شهر ربيع الأول من سنة احدى وستين استفاض ان برغوثا بالينبع ومعـه قطع من ذهب القنـاديل ، فافتقد النظار الحجرة الشريفة فرأوا أكثر القناديل مأخوذاً ، فعلموا الحال ، لكن لم يعلموا الكيفية واتهمت ابنة السراج النفطي بمالاة برغوث على ذلك وأنه انما تسور من بيت أبيها لكونه متصلاً بالمسجد في قبلته وأظهر الله براءتها بعـد ذلك،وكان بالمدينة إذ ذاك زين الدين استدار الصحبة فعقد مجلساً لذلك واجتمع أعيان اهل المدينة وكتبوا إلى أمير الينبع بالقبض على برغوث وإرساله فقبض عليه فاعترف انه فعل ذلك هو ودبوس بن سعد الحسيني الطفيلي وجعل أن دخوله من بيت المرأة المتقدم ذكرها وان بعض الخدام واطأه على ذلك ثم اظهر الله الحق ، وان دخوله انما كان من دار الشباك وان شريكه المعين له على ذلك دبوس المذكور ولم ير أمير ينبع ارساله إلى المدينة بل تركه عنده منتظراً الاوامر السلطانية ، ثم ان امـير المدينة أمسك دبوساً وبعض أقاربه فأنكر هو وأقر عليه بعض جماعته واحضروا جانباً من الذهب والفضة ثم هرب برغوث من الحبس بالينبع ثم ساقه الله إلى المدينة فلما وصل دل عليه أميرها فأمسكه وحبسه مع دبوس وذويه فهربوا ثم اظفر الله بهم ولم يغب منهم إلا دبوس. وبرزت المراسيم بقتل من تجرأ على هذه العظيمة فقتل أمـير المدينة برغوثاً وآخر معـه من اقـاربه يسمى ركابا وصلبهما ثم ظفر بدبوس وقتله ايضاً .

وأخبرت عن برغوث[1] انه قال : كنت كلما توجهت في حال هربي لغير

---

(١) وقد ذكر حادثة برغوث هذا ابن تغري بردي في « حوادث الدهور » ص ٢٩٧/٢٩٨ وابن اياس في « بدائع الزهور » – صفحات لم تنشر – ص ٤٤ باختصار .

جهة المدينة كأني أجد من يصدني عن ذلك وإذا قصدت جهة المدينة تيسرت لي وكأن شخصاً يقودني اليها حتى دخلتها .

وأما عدة القناديل الموجودة في زماننا هذا بالحجرة الشريفة فقد ضبطت في اول سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بأمر السلطان الاشرف لشيخ الحرم الامير اينال والقضائي الزكوي فكان عدة معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلا وبعض قنديل واربع مشنات ومغرفان وسواران وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة، أهداه سلطان الكلرجة شهاب الدين أحمد وعدة معاليق الفضة: ثلاثمائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلا وثرية كبيرة زنة ذلك ستة واربعون الف قفلة واربعمائة وخمسة وثلاثون قفلة وكانت ضبطت قبل ذلك في سنة اثنتين وستين وثمانمائة على يد الأمير برد بك التاجي فتحرر من النظر بين المقدارين ان الزائد على ما ضبط في التاريخ المتقدم من الذهب الف قفلة ومائة وخمسة وخمسون ، ومن الفضة ثلاثة عشر الف قفلة وسبعمائة وخمسة وثمانون قفلة فذلك القدر هو الوارد من عام ثلاث وستين إلى آخر عام تسع وسبعين ، وهناك من المعاليق أيضاً غير ما تقدم قنديل من بلور بتابوت من فضة وقناديل نحاس أربعة وفولاذ واحد مكفت بالذهب مشبك مكتوب عليه: ان الناصر محمد بن قلاوون علقه من يده أي عام حجه ثم ورد في سنة ثمانين في مشيخة الشيخ اينال ولم يدخل في الجملة المتقدمة قنديلان من الذهب زنتهما مائة وخمسة وعشرون قفلة ومن الفضة اثنان وثلاثون قنديلا زنتها الف ومائتان وخمسة وسبعون قفلة وفي سنة إحدى وثمانين قنديل ذهب زنته مائة واثنان واربعون قفلة واربعة وعشرون قنديلا من الفضة زنتها تسعمائة وخمسون قفلة وفي سنة اثنتين وثمانين من الفضة أحد وثلاثون قنديلا زنتها الف وخمسمائة وخمسون قفلة ، ولم يرد شيء من الذهب وفي سنة ثلاث وثمانين من الذهب قنديل واحد زنته عشرون قفلة ومن الفضة خمسة وعشرون قنديلا زنتها الف ومائة وخمسة وثلاثون قفلة ، وفي سنة اربع وثمانين من الفضة تسع عشر قنديلا زنتها سبعمائة وخمسة واربعون قفلة،

ولم يرد شيء من الذهب فجملة ما ورد في ولاية الامير اينال في المدة المذكورة من الذهب أربعة قناديل حملة زنتها مائتان وسبعة وثمانون قفلة ومن الفضة مائة قنديل وتسعة وعشرون قنديلا جملة زنتها خمسة الاف وستمائة وخمسة وخمسون قفلة ولما شرعوا في عمارة الحجرة الشريفة الآتي ذكرهـا في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة رفعوا جميع المعاليق التي كانت حولها ووضعت بالقبة التي بصحن المسجد بأمر متولي العمارة الجناب الشمسي ولم تزل بها الى تاريخه ولم يكن اليوم حول الحجرة الشريفة من المعاليق الا ما تجدد في آخر سنة احدى وثمانين الى آخر سنة اربع وثمانين ثم حسن متولي العمارة للسلطـان صرف ذلك في مصالح المسجد والمدينة الشريفة فحمل بعضه من الحاصـل المذكور إلى مصر قبيل الحريق الثاني ثم وجدوا ما سقط بسبب الحريق من القناديل التي كانت معلقة بحالها، ثم صرف متولي العمارة بعض ذلك في تذهيب السقف المعاد بعد الحريق ثم وضع بهذه القبة ما تجمد من مصاريف حب السماط الجدد فاجتمع بها نحو ثلاثة عشر الف دينار فاتفق ان امير المدينة حسن بن زبيري المنصوري [1] حضر بجماعة مع الاستعداد بالاسلحة والسيوف المسلولة فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الاول عام احد وتسعمائة وأمر خازندار الحرم الشريف باحضار مفاتيح الحاصل المذكور فامتنع من ذلك فضربه ضرباً مبرحاً ثم عمد إلى باب الحاصل المذكور وأحضر فأساً وكسره وأخذ جميع ما فيه من النقد والقناديل والسبايك فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين وبغل وغراير تسع على ظهور الحمالين ثم ذهب إلى حصنه وأحضر الصياغ وسبك تلك القناديل وذكر انه صنع ذلك رغبة عن إمرة المدينة لأن ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الاشرف اليه أمر الحجاز وان المشار اليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الاقطاع ومن الصدقات وعطل عليه أهل مصر بعض اقطاعه فحمله ذلك على ما سبق . انتهى كلام السمهودي .

(١) مترجم في «التحفة» ٩٢٤ والمنصوري نسبة لأحد اجداده وهو حسيني النسب .

بناء سور المدينة الشريفة (١)

[١٤٣] المسجد سنة تسع وثلاثين وتسعمائة على يـــد الجناب العالي محمود جلبي كاتب العمارة الشريفة وشيخ الحرم الشريف السيد احمـــد الرفاعي هو الامير ، والناظر عليهـــا ، ثم توفي محمود جلبي سابع عشرين من رمضان المعظم قدره سنة تاريخه بعد بناء الدرب المصري المسمى بباب سويقة وتمامه ، وبناء الباب الصغير الشامي ايضاً مع قطعة من السور من تلك الجهة أي الباب المصري ثم توفي السيد احمد الرفاعي سنة تاريخه في آخر شهر ذي القعدة الحرام ، واستمرت العمارة بطـّالة إلى أن وصل الجنـاب العالي الزيني مصلح الدين مصطفى امير العمارة الشريفة سنة اربعين في شهر ربيـع الاول ومعه اليازجي نصوح ، والكاتب عبد الرحمن الغزي المصري وفي آخر هذا العام توفي نصوح الكاتب، ثم استمرت العمارة في بناء السور المذكور وكان المهندس شخص (؟) رومي يسمى خير الدين خليفة فعمر جميع الجهة القبلية بشراريف مختصة به ، وكل ذلك ما بني إلا على أساس القديم ، فكان انتهاء بناء المهندس المذكور الى باب [١٤٤] البقيع ثم توفي ، وشرع بعد ذلك في العمارة الأمير مصلح الدين ، وهدم بعض ما بنى المهندس الرومي من البرج الذي عند تربة السيد الشهيد اسماعيـــل رضي الله عنه ، ثم انه عمر ذلك إلى باب البقيع وزاد في بناء السور طولاً وعرضاً ، وأحـــكم بنيانه من البرج المذكور إلى باب البقيع ، وشرع في بنـــاء السور من جهة الشام ان أحاط بالقلعة بناء السور والقلعة ، وبيوت العسكر في المنصف من

(١) انظر كتاب « التحفة اللطيفة » في هذه المجموعة ص ٨٣/٩٢.

شعبان المعظم قدره ، سنة ستة وأربعين وتسعمائة ، لكنه كان وقع في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة تعطيل لبعض البناء فاحتيج الحال إلى أن توجه الأمير مصلح الدين إلى مصر المحروسة من البر ، ثم وصل سنة أربع وأربعين ومعه كاتب العمارة وهو الزيني رمضان ، فاستمر يكتب على العمارة الشريفة إلى انتهائها ، ثم توجه إلى الأبواب العالية المظفرية أدام الله ملكها .

وبعد : فجملة دائرة السور المذكور بذراع العمل ثلاثة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع وإثنان وثمانين ذراعاً .

فمقدار ما بناه محمود جلبي المذكور في الجهة المذكورة سبعمائة ذراع وأربع عشر ذراع .

وبناء المهندس الرومي المسمى بالقلفة المذكور سبعمائة ذراع.

والثاني بناء الأمير مصلح الدين عوضه الله الجنة .

[١٤٥] وسمعت من لفظه ان جميع طول دائرة سور المدينة ما بين الأبراج وتجويفات الأبواب أربعة آلاف ذراع .

وسمعت من لفظه ان المصروف من الغلال كالقمح والشعير والفول نحو أربعة عشر ألف إردب ، والمصروف من الذهب السليماني الوازن على البنائين والمهندسين والفعلة وثمن الجمال والحمير وعلى علوفة العسكر وجامكية الأمير المذكور وكاتبه المذكور وما (؟) يخدمهم من العساكر المنصورة نحو مائة ألف دينار ذهباً جديداً . انتهى .

أدام الله تعالى هذه الدولة العادلة وخلد ملك مالكها ورحم الله سلفها وأبقى خلفها ولا زال ريح النصر والظفر يخفق بها آمين آمين .

اول وضع الهلال

وضع الهلال – الشريف الواصل من الدولة العادلة المظفرية العثمانية السليمانية أيد الله تعالى ملكها – على رأس القبة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر شوال المبارك سنة ست وأربعين وتسعمائة من نحاس مموّه بالذهب البندقي وكان سبب الإرسال به إنهاء شيخ الحرم الشريف النبوي أبو المحاسن واللطائف الزيني محمود جلبي – رحمه الله تعالى –

ووضع قبل ذلك بأيام هلال على المنبر الشريف من نحاس مموه أيضاً وعلى منابر المسجد الشريف أيضاً [١]

---

(١) انظر ما تقدم ص ٩١



الفهارس



١ ـ المقدمة

من ص ١ الى ص ٠٠ (*)

(*) أرقام صفحات المقدمة أعلى الورق .

كتاب وصف المدينة

(من ص ١ الى ص ٨١) (*)

(*) أرقام صفحات المجموع اسفل الورق .

٢ – كتاب التحفة اللطيفة

(من صفحة ٨٣ الى صفحة ٩٢)

٣ - كتاب الوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى

(من ص ٩٥ الى ١٨٠)

٤ ــ حوادث حول الحجرة المطهرة

(من ص ١٨٠ الى ١٩٥)

٥ ــ بناء سور المدينة الشريفة

(من ص ١٩٥ الى ١٩٦)

٦ ــ وضع الهلال على القبة والمنبر والمنابر ١٩٧

الاعلام (رجال ونساء)

١ – [احذف ابن / ابو / السيد / الشيخ]
٢ – النقطتان بعد الاسم للاحالة مثل : (الظاهر : (جقمق) أي انظر الرقم في (حقمق) .

– أ –

— ب —

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

— ن —

— و —

المواضع

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

— ش —

— ص —

— غ —

— ن —

— و —

الجماعات (قبائل وطوائف واسر وغيرها)

١ - حذفنا (سيد / السيد / شيخ / السادة / السلطان / المرحوم) اختصاراً .

الكتب

مطبعة نهضة مصر